# تَذْكِيرُ النُّبَلاءِ بِفَضْلِ الثَّنَاءِ

بقلم الدكتور

نجيب عبد الفتاح جيلانى

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

تذكير النبلاء بفضل الثناء

تأليف الدكتور: نجيب عبد الفتاح جيلاني

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

# تَذْكِيرُ النُّبَلاءِ بِفَضْلِ الثَّنَاءِ


تأليف الدكتور

نجيب عبدالفتاح جيلاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**حقـوق الطَّبع محفـوظة للمؤلف**

**جميع الحقوق محفوظة ولا يُسمح بإعادةِ إصْدَار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائلِ سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النَّسخ أو التصوير وغير ذلك دون حصول على إذن خطي من المؤلف ،،،**

**الطَّبعة الأولى**

**١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م**

**رقم الإيداع بدار الكتب المصرية**
**٢٠٢١/٢٨٢٤٥م**

التَّرْقِيم الدَّولي/ 3 – 247 – 997 – 977 – 978

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

# الإهـــــداء

إلى

خيـــــر الأنبيـــــــاء

من يستحق المدح والثناء

هديـــة رب الأرض والسماء

إلى البشـريـــة جمـعـاء

محمـد ﷺ شفيع الموحـدين

يـوم الـعـنـاء

تَذْكِيرُ النُّبَلاءِ بِفَضْلِ الثَّنَاءِ

الدكتور/ نجيب عبدالفتاح جيلاني

# نبض الكتاب

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[1].

قَالَ الشَّاعِرُ

كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقَضِي  إِلَّا الثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بَاقِ

وَلَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ  مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ[2]

(١) سورة الشعراء الآية: (٨٤).

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ): مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن – القاهرة (ص: ٣٠).

## المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرور أَنفُسَنَا وسيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسوله.

لَعَلَّ جُلّ النَّاس يَعتقدون أنَّ المَال هو مَا تُحَلُّ به المُعْضَلات، وَتُزَال به المُشْكلات، وَتَسْعدُ بِهِ الدَّولُ والأفرادُ والجماعاتُ، وفي منظورهم أنَّه يمكن شراء كلَّ شيءٍ بالمالِ، ولكن ثمّةَ أَشيَاء لا تُباعُ ولا تُشْتَرىٰ، منها الثَّنَاء الحسن، وجميل الذّكر وحسن السَّمْعَة، فَمَهْمَا بَلَغَ المرءُ منزلةً ومكانةً فإنَّه لا يَقدرُ عَلَىٰ شِرَاء تلك الصَّفات، ولا تَغْيير أَلسنة النَّاس بحسنِ الثَّنَاء.

فالسّيرة الطَّيبة وثناء النَّاس هو نتيجة حتمية وتراكمية لأفعالٍ كثيرة متتابعة ومتتالية لشخصٍ مَا، عَمِلَ للهِ ﷻ بصدقٍ وإخلاصٍ، ثم تعامل مع النَّاس بحسن النَّية والتَّلطف وحسن الخُلقِ ولين الجانبِ، فنال القبول في السَّماء ثم وضع له القبول في الأرضِ.

إنَّ من أعظم نعم اللهِ ﷻ علىٰ العبدِ أن يُنْعِمُ عليهِ بحبّ قلوب المؤمنين، وثناء الصَّالحين، وَعَلىٰ المرءِ أن يُتابع سِيرَته بين الفينةِ والفينةِ، لأنَّ حُسْنها دليلٌ وعلامةٌ علىٰ مكانتهِ عند اللهِ ﷻ، وَسَيئُها علامةٌ ودليلٌ علىٰ مكانتهِ عند اللهِ ﷻ، ولذا وجدنا أنَّ أئمة السَّلف اهتموا بهذا الجانب اهتمامًا بالغًا.

قال **إِبْرَاهِيْمُ الحِزَامِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفُ بنُ عَبْدِ اللهِ: قَالَ لِي مَالِكٌ: مَا يَقُوْلُ النَّاسُ فِيَّ؟ قُلْتُ: أَمَّا الصَّدِيْقُ فَيُثْنِي، وَأَمَّا العَدُوُّ فَيَقَعُ. فَقَالَ: مَا زَالَ النَّاسُ كَذَلِكَ، **وَلَكِن نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ تَتَابُعِ الأَلْسِنَةِ كُلِّهَا**[1].

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي – بيروت، الطَّبْعَةُ الرَّابعَةُ، سنة، ١٤٠٥هـ (٦/ ٣٢١)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن =

وفي شعب الإيمان بزيادة: (مَا يَزَالُ النَّاسُ كَذَا لَهُمْ عَدُوٌّ وَصَدِيقٌ)[1].

يعني ما زال النَّاس ينقسمون قسمين؛ قسمٌ يُثني عليك بالخيرِ لأنَّه يرىٰ فيك الخير، وقسمٌ يُعادي الخير ويبغضه فيتكلم فيك، وهذا هو الطَّبيعي في دنيا النَّاس، ولكن الإمام مالك ابن أنس ﷺ استعاذ باللهِ مِن (تَتَابُعِ الأَلْسِنَةِ كُلِّهَا) أي في الثَّناء السَّيء، أو الذَّم والقدح والبُغض، فإنَّه ممَّا لا شك فيهِ أنَّ النَّاس إِذَا اتفقوا عَلَىٰ الثَّناء السَّيء كلهم، ففيهم الصَّالح والطَّالح، وهذا يَدلُ عَلَىٰ أنَّ ذاك الشَّخص في خسرانٍ مبين، لأنَّه خسر ثناء الصَّالحين وهذا يدل عَلَىٰ أَنَّه بعيد كلَّ البعد عن طريقِ ربّ العَالمين.

"أن يَرتقي المؤمن إلىٰ درجةٍ يجعل فيها لنفسهِ مكانًا في قلوبِ العبادِ، فتلك منزلة الصَّالحين، وعلامة الأتقياء الّذين خلت قلوبهم من الضَّغائن والأحقاد، وَصَفَت نُفوسهم من الأكدارِ والشَّوائبِ، وَتَخَلَّصَت عقولهم من أسْر الذّاتِ، وأغلال الأَنا، فَرَأوا في إخوانهم صورة منهم، يُحبون لهم من الخير ما يُحبون لأنفسهم، ويدفعون عنهم من الأذىٰ ما يُحبون أن يدفعوه عن أنفسِهم"[2].

---

=

عثمان بن قَايْماز الذَّهَبي (ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرِّسالة، الطَّبْعَةُ الثَّالثة، سنة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (٨/ ٦٦ـ٦٧).

(١) أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: الدَّكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف علىٰ تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد النَّدوي، صاحب الدَّار السّلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرَّشد للنَّشر والتَّوزيع بالرياض بالتعاون مع الدَّار السَّلفية ببومباي بالهند، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م (١١/ ٤٤)، رقم (٨١٣٧).

(٢) د. محمد ويلالي: فقه المحبة بين النَّاس، موقع الألوكة التُّجارية مقالة بتاريخ، ١٣/ ٦/ ١٤٤٠هـ ـ ١٩/ ٢/ ٢٠١٩م.

فكيف لا يَسْعَىٰ النَّاس فيما بينهم بالأعمالِ الصَّالحة، والمعاملات الطَّيبة، والعلاقات النَّافعة، يكسبون بها مرضاة اللهِ تَعَالَىٰ أولًا، ويستميلون بها قلوب عباده ثانيًا؟ هذا الصَّحابي الجليل أبو هريرة ﷺ، كان حريصًا علىٰ أن يفتح قلوب النَّاس بإلقاءِ محبتهم فيها، فقدْ جَاءَ النَّبي ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا ـ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ ـ إِلَىٰ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ»[1].

---

(١) وتجدر الإشارة إلىٰ أنَّني أستعنتُ باللهِ أولاً، ثم بكتابِ: صهيب عبد الجبار: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، تاريخ النَّشر: ١٥/٨/٢٠١٤م، [والكتاب غير مطبوع] ومنشور علىٰ الشّبكة، وفي المكتبة الشَّاملة: في الأغلب في الرجوع للأحاديث الدَّالة علىٰ المراد في أبوابها في هذه الدِّراسة، وإن لم يُوجد عنده الحديث ففي مظانِّه الأخرىٰ. وهذه بعض الرَّموز التي قد وردت في ثنايا الدِّراسة والتي وردت في الكتاب المشار إليه: مفاتيح الرموز: (خ) (صحيح البخاري)، (م) (صحيح مسلم)،(ت) (الجامع الصحيح للترمذي)،(س) (السنن الصغرى للنسائي)، (د) (سنن أبي داود)، (جة) (سنن ابن ماجة)، (حم) (مسند الإمام أحمد)، (ط) (موطأ مالك)، (مي) (سنن الدارمي)، (خم) (رواه البخاري معلّقًا)، (تخ) (البخاري في التاريخ الكبير)، (خد) (الأَدَبِ الْمُفْرَد للبخاري)، (الشمائل) الشمائل المحمدية للترمذي، (طح) شرح معاني الآثار للطحاوي، (مش) مشكل الآثار للطحاوي، (بغ) البغوي في شرح السنة، (خط) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، (ابن سعد) الطبقات الكبرى لابن سعد، (ابن منيع) مسند ابن منيع، (الحكيم) نوادر الأصول للحكيم الترمذي، (الضياء) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، (فر) مسند الفردوس للديلمي، (عد) (الكامل لابن عدي)، (طل) (مسند الطيالسي)، (بز) (مسند البزار)، (ك) (مستدرك الحاكم)، (خز) (صحيح ابن خزيمة)، (هق) (سنن البيهقي الكبرى)، (هب) (شعب الإيمان للبيهقي)، (حب) (صحيح ابن حبان)، (طب) (معجم الطبراني الكبير)، (طس) (معجم الطبراني الأوسط)، (طص) (معجم الطبراني الصغير)، (ش) (مصنف ابن أبي شيبة)، (عب) (مصنف عبد الرزاق)، (صم) (السنة لابن أبي عاصم)، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، مسند الشاميين للطبراني، (حل) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، =

قال أبو هريرة ﷺ: فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلاَّ أَحَبَّنِي"[1].

والقرآن الكريم فيه إشارات كثيرة ومواطن عديدة تدور حول معنىٰ الثَّنَاء الحسن والذّكر الجميل، وكذا سنّة النَّبيّ ﷺ فيها الكثير من الأحاديث الصَّحيحة والصَّريحة التي تُوضح أهمية الثَّنَاء وفضله ومكانة الفئة الرَّابحة التي كتبَ اللهُ ﷻ لها القبول بتتابعِ ألسنة النَّاس عليها بالثَّنَاءِ الحسن.

وسيرة العلماء العارفون بشرعِ اللهِ، المُتَفَقِهُونَ في دينهِ، العاملون بعلمهم علىٰ هدىً وبصيرة، فقهاءُ الإسلام، ومن دارت الفُتيَا علىٰ أقوالهم بين الأنام، والفِرقةُ التي نَفَرَت من هذه الأمَّةِ لتتفقه في دينِ اللهِ ثم تقومُ بواجبِ الدَّعوة، المعتبرون في الأمَّةِ، أهلُ السُّنّة والجماعة، أتباع السَّلف الصَّالح، فيها أيضًا الشَّواهد علىٰ ذلك.

ومن فضل الثَّنَاء، أن ميَّز الله ﷻ أمة الإسلام عن بقيةِ الأمم بعلمٍ جليل القدر، عظيم النَّفع وهو علم: "**الجرح**[2] **والتعديل**[3]"، والذي قام في جملته علىٰ

---

=

(ن) **السنن الكبرى للنسائي**، (**التمهيد**) **لابن عبد البرّ**، **بحر الفوائد المشهور**: (**بمعاني الأخبار**) **للكلاباذي**.

(١) قال صاحب الجامع الصَّحيح للسنن والمسانيد (١٦/ ١٩٩): (م) ١٥٨ - (٢٤٩١)، (حم) ٨٢٤٢.

(٢) الجرح في الاصطلاح: وصْفُ الرَّاوي بما يقتضي ردَّ روايته، أو تليينه، أو تضعيفه. يُنظَر: الدكتور عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم العبداللطيف: ضوابط الجرح والتعديل (ص: ٢١).

(٣) التعديل في اللغة: التَّقويم والتَّسوية، **واستعير في المعنويات بمعنىٰ الثَّناء علىٰ الشخص بما يدلُ علىٰ حُسْن طريقته في الدِّين والخُلق**. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (ص:٧١٨)، الشّريف حاتم العوني: خلاصة التأصيل في علم الجرح والتعديل(ص: ٦). وهذا منقول عن شبكة الألوكة الشَّرعية. فعلم الجرح والتعديل هو: علم يبحث في معرفة أحوال الرُّواة من حيثُ القَبولُ والردّ. ولعِلم الجرْح والتعديل عدَّة فوائد: "معرفة ما وقع من روايةِ الرُّواة ممَّن يجب قَبول خبره، وممن يجب ردُّه، وممَّن يجب التوقُّف فيه، معرفة ما صحَّتْ من الوقائع التاريخية، بسبب غلبة التساهُل في نقلها، أنَّ هذا العلم فرْضُ كِفاية - كما

=

"**الثَّنَاء والقدح**"، وهو من أهم أنواع علوم الحديث وأعظمها شأنًا وأبعدها أثرًا إذ به يتميز الصَّحيح من السَّقيمِ، والمقبول من المردودِ، لِمَا يَترتب علىٰ مراتب كلّ من الجرح والتعديل من أحكامٍ مختلفةٍ.

فيتضح من ذلك أنَّ الثَّنَاء الحسن يترتب عليه أحكام شرعية قد يُستدل بها علىٰ منزلة الشَّخص ومكانته عند اللهِ ﷻ، كما أنَّ الجرح والتعديل يترتب عليهِ أحكام شرعية قد يُستدل بها علىٰ منزلةِ الشَّخص عند العلماء من حيث القبول والردَّ.

لكل هذا وجب علىٰ كلَّ شخصٍ أن: يعتنِي جيدًا بِسمعتهِ، لأنَّها ستعيشُ أكثر منه. لأنَّ "**السَّيرة الحسنة كَشَجرةِ الزَّيتون، لا تنمو سريعًا، وَلَكِنَّها تعيش طويلًا**"(١).

---

= صرَّح غيرُ واحد من الأئمة، الحثّ علىٰ المطالبة بالشَّاهد والبيِّنة والبرهان، ومن ثَمَّ استخدام منهج التحري والتثبت، ردُّ خبر الفاسق، والكذَّاب، والكافر من باب أوْلىٰ، الحث علىٰ الاهتمام بتبليغ أمورِ الدِّين بسند صحيح متصل، تحرير العقل من سلطان العادة، والتقليد، والوهْم، ومن ثَمَّ دعوته إلىٰ التفكُّر والتأمُّل، والنَّظر والبحث، اكتساب الخِبرة بالرجوع إلىٰ أهل الرِّواية والدراية في تحرير المسائل، فذلك علم يُسأل عنه أهله أينما كانوا، أنَّ الصحابة يَرجع إليهم الفضْل في بَدْء عِلم الجرح والتعديل، معرفة بعض الوقائع المتعلِّقة ببعض الصحابة، مما ينطوي عليه الحُكم بما لا يليق بهم، مما وضعه أهلُ البدع من الرافضة الأنجاس، منهج الصَّحابة التشدُّد في قَبول الأخبار، لدرجة طلب اليمين والبيِّنة، فَسَنُّوا بالتالي للناس سُنَّة التثبُّت، جرْح الرواة وأهل البِدع والفُسَّاق ليس من الغِيبة المحرَّمة، بل من النَّصيحة. منقول من شبكة الألوكة الشَّرعية، د. أبو حميد عبدالملك بن ظافر الماجوني الكوسوفي، علم الجرح والتعديل، بتاريخ، ١/ ٣/ ١٤٣١هـ-١٥/ ٢/ ٢٠١٠م.

(١) نسب هذا الكلام لـ: وليم شكسبير.

والسّمعة يصعب تكوينها، ويسهل خسارتها، وكلّ ما هَدْمَهُ سهلٌ وبناؤهُ صعبٌ هو أمرٌ ثمين، وَلِيَكُنْ أَوَّلَ هَدَفٍ فِي حَيَاةِ كُلِّ مِنَّا إِرْضَاء الله ﷻ فَإِذَا رَضِيَ عَنَّا أَرْضَىٰ عَنَّا النَّاس، لأنَّ كلّ الخَسَائِر قَابِلةً لِلتَّعْوِيضِ إِلَّا أَن تَخْسَر سَنَوات عُمْرِكَ بَاحِثًا عَنْ رِضَا النَّاس، لأنَّ: **خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَىٰ أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ**"[1].

لكل هذا استعنتُ باللهِ ﷻ وَعَزَمتُ عَلىٰ دارسةِ هذا الموضوع لحاجةِ النَّاس إليهِ، وليعمّ به النَّفع والخير، **وَوَسَمْتُهُ بـ : (تَذْكِيرُ النُّبَلاء بِفَضْلِ الثَّنَاءِ)، واشتمل علىٰ مقدّمةٍ، وتمهيدٍ، وسبعة فصول وخاتمة، وفهرس.**

**الْمُقَدَّمَةُ** ، وَفِيهَا: أَسْبَابُ اِخْتِيَارِ الْمَوْضُوعِ.

**التمهيد،** وفيه: **أولًا:** تعريف الثَّنَاء. **ثانيًا:** فوائد مهمة.

**الفصل الأوَّل**: ضَوَابِطُ الثَّنَاءِ الْمَشْرُوعِ والْمَمْنُوعِ، وَفِيهِ: عِدَّةُ نِقَاطٍ.

**الفصل الثَّاني**: فَضْلُ الثَّنَاءِ من القرآنِ وَالسُّنَّةِ، وَفِيهِ:

**أولًا**: ثناءُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

**ثانيًا**: أُمْنِيَاتُ الْأَنْبِيَاء تَحْصِيل جَمِيل الثَّنَاء.

**ثالثًا**: فضل الثَّنَاء من سنّةِ خير الأنبياءِ.

**الفصل الثَّالث**: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ خِلَالِ أَقْوَال الْأَئِمة والْعُلَمَاءِ وَالنُّبَلاءِ.

**الفصل الرَّابع**: تَذْكِيرُ النُّبَلاءِ بِأَهَمِ أَسْبَاب جَلْبِ الثَّنَاءِ، وَفِيهِ:

**أولًا**: حُسْن الخُلق. **ثانيًا**: الْحُلْمُ وَتَرْكُ الْغَضَب.

**الفصل الخامس**: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ خِلَالِ بَعْض قَصَص الْمُعَاصِرِينَ وَالقُدَمَاءِ.

---

(١) عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ) (ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا): كليلة ودمنة، المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة، ١٩٣٧م، الطَّبْعَةُ: السَّابعة عشرة، سنة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م (ص: ١٢٢).

**الفصل السَّادس**: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ خِلاَل شِعْر الشُّعَراء.

**الفصل السَّابع**: مَنْ خَصَائِص وَأُصُول وَقَوَاعِدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْجَرحِ وَالتَّعْدِيلِ.

**الْخَاتِمةُ**: وَفِيهَا بَعْضَ النَّتَائِجِ وَالتَّوْصِيَات[1].

**الْفِهْرِسُ**: وَفِيهُ مَوْضُوعَاتِ الْكِتَابِ.

**وأخيرًا**.. أَسْأَلُ الله تَعَالَىٰ أن يَرْزقنا الإخلاصَ في القولِ والعملِ، وَيُوفقنا لاتّباعِ سنّة الحبيب المُصْطَفَىٰ ﷺ، ويُؤلّف بين قلوبنا وَيُحْسن ختامنا، وأن يغفر لنا مَا وَقَع من خطأٍ عن عمدٍ أو سهو، وينفع به كاتبه وقارئه إنّه وَلي ذلك والقادر عليهِ ،،،

وَكَتَبَهُ الفَقِيرُ إلىٰ عَفو رَبّهِ

**الدكتور/نجيب عبدالفتاح جيلاني**

**غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيهِ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمينَ وَالمُسْلِمَاتِ الأحياء منهم والأموات**

**قرية ٣ بحر البقر ـ الحسينية ـ الشرقية ـ مصر**

**للتواصل مع المؤلف جوال وواتساب/ ٠١٠٠٢٦٢٨٢٧٠ /٠٠٢**

وكان الفراغ منه بفضل الله ﷻ عصر الأحد ١٧ ذو القعدة ١٤٤٢هـ/ ٢٧ يونيو ٢٠٢١م

❁❁❁

(١) تجدرُ الاشارةُ إلىٰ أنّني لم أُثبت في نهايةِ هذه الدِّراسة قائمة المصادر والمراجع، والاكتفاء بذكرها في مواضعها في الحواشي السُّفلية، وذلك هروبًا من تضخم حجم الدِّارسة.

التمهيد وفيه:

- **أولًا: تعريف الثّناء.**
- **ثانيًا: فوائد مهمة.**

## أولًا: تعريف الثَّنَاء:

**الثَّنَاءُ هو: "المَدْح"**[1]**، والتقريظ والتَقْديرُ والتَبْجِيلُ، وقد** وَرَدَ تعريف المدح في قاموس **"الفيروزآبادي"**: من مَدَحَهُ كمنعه مَدْحًا ومِدْحَةً: **أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عليه** كمَدَّحَهُ وامْتَدَحَهُ وتَمَدَّحَهُ، والمديح والأُمدوحة هي كلّ أمر يُمدح به، وتُجمع علىٰ مدائِحُ، وأماديحُ[2]، وجاء في لسان العرب لابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ المَدْح: نَقِيضُ الهجاءِ **وَهُوَ حُسْنُ الثَّناءِ**[3]؛ بينما يُعَرَّفُ المدح في الاصطلاح أنَّه: وصف الشَّاعر غيره وصفًا جميلًا، ووصف فضائله، **وحسن الثَّنَاء عليهِ**[4].

**والحمد** عند العرب: "الثَّنَاء علىٰ الرَّجل بأفعالِهِ الكريمة. إِذَا قَالَ الرَّجلُ:

---

(١) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ): إكمال الإعلام بتثليث الكلام، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة السُّعودية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م (١/ ٩٣).

(٢) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرِّسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرِّسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطَّبْعَةُ: الثَّامنة، سنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (ص: ٢٤٠).

(٣) محمد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، سنة، ١٤١٤هـ (٢/ ٥٨٩).

(٤) يُذكر أنَّ المدح قديم النَّشأة، ويرجع إلىٰ زمن قديم جدًا؛ حيث يُعتقد أنَّه فن يتصل بالعاطفةِ القديمة، وهو فن عريق لكنَّه لم يُحفظ في التراث العربي القديم، إذ لم تكن دواعي حفظه قوية مثل باقي الفنون الأخرى، ويُشار إلىٰ أنَّ المدح امتزج بفن الغزل منذ القدم؛ فالغزل يُكثر الثَّنَاء علىٰ الحبيب، وذكر الأفراح والأحزان؛ لذلك كان المدح مُحتجبًا تحت ستار الغزل، كما وُجد المدح تحت طيَّات الفخر، حتَّىٰ عُدَّ المدح من الفخر، وبعد ذلك تطوّر المدح، وظهر العديد من شعرائه، ومنهم: الأعشى، وامرؤ القيس، وزهير بن أبي سُلمى، والنابغة الذبياني، وغيرهم الكثير، وفي المقابل ترفَّع عدد من الشُّعراء عن شعر المدح، ومنهم: جميل بن معمر، وعمر بن أبي ربيعة، والعباس بن الأحنف. يُنظَر: محمد شرفبياني: المدح في الشِّعرالعربي القديم نشأته وتطوره وشروطه وبناء قصيدته.

حمدتُ فلانًا، فمعناه: أثنيتُ عليهِ، ووصفته بكرمٍ، أو شجاعةٍ، أو حسبٍ"[1].

**والشُّكْرُ** هو: "الثَّنَاءُ عَلَىٰ المُحْسِنِ بِمَا أَوْلاكَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ"[2].

والفرق بين الحمد والشُّكر والمدح: "الحمد: هو الثَّنَاء باللسانِ علىٰ الجميل، سواء تعلَّق بالفضائلِ كالعلمِ، أم بالفواضل كالبر. والشُّكر: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل النَّعمة، سواء أَكَان نعتًا باللسانِ، أو اعتقادًا، أو محبة بالجنان، أو عملًا وخدمة بالأركانِ"[3].

قال **ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: "**وَأَمَّا الْمَدْحُ فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ لِلْحَيِّ وَلِلْمَيِّتِ وَلِلْجَمَادِ -أَيْضًا-كَمَا يُمْدَحُ الطَّعَامُ وَالْمَالُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَكُونُ قَبْلَ الْإِحْسَانِ وَبَعْدَهُ، وَعَلَىٰ الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ وَاللَّازِمَةِ أَيْضًا فَهُوَ أَعَمُّ**"[4].

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ): الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرِّسالة – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م (٢/ ٧٨).

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ): الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطَّبْعَةُ: الرَّابعة، سنة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (٢/ ٧٠٢)، ابن منظور: لسان العرب (٤/ ٤٢٤).

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ): معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشَّيْخ بيت الله بيات، ومؤسسة النَّشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم»، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٢هـ (ص: ٢٠١).

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ): تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتوزيع، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (١/ ١٢٩).

وَقَالَ **أبو هلال العسكري** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأمَّا الفرق بين الحمد والمدح فمن وجوه: منها: أنَّ المدح للحي ولغيرِ الحي، والحمد للحي فقط، ومنها: أنَّ المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، والحمد إنَّما يكون بعد الإحسان. ومنها: أنَّ المدح قد يكون منهيًا عنه. والحمد مأمور به مطلقًا، ومنها: أنَّ الحمد نقيضه الذَّم، والمدح نقيضه الهجاء"(١).

**ثانيًا: فوائد مهمة:**

**من هذه الفوائد ما قاله ابن منظور** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَبَخٍ: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الْمَدْحِ لِلشَّيْءِ وَتُكَرَّرُ لِلْمُبَالَغَةِ فِيهِ، وأَصلها التَّخْفِيفُ، وَقَدْ تُشَدَّدُ"(٢). وقال: "نَسِيج وَحْدَهُ، تأتي فِي الْمَدْحِ"(٣). وقال: "هرف: الهَرْفُ: مُجاوزةُ القَدْر فِي الثَّنَاءِ والمدْحِ والإِطْناب فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ كأَنَّه يَهْذِر... وَفِي الْمَثَلِ: لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِف، وَفِي رِوَايَةٍ: قَبْلَ أَن تَعْرِفَ، أَي لَا تَمْدَحْ قَبْلَ التَّجْرِبَةِ، وَهُوَ أَن تَذْكُرَهُ فِي أَوَّل كَلَامِكَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي حَمْدٍ وَثَنَاءٍ"(٤).

**ومن فوائد صاحب كتاب نجعة الرَّائد: (فَصْلٌ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ)**: "يُقَالُ: مَدَحَهُ، وَامْتَدَحَهُ، وَقَرَّظَهُ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَذَكَرَهُ بِخَيْرٍ، وَذَكَرَهُ بِصَالِحٍ، وَذَكَرَهُ بِالْجَمِيلِ، وَأَجْمَلَ ذِكْره، وَأَشَادَ بِذِكْرِهِ، وَعَدَّدَ مَآثِره، وَأَذَاعَ مَنَاقِبَهُ، وَنَشَرَ مَسَاعِيَهُ، وَأَظْهَرَ مَحَامِده، وَأَعْلَنَ مَفَاخِرَهُ، وَأَطْنَبَ فِي فَضَائِلِهِ، وَنَوَّهَ بِصَنَائِعِهِ،

---

(١) أبو هلال العسكري: معجم الفروق اللغوية (ص: ٢٠٢).

(٢) ابن منظور: لسان العرب (٣/ ١٩٥).

(٣) السَّابق (٤/ ٦٢٤).

(٤) السَّابق (٩/ ٣٤٧).

وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ خلائِقِهِ، وَأَكْثَرَ مِنْ مَدْحِهِ، وَأَطَالَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَوَصَفَهُ أَحْسَن وَصْفٍ، وَذَكَرَهُ أَجْمَلَ ذِكْرٍ، وَمَدَحَهُ أَبْلَغَ مَدْحٍ، وَخَلَعَ عَلَىٰ عِرْضِهِ أَجْمَلَ الْحُلَل، وَنَشَرَ طِرَاز مَحَاسِنه فِي الْمَجَالِسِ، وَنَثَرَ لآلِئَ وَصْفه فِي الْمَحَافِلِ، وَسَيَّرَ ذِكْرَ مَحَامِده فِي الآفَاقِ.

**وَيُقَالُ**: هَتَفْتُ بِفُلانٍ إِذَا مَدَحْتَهُ، وَخَلَّفْتُهُ بِخَيْرٍ عِنْدَ الْقَوْمِ إِذَا ذَكَرْتَهُ بِالْجَمِيلِ، وَفُلان حَسَن الْمَحْضَر إِذَا كَانَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الْغَائِب بِخَيْر. وَأَطْرَيْتُهُ إِطْرَاء، وَأَطْرَأْتُهُ بِالْهَمْزِ، إِذَا بَالَغْتَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

**وَتَقُولُ**: فُلان يَتَبَجَّحُ عَلَيْنَا بِفُلانٍ، وَيَتَمَجَّح عَلَيْنَا بِهِ، أَيْ يُبَاهِي بِهِ وَيَهْذِي بِمَدْحِهِ، وَهُوَ يَهْرِفُ بِفُلان نَهَاره كُلَّه، أَيْ يُطْنِبُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَىٰ الْهَذَيَانِ. وَتَقُولُ فُلان طَيِّب الثَّنَاء، وَطَيِّب النَّثَا، جَمِيل الذِّكْر مَحْمُود الشُّهْرَة، جَمّ الْفَضَائِل، كَثِير الْمَمَادِح.

وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْل النَّجَابَة، وَالنُّبْل، وَالْمُرُوءَة، وَالشَّهَامَة، وَالْكَرَم، وَالْجُود، وَالإِحْسَان، وَالْحِلْم، وَالأَنَاة، وَالدَّعَة، وَالرِّقَّة. وَمِنْ ذَوِي الرَّصَانَة، وَالْحَصَافَة، وَالْحُنْكَة، وَالرَّأْي، وَالسَّدَاد، وَالْعِلْم، وَالأَدَب، وَالْفَضْل، وَالتُّقَىٰ، وَالصَّلَاح، وَالْكَمَال، وَالْخَيْر، وَالسَّمْت. وَمِنْ أُولِي الشَّرَف، وَالْحَسَب، وَالْمَجْد، وَالْجَلالَة، وَالنَّبَاهَة، وَالْمَعَالِي، وَالنَّخْوَة، وَالنَّجْدَة، وَالْبَسَالَة، وَالسَّيْف، وَالْقَلَم.

وَفُلانٌ يُقَصِّرُ عَنْ حَقِّهِ طَوِيلُ الثَّنَاءِ، وَيَضِيقُ بِمَدْحِهِ الثَّنَاءُ الْعَرِيضُ، وَلا يَبْلُغُ كُنْه مَحَامِدِهِ لَفْظٌ، وَلا يُحِيطُ بِمَعَانِي مَدْحِهِ وَصْفٌ، وَإِنَّ لَهُ خُطىً فِي الْفَضْلِ يَظْلَعُ وَرَاءَهَا الْقَلَم، وَغَايَة فِي الْمَجْدِ يَحْسِرُ مِنْ دُونِهَا الْفِكْر، وَبَسْطَة فِي الْكَرَمِ تَضِيقُ عَنْ اِسْتِيعَابِهَا الصِّفَات، وَلا عَيْبَ فِيهِ سِوَىٰ أَنَّ فَضْلَهُ قَدْ أَعْجَزَ الْبُلَغَاءَ

وَقَصَّرَتْ عَنْ مُجَارَاتِهِ الْكِرَام.

**وَيُقَالُ**: فِي ضِدِّ ذَلِكَ ذَمَّهُ، وَثَلَبَهُ، وَسَبَّهُ، وَعَابَهُ، وَشَتَمَهُ، وَعَيَّرَهُ، وَتَنَقَّصَهُ، وَاغْتَابَهُ، وَنَزَغَهُ، وَلَمَزَهُ، وَهَمَزَهُ، وَقَدَحَ فِيهِ، وَغَمَزَ فِيهِ، وَطَعَنَ فِيهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ، وَوَقَعَ فِيهِ، وَشَنَّعَ عَلَيْهِ، وَشَنَّرَ عَلَيْهِ، وَزَرَىٰ عَلَيْهِ، وَسَمَّعَ بِهِ، وَنَدَّدَ بِهِ، وَوَقَعَ فِي عِرْضِهِ، وَهَجَّنَ عِرْضَهُ، وَهَتَرَ عِرْضَهُ، وَنَهَكَ عِرْضَهُ، وَانْتَهَكَهُ، وَأَطَالَ عَلَيْهِ لِسَانه، وَلَسَعَهُ بِلِسَانِهِ، وَلَسَبَهُ، وَلَدَغَهُ، وَبَسَطَ لِسَانه فِيهِ، وَأَخَذَهُ بِلِسَانِهِ، وَتَنَاوَلَهُ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ فِيهِ، وَنَالَ مِنْهُ، وَنَالَ مِنْ عِرْضِهِ، وَذَكَرَهُ بِالسُّوءِ، وَتَنَاوَلَهُ بِالْقَبِيحِ، وَاسْتَطَالَ فِي عِرْضِهِ، وَقَرَضَ عِرْضَهُ، وَاقْتَرَضَهُ، وَمَضَغَهُ، وَلَاكَهُ. وَمَا زَالَ فُلان يَتَتَبَّعُ هَفَوَات فُلان، وَيَتَعَقَّبُ سَقَطَاته، وَيَتَرَقَّبُ فَرَطَاته، وَيَتَرَصَّدُ عَثَرَاته، وَيُنَقِّبُ عَنْ عَوْرَاتِهِ، وَيَعُدُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسه.

وَقَدْ أَصَابَ مِنْهُ مُتَرَقَّعًا، وَأَصَابَ مِنْهُ مَغْمَزًا -أَيْ مَوْضِعًا لِلذَّمِّ- وَمَا بَرِحَ يُنَبِّهُ عَلَىٰ عُيُوبِهِ، وَيَنْعَىٰ عَلَيْهِ عُيُوبَهُ، وَمَعَايِبه، وَمَعَايِرَهُ، وَمَثَالِبه، وَمَقَابِحَهُ، وَمَشَاينه، وَمَخَازِيه، وَمَسَاوِئَهُ، وَمَذَامّه، وَمَطَاعِنه، وَنَقَائِصه، وَغَمَائِزه، وَعَوْرَاته، وَسَوْآته. وَفُلانٌ يَقْذَعُ ذَوِي الأَحْسَاب الشَّرِيفَة، وَيَنْحِتُ أَثْلَتهم، وَيُقَطِّع أَعْرَاضَهُمْ، وَيَلُوك أَعْرَاضهمْ، وَيَسْرَح فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَيَنْتَهِك حُرُمَاتِهِمْ.

وَهُوَ يُصْغِي إِنَاء فُلان، وَيَقْرَعُ مَرْوَتَهُ، وَيَقْرَعُ صَفَاته، وَيُمَزِّقُ فَرْوَتَهُ، وَيَجُبُّ ذِرْوَته، وَيَغْمِزُ قَنَاته، وَيَغْمِزُ صَعْدَتَهُ، أَيْ يَتَنَقَّصُهُ وَيَقَعُ فِيهِ، وَقَدْ رَمَاهُ بِالْهَاجِرَاتِ، وَالْمُهْجِرَاتِ، وَهِيَ الْفَضَائِحُ.

وَإِنَّهُ لَرَجُلِ ذَرِع، خَبِيث اللِّسَانِ، طَوِيل اللِّسَانِ، وَقَّاع فِي الأَعْرَاضِ، وَإِنَّهُ لَمَضَّاغ لِلْحُومِ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لَيَمْضَغ لُحُومَهُمْ، وَيَأْكُل لُحُومَهُمْ، وَهُوَ رَجُلٌ هَمَّازٌ

لَمَّاز، وَهُمَزَة لُمَزَة، وَرَجُلٌ لُسَعَة، وَلَساعَة، وَلَسَّابَة، وَقَرَّاصَة، وَلَدَّاغَة، وَإِنَّهُ لَفكِه بِأَعْرَاض النَّاس أَيْ يَتَلَذَّذُ بِاغْتِيَابِهِمْ، وَقَدْ مَرَجَ لِسَانه فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَأَمْرَجَهُ، أَيْ أَطْلَقَهُ بِالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ.

**وَيُقَالُ**: شَحَذْتَ لِسَانَك عَلَيْنَا، وَأَرْهَفْتَهُ عَلَيْنَا، أَيْ حَدَّدْتَهُ لِثَلْب أَعْرَاضنَا. وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قَوَارِع فُلان، وَلَوَاذِعه، وَنَوَاقِرِه، وَمِنْ قَوَارِص لِسَانه، وَحَصَائِد لِسَانه، وَقَدْ أَتَتْنِي مِنْ فُلان قَوَارِص، وَلَوَاسِع، وَأَتَتْنِي عَنْهُ نَوَاقِر، وَلا تَزَالُ تَقْرُصُنِي مِنْ فُلان قَارِصَة. وَتَقُولُ خَلَفَهُ عِنْدَ الْقَوْمِ بِشَرٍّ كَمَا تَقُولُ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ أَيْ ذَكَرَهُ بِهِ.

**وَيُقَالُ**: هَجَاهُ هَجْوًا، وَهِجَاء، وَهُوَ الذَّمُّ بِالشِّعْرِ خَاصَّة، وَقُلِّدَ فُلان قِلادَة سُوء إِذَا هُجِيَ بِمَا بَقِيَ عَلَيْهِ وَسْمُهُ، وَقَدْ طُوِّقَ طَوْقًا لا يَبْلَىٰ، وَهَذَا كَلام يَبْقَىٰ مِيسَمه عَلَيْهِ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ. وَيُقَالُ قَشَبَنِي فُلان بِعَيْبِ نَفْسِهِ أَيْ لَطَخَنِي بِهِ، وَهُوَ قَاشِبٌ أَيْ يَعِيبُ النَّاس بِمَا فِيهِ، وَفِي الْمَثَلِ "رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ"، و "عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَةَ نَسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَهُ".[1].

(١) إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الْيَازِجِيّ الْحِمْصِيّ نصراني الدِّيانة (ت١٣٢٤هـ): نجعة الرَّائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، مصر، سنة، ١٩٠٥م (٢/ ١٧٦: ١٨١).

**من هذه الفوائد، جواز القدح أو الغيبة في مواضع:** قد أباح العلماء الغيبة في أمور جمعها القائل في قولهِ[1]:

تَـجَنَب غَـيـبـة إلَّا أمـورًا بِبَيْتٍ جَاءَ عَن بَعْضِ الأَكابِرِ
تَظلَّم واستغثْ واستفتِ حَذّر وَعَرّف بدعة فسق المجاهِرِ

**وجمعها بعض أهل العلم في هذين البيتين[2]:**

الـقَـدحُ لـيس بِغيبةٍ في ستَّةٍ مُتظلِّمٍ ومُعرِّفٍ ومُحذِّرِ
ولِمُظهِرٍ فِسقًا ومُستَفتٍ ومَنْ طَلَبَ الإعَانَةَ فِي إزَالَةِ مُنكَرِ

**باب مَا يُباح من الغيبة:**

قال **الإمام النَّووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعْلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إلَيْهِ إلاَّ بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أسْبَابٍ:

**الأوَّلُ: التَّظَلُّمُ**، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أنْ يَتَظَلَّمَ إلَىٰ السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهما مِمَّنْ لَهُ وِلايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَىٰ إنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلاَنٌ بكذا.

---

(١) محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت١٣٥٤هـ): كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (١٢/ ١٣٤).

(٢) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشَّافعي (ت١٠٥٧هـ): دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالحين، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطّباعة والنَّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطَّبْعَةُ: الرَّابعة، سنة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٨/ ٣٦٢)، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت١١٨٢هـ): سبل السَّلام، دار الحديث، الطَّبْعَةُ: بدون طبعة، وبدون تاريخ (٢/ ٦٧١)، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ): كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النَّوادر - سوريا، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م (٥/ ٤٥٢).

**الثَّاني: الاسْتِعانَةُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ المُنْكَرِ**، وَرَدِّ العَاصِي إِلَىٰ الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتهُ عَلَىٰ إزالَةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازْجُرْهُ عَنْهُ ونحو ذَلِكَ ويكونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَىٰ إزالَةِ المُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

**الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ**، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبي، أَوْ أخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بِكَذَا، فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقي في الخلاصِ مِنْهُ، وتَحْصيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأحْوطَ والأفضَلَ أنْ يقول: مَا تقولُ في رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أمْرِهِ كذا، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيينٍ وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيينُ جَائِزٌ.

**الرَّابِعُ: تحذير المسلمين مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ**، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

**مِنْهَا**: جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ، وذلكَ جَائِزٌ بِإجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ.

**وَمِنْهَا**: المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنْسانٍ، أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أو معاملتِهِ، أوغير ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَىٰ المشاوَر أنْ لا يخفيٰ حاله، بل يذكر المساوىء التي فيه بنيّة النَّصيحة.

**وَمِنْهَا**: إِذَا رأى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَىٰ مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِك، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبَيانِ حَالِه، بِشَرْطِ أنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغلَطُ فِيهِ. وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطان عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أنَّهُ نَصِيحَةٌ فَليُتَفَطَّنْ لذلك.

**وَمِنْهَا**: أن يكون له ولاية لايقوم بها علىٰ وجهها، إِمَّا بأن لايكون صَالِحًا لَهَا، وإِمَّا بِأنْ يكونَ فَاسِقًا أَوْ مُغَفَّلاً وَنَحوَ ذَلِكَ فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ

ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يُصْلحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَىٰ حالِهِ، وَلاَ يَغْتَرَّ بِهِ، وأنْ يَسْعَىٰ في أنْ يَحُثَّهُ عَلَىٰ الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

**الخامِسُ: أنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ** كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المكْسِ؛ وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا وَتَوَلِّي الأُمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ؛ وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إلاَّ أنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخر ممَّا ذكرناه.

**السَّادِسُ: التعرِيفُ**، فإذا كَانَ الإنْسانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كالأعْمَشِ، والأعرَجِ، والأَصَمِّ، والأعْمىٰ، والأحْوَلِ، وغَيْرِهِمْ جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه علىٰ جهة التَّنقص، ولو أمكن تعريفهم بِغَيرِ ذَلِكَ كَانَ أوْلَىٰ.

فهذه ستَّةُ أسبابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ وأكثَرُها مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلائِلُهَا مِنَ الأحادِيثِ الصَّحيحَةِ مشهورَةٌ"[1].

❁❁❁

(١) أبو زكريا محيي الدّين يحيى بن شرف النَّووي (ت٦٧٦هـ): رياض الصَّالحين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، سنة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م (ص: ٤٣٢).

## الفصل الأوَّل

### ضوابط الثَّنَاء المشروع والممنوع، وفيه:

- حكم المدح.
- مراتب الناس في المدح والذم.
- النهي عن تزكية الإنسان نفسه.
- آفات المدح.
- النهي عن الإفراط في المدح.
- جواز مدح الرجل نفسه إذا جُهل أمره للحاجة.
- أحوال الثناء على النفس.
- ذم من أحب أن يُحمد ويثنى عليه بما لم يفعل.
- من أثنى على أخيه بما يعلم.
- أقوال العلماء في المدح في الوجه.
- الشُّكر والثَّنَاء على المعروف.
- ضوابط الثناء المباح.
- عِلَاج حبِّ الْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ.
- بيان السبب في حب المدح والثناء، وبغض الذَّم.

**قضية الثَّنَاء والمدح تحتاج إلىٰ وقفةٍ لمناقشةِ المشروع والممنوع وما يتعلق بها من أمورٍ لا غنىٰ عنها لكلِ مسلم، وتتضح تلك الأمور خلال هذا الفصل.**

**حكم المدح**[1]:

قال **الإمام النَّووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "أعلم أنَّ مدح الإنسان والثَّنَاءَ عليهِ بجميلِ صفاتهِ قد يكون في حضورِ الممدوحِ، وقد يكون بغيرِ حضورهِ، فأمَّا الذي في غير حضورِه، فلا منعَ منه إلَّا أن يُجازف المادحُ ويدخل في الكذبِ، فيحرُم عليهِ بسببِ الكذبِ لا لكونهِ مدحًا، ويُستحبُّ هذا المدح الذي لا كَذِبَ فيه إذَا تَرَتَّبَ عليهِ مصلحةٌ ولم يجرّ إلىٰ مفسدةٍ بأن يبلغَ الممدوحَ فيفتتن بهِ، أو غير ذلك. وَأَمَّا المدحُ في وجهِ الممدوحِ فقد جاءت فيهِ أحاديث تقتضي إباحتَه أو استحْبَابه، وأحاديثه تقتضي المنع منه. قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يُقال: إن كان الممدوحُ عنده كمالُ إيمان، وحسنُ يقين، ورياضةُ نفس، ومعرفةٌ تامةٌ، بحيثِ لا يفتتن، ولا يغترّ بذلك، ولا تلعبُ به نفسُه، فليس بحرامٍ ولا مكروهٍ، وإن خِيْفَ عَلَيهِ شيءٌ من هذه الأمور، كُرِهَ مدحُه كراهةً شديدة"[2].

---

(١) أفادني الله عَزَّوَجَلَّ من كتاب: إبراهيم بن رشاد الفقي: المدح آدابٌ وأحكامٌ، مكتبة مكة، طنطا، مصر، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م، في هذا الفصل في الرُّجوعِ إلىٰ بعض المصادر المهمة.

(٢) النَّووي: الأذكار، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطّباعة والنَّشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، سنة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م (ص: ٢٧٦).

## مَرَاتِبُ النَّاس فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ:

**قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: النَّاس في أخلاقهم علىٰ سبع مراتب:**

١-**فطائفة تمدح في الوجهِ وتُذم في المغيبِ**، وهذه صفة أهل النّفاق من العيَّابين وهذا خلق فاشٍ في النَّاس غالبٌ عليهم.

٢-**وطائفة تذم في المشهدِ والمغيبِ**، وهذه صفة أهل السَّلاطة والوقاحة من العَيَّابين.

٣-**وطائفة تمدح في الوجهِ والمغيبِ**، وهذه صفة أهل الملق والطَّمع.

٤-**وطائفة تذم في المشهدِ وتمدح في المغيبِ**، وهذه صفة أهل السَّخَف والنَّوَاكة.

٥-**وَأَمَّا أهل الفضل فيمسكون عن المدحِ والذَّم في المشاهدةِ ويُثنون بالخيرِ في المغيبِ أو يُمسكون عن الذَّم.**

٦-**وَأَمَّا العيَّابون البرآء من النِّفَاق والقحة**، فيمسكون في المشهدِ وَيُذَمُّون في المغيبِ.

٧-**وَأَمَّا أهل السَّلامة فيمسكون عن المدحِ وعن الذَّم في المشهدِ والمغيبِ**، ومن كل من أهل هذه الصِّفات قد شاهدنا وبلونا"[1].

---

(١) تنظر هذه النقاط السَّبع عند: علي بن أحمد بن سعيد بْنِ حَزْمٍ، أبو محمد، الأَنْدَلُسِيّ (٣٨٤ - ٤٥٦هـ): الأخلاق والسِّير، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م (ص: ١٠٨-١٠٩).

**النَّهْي عَنْ تَزْكِيَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِ وَإِيكَال السَّرَائِرَ إِلَى اللهِ:**

قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[1]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[2]، وقد ذهب الفقهاء إلىٰ أَنَّه لا يجوز للإنسانِ في الجملةِ أن يَمدح نفسه وأن يُزَكِّيها من غيرِ حاجةٍ، وأن يكل سرائر القلوب إلىٰ علاَّم الغيوب، قال **الإمام النَّووي**: **"وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فَإِنَّمَا هُوَ لِمَنْ زَكَّاهَا وَمَدَحَهَا لِغَيْرِ حَاجَةٍ بَلْ لِلْفَخْرِ وَالْإِعْجَابِ"**[3].

وَقَالَ في **الأذكارِ**: "اعلم أنَّ ذكرَ محاسن نفسه ضربان: مذمومٌ، ومحبوبٌ، فالمذمومُ أن يذكرَه للافتخارِ وإظهار الارتفاع والتميّز علىٰ الأقران وشبه ذلك، والمحبوبُ أن يكونَ فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمرًا بمعروفٍ، أو ناهيًا عن منكرٍ، أو ناصحًا أو مشيرًا بمصلحةٍ، أو مُعَلِّمًا، أو مُؤَدِبًا، أو وَاعِظًا، أو مُذَكِّرًا، أو مُصْلِحًا بين اثنين، أو يَدفعُ عن نفسِهِ شرًّا، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنَه ناويًا بذلك أن يكون هذا أقربَ إلىٰ قَبول قولِهِ واعتماد ما يذكُره، أو أنَّ هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك، وقد جاء في هذا المعنىٰ ما لا يُحْصَىٰ من النُّصوصِ"[4]، كقولِ النَّبيّ ﷺ: «**أنا النَّبِي لا**

---

(١) سورة النجم الآية: (٣٣).

(٢) سورة النساء الآية: (٤٩).

(٣) ينظر: النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة ١٣٩٢هـ (١٦/ ١٦).

(٤) النَّووي: الأذكار (ص: ٢٧٨).

كَذِبْ»[1]، «أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ»[2]، «أنا أَعْلَمُكُمْ باللهِ وأتْقاكُمْ»[3]، «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»[4].

قال الإمام الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ:"مَدْحَ النَّفْسِ غَيْرُ مَمْنُوعٍ مِنْهُ مُطْلَقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]. [6].

## حَاصِلُ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ:

أنَّ مدح النَّفس أو الغير، غير ممنوع منه مطلقًا، وإنَّما يرجع النَّهي أو التحريم في ذلك إلىٰ القصد والنّية، فإن كان قصده الخير أو النَّفع، أو التحدث بنعمِ اللهِ عليهِ، فذلك جائز. وأمَّا إذا كان قصده العكس من ذلك، كأن يكون هذا الثَّنَاء والمدح علىٰ سبيل التَّفاخر والتَّعالي علىٰ خلقِ اللهِ، أو التوصل إلىٰ شيءٍ حرَّمهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ فهذا لا يجوز والله أعلم[7].

## آفات المدح:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَاعْلَم أَن الْمَدْح يشْتَمل علىٰ آفتين: إِحْدَاهمَا تتَعَلَّق بالمادحِ وَهِي الْكَذِب الَّذِي لَا يكَاد يتَخَلَّص مِنْهُ. وَالثَّانِية: تتَعَلَّق

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٦)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، (١٩٦٦)، (٦٨٥١)، (٧٢٤٢).

(٥) سورة الضُّحَى الآية: (١١).

(٦) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرَّازي الملقب بفخر الدين الرَّازي خطيب الرَّي (ت٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة سنة، ١٤٢٠هـ (٢/ ٣٩٢).

(٧) إبراهيم بن رشاد الفقي: المدح آدابٌ وأحكامٌ (ص:٢٤-٢٥).

بالممدوح وَهِي تحريكه إِلَىٰ التكبر بفضائله، والطَّبع كَافٍ فِي جلب الْكبر وَغَيره من الشَّرّ فَيحْتَاج إِلَىٰ مقاومة تضاده، فَإِذا جَاءَ الْمَدْح أعَان الطَّبْع فَزَاد الْفساد"[1].

**وَفِي الحَدِيث الأول من أَفْرَاد مُسلم:**

جَعَلَ رجل يمدح **عُثْمَان**، فَجعل **الْمِقْدَاد** يحثو فِي وَجهه الْحَصْبَاء وَقَالَ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ**». الْحَصْبَاء والحصبة: صَغِير الْحِجَارَة. والمدَّاح: الَّذِي يتَكَرَّر مِنْهُ الْمَدْح، وَهُوَ الَّذِي قد جعله عَادَة لَهُ، وَمثل ذَلِك لَا يسلم من الْكَذِب[2].

**قال المُناوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِذا رَأَيْتُمْ المَدَّاحِين، أَي الَّذين صناعتهم الثَّنَاء علىٰ النَّاس (فاحثوا فِي وُجُوههم التُّرَاب)، أعطوهم شَيْئًا قَلِيلًا يُشبه التُّرَاب لِخستهِ، أَو اقْطَعُوا ألسنتهم بِالْمَالِ، وَإِرَادَة الْحَقِيقَة فِي حيّز الْبُعد"[3].

**قال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَلِلْعُلَمَاءِ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:**

**أَحَدُهَا**: هَذَا، وَهُوَ حَمْلُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَاسْتَعْمَلَهُ الْمِقْدَادُ رَاوِي الْحَدِيثِ.

**وَالثَّانِي**: الْخَيْبَةُ وَالْحِرْمَانُ كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ رَجَعَ خَائِبًا رَجَعَ وَكَفُّهُ مَمْلُوءَةٌ تُرَابًا.

**وَالثَّالِثُ**: قُولُوا لَهُ: بِفِيكَ التُّرَابُ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ لِمَنْ تَكْرَهُ قَوْلَهُ.

**وَالرَّابِعُ**: أَنَّ ذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَمْدُوحِ، كَأَنْ يَأْخُذَ تُرَابًا فَيَبْذُرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَذَكَّرُ

---

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ): كشف المشكل من حديث الصَّحيحين، تحقيق: عليّ حسين البواب، دار الوطن – الرياض (١/ ٤١٢).

(٢) ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصَّحيحين (٤/ ٢٧).

(٣) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ): التيسير بشرح الجامع الصَّغير، مكتبة الإمام الشَّافعي – الرِّياض، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م (١/ ١٠١).

بِذَلِكَ مَصِيرَهُ إِلَيْهِ، فَلَا يَطْغَىٰ بِالْمَدْحِ الَّذِي سَمِعَهُ.

**وَالْخَامِسُ**: الْمُرَادُ بِحَثْوِ التُّرَابِ فِي وَجْهِ الْمَادِحِ إِعْطَاؤُهُ مَا طُلِبَ؛ لِأَنَّ كُلَّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ، وَبِهَذَا جَزَمَ **الْبَيْضَاوِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: شَبَّهَ الْإِعْطَاءَ بِالْحَثْيِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّرْشِيحِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْلِيلِ وَالِاسْتِهَانَةِ.

**قَالَ الطِّيبِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ دَفْعُهُ عَنْهُ وَقَطْعُ لِسَانِهِ عَنْ عِرْضِهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الرَّضْخِ، وَالدَّافِعُ قَدْ يَدْفَعُ خَصْمَهُ بِحَثْيِ التُّرَابِ عَلَىٰ وَجْهِهِ اسْتِهَانَةً بِهِ"[1].

ومن فوائد حديث النَبيّ ﷺ **لأَشَجِّ عبدِ القَيْسِ** رضي الله عنه: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللهُ: الحِلْمُ والأناةُ**»، ... قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَفِيهِ جَوَازُ الثَّنَاءِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ إِذَا لَمْ يُخَفْ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ بِإِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ، وَأَمَّا اسْتِحْبَابُهُ فَيَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ، وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ الْمَدْحِ فِي الْوَجْهِ فَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَقَدْ مَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فِي الْوَجْهِ فَقَالَ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: «**لَسْتَ مِنْهُمْ**»، وَقَالَ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ**»، «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»، وَقَالَ لَهُ: «**وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»، أَيْ مِنَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَقَالَ ﷺ: "**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**"، وقال ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ**

---

(١) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي(ت٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، رَقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلَّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، سنة، ١٣٧٩هـ (١٠/ ٤٧٨).

وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»، وَقَالَ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ وَرَأَيْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟"، وَقَالَ لَهُ: «مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»، وَقَالَ ﷺ: «افْتَحْ لِعُثْمَانَ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، وَقَالَ لِعَلِيٍّ ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ»، وَقَالَ ﷺ لِبِلَالٍ: «سَمِعْتُ دَقَّ نَعْلَيْكَ فِي الْجَنَّةِ»، وَقَالَ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ: «أَنْتَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ»، وَقَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ: «ضَحِكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا»، وَقَالَ لِلْأَنْصَارِ: «أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ». وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ مِنْ مَدْحِهِ ﷺ فِي الْوَجْهِ، وَأَمَّا مَدْحُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يُقْتَدَىٰ بِهِمْ ﷺ أَجْمَعِينَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ وَاللهُ أَعْلَمُ"[1].

## النَّهْي عَنِ الْمَدْحِ إِذَا كَانَ فِيهِ افراط وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَةً عَلَىٰ الْمَمْدُوحِ:

مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا»، معنىٰ الحَدِيث: "أَنَّك عرَّضت صَاحبك للهلاكِ بمدحك إِيَّاه، لِأَنَّ الْمَدْح يُحَرك إِلَىٰ الْإِعْجَاب بِالنَّفسِ، وَالْكبر. وَقَوله: "وَالله حسيبه" أَي محاسبه علىٰ أَعماله، فَإِن شَاءَ عاقبه بذنوبه"[2].

---

(١) النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٩٥-١٩٦).

(٢) ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصّحيحين (٢/ ١٣-١٤).

ذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي هَذَا الْبَابِ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمَدْحِ وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِالْمَدْحِ فِي الْوَجْهِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهَا؛ أَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَىٰ الْمُجَازَفَةِ فِي الْمَدْحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَوْصَافِ، أَوْ عَلَىٰ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ مِنْ إِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ، وَأَمَّا من لايُخاف عَلَيْهِ ذَلِكَ لِكَمَالِ تَقْوَاهُ وَرُسُوخِ عَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ؛ فَلَا نَهْيَ فِي مَدْحِهِ فِي وَجْهِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُجَازَفَةٌ، بَلْ إِنْ كَانَ يَحْصُلُ بِذَلِكَ مَصْلَحَةٌ كَنَشَطِهِ لِلْخَيْرِ وَالِازْدِيَادِ مِنْهُ، أَوِ الدَّوَامِ عَلَيْهِ، أَوِ الِاقْتِدَاءِ بِهِ، كَانَ مُسْتَحَبًا"[1].

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَىٰ رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ»، مَعْنَاهُ: أَهْلَكْتُمُوهُ، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ مِنْ قَطْعِ الْعُنُقِ الَّذِي هُوَ الْقَتْلُ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْهَلَاكِ، لَكِنْ هَلَاكَ هَذَا الْمَمْدُوحِ فِي دِينِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا لِمَا يُشْتَبَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَالِهِ بِالْإِعْجَابِ، وَقَوْلُهُ (وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ) هِيَ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَالْإِطْرَاءُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ"[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فنهىٰ ﷺ أن يفرط في مدح الرَّجل بِمَا ليس فيهِ فيدخله في ذلك الإعجاب والكبر، وَيَظن أَنَّه في الحقيقةِ بتلك المنزلة فيحمله ذلك علىٰ تضييع العمل وترك الازدياد من الفضلِ"[3].

---

(١) النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٨/ ١٢٦).

(٢) السَّابق (١٨/ ١٢٧).

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السُّعودية، سنة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م (٥/ ٢٤٧).

قال **القاضي عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومعنىٰ قطع العنق هنا وقطع الظَّهر: الهلاك، وأصله القتل، وهذا استعارة له من ذلك بهلاكهِ من جهة الدِّين، وربما كان من جهة الدُّنيا أيضًا، وما يسببه عليهِ عجبه"(١).

قال **المهلب** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَإِنَّما قال هذا -والله أعلم- لئلَّا يغتر الرَّجل بكثرةِ المدح، ويرىٰ أَنَّه عند النَّاس بتلك المنزلة، فيترك الازدياد من الخيرِ ويجد الشَّيطان إليهِ سبيلًا، ويوهمه فى نفسهِ حتىٰ يضع التَّواضع للهِ"(٢).

**وللبغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ رأيٌ آخر حيث قال: "وَفِي الْجُمْلَة الْمَدْح وَالثَّنَاء علىٰ الرجل مَكْرُوه؛ لِأَنَّهُ قَلَّمَا يسلم المادح عَن كذب يَقُوله فِي مدحهِ، وَقَلَّمَا يسلم الممدوح، من عجبٍ يدْخلهُ"(٣). "فَعَلىٰ المرء ألَّا يغتر بثناءِ النَّاس عليهِ، وإفراطهم في مدحهِ"(٤).

---

(١) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ): شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنَّشر والتوزيع، مصر، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٨/ ٥٥٠).

(٢) ابن بَطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ): شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السُّعودية، الرياض، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م (٨/ ٤٨).

(٣) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ): شرح السّنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (١٣/ ١٥١).

(٤) إبراهيم بن رشاد الفقي: المدح آداب وأحكام (ص:٣٠).

**النَّهْي عَنْ مُبَالَغَةِ الْحَدِّ فِي الثَّنَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:**

عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** ﷺ أَنَّه، سَمِعَ عُمَرَ ﷺ، يَقُولُ عَلَىٰ المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»(١). فمعناه: "لا تصفوني بما ليس فيَّ من الصّفاتِ تلتمسون بذلك مدحي ، كما وصفت النَّصارىٰ عيسىٰ بما لم يكن فيهِ، فنسبوه إلىٰ أنَّه ابن الله فكفروا بذلك وضلّوا. وهذا يقتضي أنَّ من رفع أمرًا فوق حده وتجاوز مقداره بما ليس فيه فمعتدٍ آثم ؛ لأنَّ ذلك لو جَازَ في أحدٍ لكان أولىٰ الخلق بذلك رسول الله ﷺ"(٢).

وعن **خَالِدُ بْنُ ذَكْوَانَ** ﷺ، قَالَ: قَالَتِ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ(٣)، فَجَلَسَ عَلَىٰ فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا، يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: «**دَعِي هَذِهِ(٤)، وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٧).

(٣) [تعليق مصطفى البغا] ٣٧٧٩ (٤/ ١٤٦٩)، [ش (دخل علي) وكان ذلك في ابتداء الأمر قبل أن يُفرض الحجاب وتثبت الأحكام كما علمت. (غداة) صبيحة. (بني عليَّ) البناء علىٰ المرأة وبها عبارة عن الدخول بها. (كمجلسك منّي) كما تجلس أنت الآن قريبًا منّي والظَّاهر أنَّ خالدًا كان مُحَرَّمًا عليها أو مملوكًا لها. (جويريات) جمع جويرية تصغير جارية وهي البنت الصَّغيرة. (يندبنَ) من النَّدبِ وهو ذكر الميت بأحسن أوصافه وهو مما يهيج الشَّوق إليهِ والبكاء. (هكذا) أي أنّي لا أعلم ما في غدٍ، لأنَّ هذا مما لا يعلمه إلَّا الله ﷻ][٤٨٥٢].

(٤) أَيِ اتْرُكِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَدْحِي الَّذِي فِيهِ الْإِطْرَاءُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ. ابن حجر: فتح الباري (٩/ ٢٠٣).

تَقُولِينَ»[1].

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفيه: جواز مدح الرَّجل فى وجهِهِ بما فيهِ، وَإِنَّما المكروه من ذلك مدحه بما ليس فيهِ"[2].

قال أبو السَّعادات رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنما منعهم أن يدعوه سيدًا مع قوله: «أنا سَيِّدُ وَلَد آدَم[3]» وقوله يوم حكم بني قريظة: «قوموا لسَيِّدِكُمْ[4]» يريد سعد بن معاذ، من أجل أَنَّهم حديثوا عهدٍ بالإسلامِ، وكانوا يحسِبون أَنَّ السِّيَادة بالنبوَّةِ هي كأسباب الدَّنيا، وكان لهم رؤوساء يعظِّمونهم، وينقادون لأمرهم، ويسمونهم السَّادات، فعلمهم الثَّنَاء عليهِ، وأرشدهم إلىٰ الأدب في ذلك، فقال: «قولوا بقولكم» أي: قولوا بقولِ أهل دينكم وملَّتكم، وادعوني نبيًا ورسولًا، كما سَمَّاني الله عَزَّوَجَلَّ في كتابِهِ، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ولا تُسَمُّونِي سيدًا، كما تُسَمُّونَ رؤساكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم، فإِنِّي لستُ كأحدهم إذ كانوا يسوِّدونكم في أسبابِ الدَّنيا، وأنا أسوِّدكم في النّبوةِ والرِّسالةِ"[5].

قال الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والنَّهي إِنَّمَا هو عن الإطراءِ، لا لمطلق المدح والثَّنَاء، لتقريرهِ ﷺ خديجة علىٰ مدحها له"[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٧)، (٤٠٠١).

(٢) ابن بَطَّال: شرح صحيح البخاري (٧/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).

(٥) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشّيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ):جامع الأصول في أحاديث الرَّسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التَّتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ (١١/ ٥٠).

(٦) علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت١٠١٤هـ): شرح الشفا، دار =

قال الذَّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالغلو والإطراء منهيٌ عنه، والأدب والتوقير واجبٌ، فإذا اشتبه الإطراء بالتوقير توقف العالم وتورع، وسأل من هو أعلم منه حتىٰ يتبين له الحق، فيقول به، وإلَّا فالسُّكوت واسع له، ويكفيه التوقير المنصوص عليه في أحاديث لا تُحصىٰ، وكذا يكفيه مجانبة الغلو الذي ارتكبه النَّصارىٰ في عيسىٰ، ما رضوا له بالنّبوةِ حتىٰ رفعوه إلىٰ الإلهية وإلىٰ الوالدية، وانتهكوا رتبة الرّبوبية الصّمدية، فضلّوا وخسروا، فإن إطراء رسول الله ﷺ يؤدي إلىٰ إساءةِ الأدب علىٰ الرَّب. نسأل اللهُ تَعَالَىٰ أن يَعصمنا بالتَّقوىٰ، وأن يحفظ علينا حبنا للنَّبيّ ﷺ كما يرضىٰ"[1].

## جَوَازُ مَدَحَ الرَّجُلُ نَفْسُهُ إِذَا جُهِلَ أَمْرُهُ لِلْحَاجَةِ:

قال تَعَالَىٰ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾[2] أي: "علىٰ خزائن جبايات الأرض وغلالها، وكيلًا حافظًا مُدَبّرًا. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حفيظٌ للذي أتولاهُ، فلا يضيع منه شيء في غير محلهِ، وضابط للدّاخل والخارج، عليمٌ بكيفيةِ التدبيرِ والإعطاءِ والمنعِ، والتّصرف في جميعِ أنواع التّصرفات، وليس ذلك حرصًا من يوسف علىٰ الولايةِ، وإنَّما هو رغبة منه في النَّفعِ العام، وقدْ عَرَفَ من نفسهِ من الكفاءةِ والأمانةِ والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه. فلذلك طلب

---

= الكتب العلمية – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢١هـ (١/ ٢٩٦).

(١) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهَبي (ت٧٤٨ هـ): ميزان الاعتدال في نقدِ الرجال، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ومحمد بركات، وعمار ريحاوي، وغياث الحاج أحمد، وفادي المغربي، مؤسسة الرِّسالة العالمية – دمشق، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م (٢/ ٥٦٦).

(٢) سورة يوسف الآية: (٥٥).

من الملك أن يجعله علىٰ خزائنِ الأرضِ، فجعله الملك علىٰ خزائن الأرض وولاه إياها"(١). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَدَحَ نَفْسَهُ، وَيَجُوزُ لِلرَّجُلِ ذَلِكَ إِذَا جُهِل أَمْرُهُ، لِلْحَاجَةِ"(٢).

وقال **العبدُ الصَّالح لِمُوسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣).

قال **العزّ بن عبدالسَّلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَا يَمْدَحُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ إلَّا إذَا دَعَتْ الْحَاجَةُ إلَىٰ ذَلِكَ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ خَاطِبًا إلَىٰ قَوْمٍ فَيُرَغِّبَهُمْ فِي نِكَاحِهِ، أَوْ فَيُعَرِّفَ أَهْلِيَّتَهُ الْوِلَايَاتِ الشَّرْعِيَّةَ وَالْمَنَاصِبَ الدِّينِيَّةَ لِيَقُومَ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنًا أَوْ كِفَايَةً"(٤).

وقال **ابن عبدالبر** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَفِيهِ جَوَازُ مَدْحِ الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الْجَلِيلِ لِنَفْسِهِ وَنَفْيِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَا يَعِيبُهُ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَعَلَيْهِ إذَا دَفَعَتْ إلَىٰ ذَلِكَ ضَرُورَةٌ أَوْ مَعْنًىٰ يُوجِبُ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ"(٥).

قال **النَّووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ كَثُرَتْ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَمَاثِلِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، كَدَفْعِ

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعدي (ت١٣٧٦هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرِّسالة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص: ٤٠١).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٩هـ (٤/ ٣٩٥).

(٣) سورة القصص الآية: (٢٧).

(٤) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، المُلَقَّب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ): قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعَلَّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، سنة، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م (٢/ ٢١٠).

(٥) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ): التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشّؤون الإسلامية – المغرب، سنة، ١٣٨٧هـ (٢٠/ ٣٩).

شَرٍّ عَنْهُ بِذَلِكَ، أَوْ تَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ لِلنَّاسِ، أَوْ تَرْغِيبٍ فِي أَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَمِنَ الْمَصْلَحَةِ قَوْلُ يُوسُفُ ﷺ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم﴾، وَمِنْ دَفْعِ الشَّرِّ قَوْلُ عُثْمَانُ ﷺ فِي وَقْتِ حِصَارِهِ: أَنَّهُ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، وَحَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ، وَمِنَ التَّرْغِيبِ قَوْلُ بن مَسْعُودٍ هَذَا وَقَوْلُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، وَقَوْلُ غَيْرِهِ: «عَلَىٰ الْخَبِيرِ سَقَطْتَ»[1]، وَأَشْبَاهُهُ"[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "يجوز إخبار الرّجل بِمَا عِنْده من الْعلم وَالْخَيْر ليقتبس مِنْهُ ولينتفع بِهِ، وَمِنْه قَول يُوسُف الصّديق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم﴾، فَمن أخبر عَن نَفسه بِمثل ذَلِك ليكْثر بِهِ مَا يُحِبهُ الله وَرَسُوله من الْخَيْر فَهُوَ مَحْمُود وَهَذَا غير من أخبر بذلك ليتكثر بِهِ عِنْد النَّاس ويتعظم وَهَذَا يجازيه الله بمقت النَّاس لَهُ وصغره فِي عيونهم، والأول يكثره فِي قُلُوبهم وعيونهم، وَإِنَّمَا الأعمال بِالنِّيَّاتِ، وَكَذَلِكَ إِذا أثنىٰ الرَّجل علىٰ نَفسه ليخلص بذلك من مظْلمَة وَشرّ، أَوْ ليستوفي بذلك حَقًّا لَهُ يحْتَاج فِيهِ إِلىٰ التَّعْرِيف بِحَالِهِ، أَوْ ليقطع عَنهُ أطماع السَّفلة فِيهِ، أو عند خطبَته إِلىٰ من لَا يعرف حَاله، والأحسن فِي هَذَا أن يُوكل من يعرف بِهِ وبحاله، فَإِن لِسَان ثَنَاء الْمَرْء علىٰ نَفسه قصيرٌ، وَهُوَ فِي الْغَالِب مَذْمُوم لِمَا يقْتَرن بِهِ من الْفَخر والتعاظم"[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٥).

(٢) النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٦).

(٣) الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ت٧٥١هـ): مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنَّشر والتوزيع (١/ ٣٩٢).

قال الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "يجوز مَدْحُ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ لِمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ لِيَكُونَ كَلَامُهُ أَوْقَعَ وَأَثْبَتَ عِنْدَ السَّامِعِ، كَمَا أَنَّهُ يَجُوزُ مَدْحُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَافْتِخَارُهُ فِي الْجِهَادِ لِيُوقِعَ الرَّهْبَةَ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ"[1].

## أَحْوَالُ الثَّنَاءِ عَلَىٰ النَّفْسِ:

فالأحوال في ثناءِ المرءِ علىٰ نفسِهِ أربع:

**الأول**: أن يريدُ بذلك التّحدث بنعمةِ اللهِ عليهِ بما حباهُ من الإيمانِ والثَّباتِ.

**الثَّاني**: أن يريدُ بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه علىٰ مثل ما كان عليهِ، وهاتان الحالتان محمودتان؛ لِمَا يشتملان عليهِ من النَّية الطَّيبة.

**الثَّالث**: أن يريدُ بذلك الفخر والتّباهي والإدلال علىٰ اللهِ ﷻ بما عليهِ من الإيمانِ والثّباتِ، وهذا غير جائز.

**الرَّابع**: أن يريدُ بذلك مجرد الخبر عن نفسهِ بما هو عليهِ من الإيمانِ والثّبات، وهذا جائز[2].

## ذَمٌّ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ وَيُثْنَىٰ عَلَيْهِ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ:

قال تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾[3]. يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُرَائِينَ الْمُتَكَثِّرِينَ بِمَا لَمْ يُعْطَوا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ): نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (٢/ ٢١٥).

(٢) تنظر هذه الأحوال عند: إبراهيم بن رشاد الفقي: المدح آدابٌ وأحكامٌ (ص:٥٢).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٨٨).

«... وَمَنْ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً...»[1]. وَفِي الصَّحِيحِ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَي زُورٍ»[2].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ دَعْوَىٰ يَتَشَبَّعُ بِهَا الْمَرْءُ بِمَا لَمْ يُعْطَ مِنْ مَالٍ يَخْتَالُ فِي التَّجَمُّلِ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، أَوْ نَسَبٍ يَنْتَمِي إِلَيْهِ ليس من جِذْمه[3]، أَوْ عِلْمٍ يَتَحَلَّىٰ بِهِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ حَمَلَتِهِ، أَوْ دِينٍ يرائي به وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَدْ أَعْلَمَ ﷺ أَنَّهُ غَيْرُ مُبَارَكٍ لَهُ فِي دَعْوَاهُ وَلَا زَاكٍ مَا اكْتَسَبَهُ بِهَا"[4].

## مَنْ أَثْنَىٰ عَلَىٰ أَخِيهِ بِمَا يَعْلَمُ:

عن ابْن عُمَر: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ حِينَ ذَكَرَ فِي الإِزَارِ مَا ذَكَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ إِزَارِي يَسْقُطُ مِنْ أَحَدِ شِقَّيْهِ، قَالَ ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ»[5]. قال ابن بَطّال رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه من الفقه: أنَّه يجوز الثَّنَاء علىٰ النَّاسِ بما فيهم علىٰ وجه الإعلام بصفاتهم لتعرف لهم سابقتهم وتقدمهم فى الفضلِ فينزلوا منازلهم وَيُقَدَّمُوا علىٰ من لايساويهم وَيُقْتَدَىٰ بهم فى الخيرِ، ولو لم يجز وصفهم بالخيرِ والثَّنَاء عليهم بأحوالهم لم يعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترىٰ أنَّ النَّبى ﷺ خَصَّ أصحابه بخواص من الفضائلِ بانوا بها عن سائرِ النَّاس وعُرِفُوا بها إلىٰ يوم القيامةِ فشهد للعشرةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بالجنّة"[6]... إلىٰ أن قال: "فَدَلَّ هذا كله أنَّ المدح

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٥، ٦٦٥٢)، أخرجه مسلم (١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

(٣) أى من فرعِهِ، فالجِذْمة: هى القطعة من الشَّىء.

(٤) القاضي عياض: شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ المُسَمَّىٰ إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم (١/ ٣٩١).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٦٢).

(٦) ابن بَطَّال: شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٥٥).

بالحقِ جائز، وأنَّ الذى لا يجوز من ذلك إنَّما هو المدح بالكذبِ، أو القصد بالمدحِ إلىٰ جهة الإعجابِ والفخر وإن كان حقًا، واللهُ الموفق"[1].

وقال **أبو حاتم** رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا يُمدح أحدًا إلَّا بما فيهِ؛ لأنَّ من مدح رجلًا بما ليس فيهِ فقد بالغ في هجائهِ، ومن قَبِلَ المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسُّخْرية"[2].

## أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَدْحِ فِي الْوَجْهِ:

قال **ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: "الثَّنَاءَ عَلَىٰ الرَّجُلِ فِي وَجْهِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ لَا يُكْرَهُ وَإِنَّمَا يُكْرَهُ الْإِطْنَابُ فِي ذَلِكَ"[3]، وقال: "يجَوَازُ مَدْحِ الرَّجُلِ فِي وَجْهِهِ مَا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى مَا لَيْسَ فِيهِ"[4]، وقال: "وَفِيهِ مَدْحُ الرَّجُلِ فِي وَجْهِهِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ ذَلِك لَا يُفْسِدهُ"[5].

قال **ابن بَطَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ: "يجوز تزكية الرَّجل فى وجههِ بما فيهِ الخير"[6]، وقال: "فبان بهذا أنَّ المدح فى الوجهِ المنهي عنه إنَّما هو المدح بالباطلِ"[7].

---

(١) السَّابق (٩/ ٢٥٦).

(٢) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ): روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت (ص: ٢٤).

(٣) ابن حجر: فتح الباري (٥/ ٢٧٥).

(٤) السَّابق (٩/ ٢٠٣).

(٥) السَّابق (٩/ ٢٧٧).

(٦) ابن بَطَّال: شرح صحيح البخاري (١/ ٣٨).

(٧) السَّابق (٣/ ٣٨١).

قال **العزّ بن عبدالسَّلام** رَحِمَهُ اللهُ: "وَكَذَلِكَ الْمَدْحُ الْمُبَاحُ لَا يُكْثِرُ مِنْهُ وَلَا يَتَقَاعَدُ عَنْ الْيَسِيرِ مِنْهُ عِنْدَ مَسِيسِ الْحَاجَةِ تَرْغِيبًا لِلْمَمْدُوحِ فِي الْإِكْثَارِ مِمَّا مَدَحَ بِهِ أَوْ تَذْكِيرًا لَهُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ لِيَشْكُرَهَا وَلِيَذْكُرَهَا بِشَرْطِ الْأَمْنِ عَلَىٰ الْمَمْدُوحِ مِنْ الْفِتْنَةِ"(١).

وجاء في موقع **طريق الإسلام**: "قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يُقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمانٍ ويقينٍ ورياضةِ نفسٍ ومعرفةٍ تامة؛ بحيث لا يُفتتن ولا يُغتَر بذلك، ولا تلعب به نفسه فليس بحرامٍ ولا مكروهٍ، وإن خِيفَ عليهِ شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجههِ كراهة شديدة، وعلىٰ هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك"(٢).

لذا: "نَجدُ في صحيح سنة نبيِّنا حمد المدحَ تارَّة وذم المدح تارة أخرىٰ، وكله حق؛ فالمدح الممدوح هو الذي في محلِهِ، والمدح المذموم هو الذي في غير محلهِ أو يُؤدِّي إلىٰ مفسدةٍ، فمن الممدوح شكر النَّاس باللسانِ علىٰ إحسانهم"(٣).

---

(١) العز بن عبدالسَّلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) موقع طريق الإسلام، رابط: http://iswy.co/e12b27

(٣) فمن أحسن إِليهِ محسنٌ؛ استُحبَّ له أن يُثني عليهِ و يمدحه بما هو فيه ذاكرًا إحسانه له، مُعْتَرِفًا بفضلِهِ عليهِ. ومن المدح المحمود: مدح الشَّخص بما فيه قبل توجيهه ونصحه، فيقدم النَّاصح بين يدي نصيحته الثَّنَاء علىٰ المنصوح، وذكر بعض الخير الذي فيه، ثم يحفزه للكمالِ بفعل بعض المأمورات أو ترك بعض المنهيات، فهذا مظنَّة الاستجابة للنَّصيحة وعدم تكدُّر الخاطر بها. ومن المدح المحمود: ما يلقاه بعض أهل الفضل من لهم مكانة دينية أو اجتماعية ممن لهم فضل علىٰ النَّاسِ، وإحسان لهم في دينهم ودنياهم، فما يجدونه من محبة النَّاس وثنائهم عليهم من غير تطلعهم لذلك الثَّنَاء، فهذا من علامات توفيق اللهُ لهم، وجعل القبول لهم في الأرضِ. ومن المدح المذموم: مدح من يُخْشىٰ عليهِ الفتنة، فَيُعْتَقَدُ فضله؛ فربما =

## الشُّكرُ وَالثَّنَاءُ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ:

قال ﷺ: «... وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

فإنْ لَمْ تَجِدوا"، أي: ما تُكافِئُوه به علىٰ ما فَعَلَ مِنْ مَعروفٍ، "فادْعُوا له حتَّى تَعْلَموا أنْ قَدْ كافَأْتُموه"، أي: اجْتَهِدوا في الدُّعاءِ له حتَّىٰ يَصِلَ الظَّنُّ في الدُّعاءِ أنَّه قَد وُفِّيَ حَقَّه، وكلُّ هذا مُرْتَبِطٌ بالقُدْرةِ والاسْتِطاعةِ وعدمِ الإعانةِ علىٰ الإثْمِ.

قال **أبو بكر الكلاباذي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُكَافَأَةِ مَنْ آتَىٰ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا، وَالْمُكَافَأَةُ مُقَابَلَةٌ بِمِثْلِ مَا أُتِيَ بِهِ إِلَيْكَ؛ لِأَنَّ الْمُكَافَأَةَ هِيَ الْمُسَاوَاةُ، وَمَنْ آتَىٰ

---

= تطرقَ لقلبِهِ الكبر والرّياء، وربما رأىٰ أنَّ له حقًّا علىٰ النَّاس وقدرًا، وربما ظنَّ أنَّه فاقَ غيره من السَّابقينَ واللاحقينَ في الفضلِ، فاتكل علىٰ ذلك وترك العمل أو قصَّر فيه. ومن المدح المذموم: المدح والثَّناء علىٰ الشَّخص بأشياءٍ لا يَطَّلِعُ عليها إلَّا الله، مِنْ صِدْقِ الإيمان والتقوىٰ والخشية، ونحو ذلك ممَّا يتعلق بالقلوبِ، ممَّا لا يَطَّلِعُ عليها إلَّا علاَّم الغيوب، وإن كان مادحًا ولا بد؛ لا يجزم المادح بذلك، بل يقول: أحسبه أو أظنه، ونحو ذلك من الألفاظ التي ليس فيها جزم. ومن المدح المذموم: مدح من لا يستحق المدح من الفُسَّاق؛ فعن بريدة أنَّ النَّبي ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدُنَا، فَإِنْ يَكُ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»؛ رواه الإمام أحمد (٢٢٤٣٠) بإسناد حسن، فنُهوا عن تعظيم المنافق، ولو كان هذا التعظيم لقدره الدنيوي، فبمدحهم له يعظمون من أهانه اللهُ، ومن يهنِ اللهُ فَمَا لهُ من مكرِمٍ، وإن كان ليس كما قالوا فقد أضافوا إلىٰ ذلك الكذب المُحرَّمُ. من يتعامل مع النَّاس قريبهم وبعيدهم بحاجة إلىٰ المدح أحيانًا، حتىٰ وإن كان الممدوح قد أدَّىٰ واجبًا، لكن يجب أن يُستخدم المدح في محلِهِ ولا يكثر منه، ولا يقع المادح في الكذبِ المحرَّم؛ فيمدح الشَّخص بما ليس فيه، أو يمدح من لا يستحق المدح.أ.هـ. بتصرف من مقالة: للشَّيخ/ أحمد الزومان، بعنوان: المدح المحمود والمدح المذموم، علىٰ شبكة الألوكة الشَّرعية بتاريخ، ٢١/ ١٠/ ١٤٢٩هـ- ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: (د) ١٦٧٢، (خد) ٢١٦، (س) ٢٥٦٧، (حم) ٥٧٤٣، صحَّحه الألباني في الإرواء: ١٦١٧، والصَّحِيحَة: ٢٥٤.

إِلَيْكَ مِنَ النَّاسِ مَعْرُوفًا فَاصْطَنِعْ إِلَيْهِ صَنِيعَةً؛ فَإِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ مِثْلِ مَا آتَىٰ إِلَيْكَ كَحَاجَتِكَ إِلَىٰ مَا اصْطَنَعَ عِنْدَكَ؛ لِأَنَّ اصْطِنَاعَهُ إِلَيْكَ فِي نَفْعٍ يَجُرُّهُ إِلَيْكَ، أَوْ ضُرٍّ يَدْفَعُهُ عَنْكَ، أَوْ خَلَّةٍ يَسُدُّهَا لَكَ، وَهُوَ ذُو خَلَّةٍ مِثْلُكَ، وَمُحْتَاجٌ إِلَىٰ دَفْعٍ وَنَفْعٍ كَانَتْ، فَإِنْ قَابَلْتَهُ بِمِثْلِهِ آتَيْتَ إِلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آتَىٰ إِلَيْكَ، فَقَدْ سَاوَيْتَهُ، وَالنِّعْمَةُ لِلَّهِ عَلَيْكَ فِي الْإِذْنِ لَهُ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَيْكَ، فَالْمُنْعِمُ عَلَيْكَ بِهَا هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَالشُّكْرُ للهِ عَلَيْكَ فَرْضٌ وَاجِبٌ، وَالشُّكْرُ رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ، وَالْتِزَامُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِالطَّاعَةِ، فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، وَالْحَمْدُ لَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالِاعْتِرَافُ بِرُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ فِي شُكْرِهِ، لِأَنَّ شُكْرَكَ لِلَّهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ، يَجِبُ عَلَيْكَ شُكْرَهَا، وَهَذِهِ لَيْسَتْ لَهَا غَايَةٌ، وَلَا حَدٌّ، فَالِاعْتِرَافُ بِالتَّقْصِيرِ لَازِمٌ فِيهِ، فَحَقُّ اللهِ فِيهِ الشُّكْرُ لَهُ عَلَىٰ هَذِهِ الشَّرِيطَةِ، وَمِنَ الْمُصْطَنِعِ مُكَافَأَتُهُ بِمِثْلِهِ، فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ مُكَافَأَتِهِ، فَالْإِحَالَةُ عَلَىٰ اللهِ، وَهُوَ الدُّعَاءُ لَهُ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ: أَنَا عَاجِزٌ عَنْ مُكَافَأَتِهِ، وَأَنْتَ عَلَيْهِ قَادِرٌ، فَكَافِئْهُ عَنِّي، وَجَازِهِ بِهِ"[1].

قال **أَبُو حاتم البستي** رَحِمَهُ اللهُ: "الواجب علىٰ من أسدىٰ إليه معروفًا أن يشكره بأفضل منه أو مثله، لأنَّ الإفضال علىٰ المعروفِ في الشَّكر لا يقوم مقام ابتدائه وإن قلَّ، فمن لم يجد فليثنِ عَلَيْهِ فإنَّ الثَّناء عند العدم يقوم مقام الشَّكر للمعروفِ، وما استغنىٰ أحدٌ عَن شكر أحدٍ.

---

(١) أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت٣٨٠هـ): بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (ص: ١٦٧).

ولقد أنشدني مُحَمَّد بْن زنجي البغدادي:

فلو كان يَستَغْنِي عَن الشُّكر ماجدٍ لعزةِ ملكٍ أو علو مكانِ
لَمَا أَمَرَ اللهُ العبادَ بشكرِهِ فقال اشكروني أيها الثَّقلانِ

وأنشدني الكريزي:

إذا المرء لم يشكر قليلًا أصابهُ فليس له عند الكثير شكور
ومن يشكر المخلوق يشكر لربهِ ومن يكفر المخلوق فهو كفور

وأنشدني مُحَمَّد بْن إِسْحَاق الواسطي:

حافظ علىٰ الشُّكر كي تستجزل القسما من ضيَّع الشُّكر لم يستكمل النَّعما
الشُّكر للهِ كنزٌ لا نفادَ لهُ من يلزم الشُّكر لم يكسب بهِ ندمًا[1].

وَقَالَ: "مَرَّ سَعِيد بْن العاص بدارِ رجل بالمدينةِ فاستسقىٰ فسقوه، ثم مرَّ بعد ذلك بالدَّار ومناد ينادي عليها: فيمن يزيد؟ فقال لمولاه: سل لِمَ تُبَاعُ هذه؟ فرجع إليهِ فقال: علىٰ صاحبها دينٌ. قَالَ: فارجع إلىٰ الدَّار، فرجع فوجد صاحبها جالسًا وغريمه معه، فقال: لِمَ تَبيعُ دارك؟! قَالَ: لهذا عليَّ أربعة آلاف دينار، فنزل وتحدث معهما، وبعث غلامه فأتاه ببدرةٍ فدفع إلىٰ الغريم أربعة آلاف، ودفع الباقي إلىٰ صاحب الدَّار وركبَ ومضىٰ"[2].

وأنشدني المنتصر بْن بلال:

ومن يُسْدِ معروفًا إليكَ فكن له شكورًا يكن معروفه غير ضائع
ولا تبخلنَّ بالشُّكرِ والقرض فاجزِهِ تكن خير مصنوع إليهِ وصانع

---

(١) أبو حاتم البُستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٦٣).
(٢) السَّابق (ص: ٢٦٣-٢٦٤).

وأنشدني بعض أهل العلم:

فكن شاكرًا للمنعمين لفضلهم وأفضل عليهم إذ قدرت وأنعم
ومن كان ذا شكر فأهل زيادة وأهل لبذل العرف من كان ينعم

وأنشدني الكريزي:

أحق النَّاس منك بحسن عون لمن سلفتْ لكم نعم عَلَيْهِ
وأشكرهم أحقهم جميعًا بحسن صنيعة منكم إِلَيهِ

## ضَوَابِطُ الثَّنَاءِ الْمُبَاحِ:

### مِنْ خِلَالَ مَا مَضَىٰ تَتَجَلَّىٰ ضَوَابِطَ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ الْمُبَاحِ وَمِنْهَا:

١-أن يلتزم المادح بالصَّدق، ولا يتجاوز الصِّفات الحقيقية في الممدوحِ، الذي هو أهلٌ لذلك.

٢-التَّوسط في المدحِ وعدم المبالغة ومجاوزة الحد.

٣-الأمن من فتنة الممدوح وحدوث الكبر والاستعلاء والفتور عن العملِ الصَّالح.

٤-تقييد الثَّناء بقولهِ: أحسبه كذلك ولا أُزَكِّي علىٰ اللهِ أحدًا، تأدبًا مع اللهِ في ردّ علم السَّرائر إليهِ، وإنَّما الأحكام تجري بالظَّاهر، والله يتولىٰ السَّرائر.

٥-ألَّا يكون هذا المدح في شأن أحد من أهل البدع والأهواء، أو أهل الفسق والفجور؛ لأنَّ ذلك فيه إقرار لهم وما هم واقعون فيه من المخالفات الشَّرعية[1].

---

(١) بتصرف من: إبراهيم بن رشاد الفقي: المدح آدابٌ وأحكامٌ (ص:١١٤-١١٥).

## عِلَاج حبِّ الْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ:

قال **الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أنَّ أكبر النَّاس إِنَّمَا هَلَكُوا بِخَوْفِ مَذَمَّةِ النَّاسِ وَحُبِّ مَدْحِهِمْ، فَصَار حَرَكَاتُهُمْ كُلُّهَا مَوْقُوفَةً عَلَىٰ مَا يُوَافِقُ رِضَا النَّاسِ رَجَاءً لِلْمَدْحِ وَخَوْفًا مِنَ الذَّمِّ، وَذَلِكَ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ، فَيَجِبُ مُعَالَجَتُهُ. وَطَرِيقُهُ مُلَاحَظَةُ الْأَسْبَابِ التي لأجلها يحب المدح ويكره الذَّمِّ.

**أَمَّا السَّبب الأول**: فهو اسْتِشْعَارُ الْكَمَالِ بِسَبَبِ قَوْلِ الْمَادِحِ، فَطَرِيقُكَ فِيهِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ عَقْلِكَ وَتَقُولَ لِنَفْسِكَ: هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي يَمْدَحُكَ بِهَا أَنْتَ مُتَّصِفٌ بِهَا أم لا؟ فإن كنتَ متصفًا بها فهي إمَّا صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع، وإمَّا صفة لا تستحق المدح كالثَّروة والجاه والأعراض الدّنيوية، فإن كانت من الأعراض الدنيوية فَالْفَرَحُ بِهَا كَالْفَرَحِ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ الَّذِي يَصِيرُ عَلَىٰ الْقُرْبِ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَهَذَا مِنْ قلّة العقل، بل العاقل يقول كما قال المتنبي:

أَشَـد الـغَـم عِـنْـدي فِي سـرورٍ تَـيَـقَـنَ عَـنـه صَـاحِبُه انتِقَالًا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدَّنيا، وإن فَرِحَ فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بوجودها، والمدح ليس هو سبب وجودها. وإن كانت الصَّفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع؛ فينبغي أن لا يفرح بها لأنَّ الخاتمة غير معلومة، وهذا إِنَّما يقتضي الفرح؛ لأنَّه يُقرِّبُ عند الله زلفىٰ، وخطر الخاتمة باقٍ.

ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدَّنيا، بل الدَّنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور، ثم إن كنتَ تفرح بها علىٰ رجاء حُسن الخاتمة، فينبغي أن يكون فرحك بفضلِ اللهِ عليك بالعلمِ والتقوىٰ لا بمدحِ المادح، فَإِنَّ اللَّذة في استشعار الكمال، والكمال موجود من فضلِ اللهِ لا من

المدح، والمدح تابع له، فلا ينبغي أن تفرح بالمدحِ والمدح لا يزيدك فضلًا، وَإِنْ كَانَتِ الصِّفَةُ الَّتِي مُدِحْتَ بِهَا أَنْتَ خالٍ عنها، ففرحك بالمدح غاية الجنون، ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول: سبحان الله!! ما أكثر العطر الذي في أحشائه! وما أطيب الرَّوائح التي تفوح منه إذا قضىٰ حاجته، وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذارِ والأنتان، ثم يفرح بذلك.

فكذلك إذا أثنوا عليك بالصَّلاح والورع، ففرحتَ بهِ والله مُطَّلع علىٰ خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك، كان ذلك من غايةِ الجهلِ، فإنَّ المادح إن صدق، فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضلِ اللهِ عليك، وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به.

**وأمَّا السَّبب الثَّاني**: وهو دلالة المدح علىٰ تسخير قلب المادح، وكونه سببًا لتسخير قلب آخر، فهذا يرجع إلىٰ حبّ الجاه والمنزلة في القلوب، وقد سبق وجه معالجته، وذلك بقطع الطَّمع عن النَّاس وطلب المنزلة عند اللهِ، وبأن تعلم أنَّ طلبك المنزلة في قلوب النَّاس، وفرحك به يُسقط منزلتك عند اللهِ، فكيف تفرح به؟

**وأمَّا السَّبب الثَّالث**: وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلىٰ المدح، فهو أيضًا يرجع إلىٰ قدرة عارضة لا ثبات لَهَا، وَلَا تَسْتَحِقُّ الْفَرَحَ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَغُمَّكَ مَدْحُ الْمَادِحِ وَتَكْرَهَهُ وَتَغْضَبَ بِهِ كَمَا نُقِلَ ذلك عن السَّلف، لأنَّ آفة المدح علىٰ الممدوح عظيمة، قال بعض السَّلف: من فرح بمدح فقد مَكَّنَ الشَّيطان من أن يدخل في بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم الرَّجل أنت، فكان أحبّ إليك من أن يُقَالُ لك بئس الرَّجل أنت، فأنت واللهِ بئس الرَّجل.

فلهذا كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ وجلٍ عظيم من المدح وفتنته، وما يدخل علىٰ القلب من السَّرور العظيم به، حتى إنَّ بعض الخلفاء الرَّاشدين سأل رجلًا عن شيءٍ؟ فقال: أنت يا أمير المؤمنين خيرٌ منّي وأعلم. فغضب، وقال: إنِّي لم آمرك بأن تُزَكِّيني. وقيل لبعض الصَّحابة: لا يزال النَّاس بخيرٍ ما أبقاك الله. فغضب، وقال: إنِّي لأحسبك عِرَاقيًا!

وإنَّما كَرِهوا المدح خِيفة أن يفرحوا بمدحِ الخلق وهم مَمقُوتون عند الخالقِ، فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند اللهِ تَعَالَىٰ يُبَغِّض إليهم مدح الخلق؛ لأنَّ الممدوح هو المُقرَّب عند اللهِ، والمذموم بالحقيقةِ هو المُبعد من اللهِ الملقىٰ في النَّار مع الأشرارِ، فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النَّارِ فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنّة فلا ينبغي أن يفرح إلَّا بفضلِ اللهِ تَعَالَىٰ وثنائهِ عليهِ إذ ليس أمره بيدِ الخلق.

ومهما علم أنَّ الأرزاق والآجال بيدِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ قلَّ التفاته إلىٰ مدح الخلق وذمهم، وسقط من قلبه حبّ المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه[1].

## الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّياء وَحُبَّ الْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ:

قال **الحارث المحاسبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "قلتُ الرَّجل يقول إنَّه ممن لا يريدُ بعملهِ جزاءً ولا شكورًا، وهو معروفٌ بأعمالِ البَّر بالصَّلاةِ والصَّدقةِ والصِّيامِ وغير ذلك، وقد مدحه قومٌ فَسَرَّهُ ذلك جدًا وَفَرِحَ به، وَذَمَّهُ آخرون فَساءَه ذلك جدًا وكرهه حتىٰ عرف من نفسه التَّغير لكلا الفريقين جميعًا؛ كيف يعرف هذا نيته

(١) بتصرف من: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

وحب المحمدة وكراهية المذمة ثابت في قلبه والمرائي يحب الثَّنَاء ويكره المذمة؟

قال: إِنَّه لا يجب علىٰ النَّاس أن يكرهوا الثَّنَاء الحسن والمحمدة، ولا يجب عليهم أن يُحبوا المذمة، عملوا الحسنات أو لم يعملوا إذا لم يكن ذلك منهم من معنىٰ فاسد، لأنَّ المرائي وإن كان يريد العمل علىٰ أن يحب المحمدة ويكره المذمة، فإن الصَّادق لا يجب عليه أن يكره الثَّنَاء ويحب المذمة.

وإنَّ أكثر الصَّادقين قد مُدِحُوا وأُثنيَ عليهم ولم يضرهم ذلك شيئًا، وإِنَّما الفرق بينهما؛ أنَّ المرائي إرادته وأمله في عملهِ جاه الدَّنيا والمنزلة عند أهلها، فأفسد عمله بنيتهِ وإرادتهِ، نال الذي أرادَ من ذلك أو لم يَنله، حمدوه علىٰ عمله أو لم يحمدوه، ذموّه أو لم يذموه، وغير المرائي إِنَّما كَرِهَ المذمة لحال ما فيها من الكراهيةِ، مثل السَّقوط من أعينِ النَّاس والبغضة والمقت من المؤمنين وأشباه ذلك، والثَّنَاء الحسن والقول الجميل أحبه لموضع ستر الله، ولمَّا جاء من الرَّجاء في الثَّنَاء الحسن والقول الجميل والمحبة من النَّاس ومودتهم له، وكان إعتقاد نيته وعزمه في أول أمره وآخره؛ ألا يُريدُ بذلك إلَّا وجه الله وحده والدَّار الآخرة، حمدوه أو ذموه، أحبوه أو أبغضوه"[1].

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت٢٤٣هـ): آداب النُّفوس، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل – بيروت – لبنان، سنة، ١٩٨٤م (ص: ٩٤).

## بَيَانُ السَّبَبِ فِي حُبِّ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، وَبِغَضِّ الذَّمِّ:

**قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أعلم أنَّ لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:**

**السَّبَبُ الأوّل:** وهو الأقوىٰ، شعور النَّفس بالكمالِ... فمهما شعرت النَّفس بكمالها، ارتاحت واعتزَّت وتلذَّذت، والمدح يُشعر نفس الممدوح بكمالها، فإنَّ الوصف الذي به مُدِحَ لا يخلو إمَّا أن يكون جليًا ظاهرًا أو يكون مشكوكًا فيه، فإن كان جليًا ظاهرًا محسوسًا كانت اللَّذة به أقل، ولكنَّه لا يخلو عن لذَّةٍ كثنائهِ عليهِ بأنَّه طويل القامة، أبيض اللون، فإنَّ هذا نوع كمال، ولكن النَّفس تغفل عنه، فتخلو عن لذَّتهِ، فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشّعور عن حدوث لذة.

وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشَّك فاللَّذة فيه أعظم كالثَّناء عليهِ بكمالِ العلم، أو كمال الورع، أو بالحسن المطلق، فإنَّ الإنسان ربما يكون شاكًّا في كمالِ حسنه، وفي كمال علمهِ، وكمال ورعهِ، ويكون مشتاقًا إلىٰ زوال هذا الشَّك بأن يصير مستيقنًا لكونه عديم النَّظير في هذه الأمور، إذ تطمئن نفسه إليهِ، فإذا ذكره غيره، أَوْرَثَ ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذَّاته.

وإنما تعظم اللَّذة بهذه العلة مهما صدر الثَّنَاء من بصيرٍ بهذه الصَّفات خبير بها لا يجازف في القولِ إلَّا عن تحقيق ذلك، كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليهِ بالكياسةِ والذَّكاء وغزارة الفضل، فإنَّه في غاية اللَّذة، وإن صدر ممن يُجازف في الكلام، أو لا يكون بصيرًا بذلك الوصف، ضعفت اللَّذة، وبهذه العلة يبغض الذَّم أيضًا ويكرهه، لأنَّه يشعره بنقصان نفسه، والنّقصان ضد الكمال المحبوب، فهو ممقوت الشّعور به مؤلم، ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذّم من بصير

موثوق به، كما ذكرناه في المدح.

**السَّبَبُ الثَّانِي**: أَنَّ الْمَدْحَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ قَلْبَ الْمَادِحِ مَمْلُوكٌ لِلْمَمْدُوحِ، وَأَنَّهُ مُرِيدٌ لَهُ وَمُعْتَقِدٌ فِيهِ وَمُسَخَّرٌ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ وَمِلْكُ الْقُلُوبِ محبوب، والشُّعور بحصولهِ لذيذ، وبهذه العلة تعظم اللَّذة مهما صدر الثَّنَاء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر، ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له، ولا يقدر علىٰ شيء، فإنَّ القدرة عليهِ بملك قلبه قدرة علىٰ أمرٍ حقير، فلا يدل المدح إلَّا علىٰ قدرة قاصرة، وبهذه العلة أيضًا يُكره الذَّم ويتألم به القلب، وإذا كان من الأكابرِ كانت نكايته أعظم، لأنَّ الفائت به أعظم.

**السَّبَبُ الثَّالِثُ**: أَنَّ ثَنَاءَ الْمُثْنِي وَمَدْحَ الْمَادِحِ سَبَبٌ لِاصْطِيَادِ قَلْبِ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُهُ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذلك مِمَّن يُلتفتُ إلىٰ قوله، ويُعتدُّ بِثنائهِ، وهذا مختص بثناءٍ يقع علىٰ الملأ، فلا جَرَمَ كَلَمَّا كَانَ الجمع أَكثر، والمُثْنِي أَجدر بِأن يُلْتَفَتُ إِلىٰ قولهِ، كان المدح أَلذ والذَّم أَشَد علىٰ النَّفس.

**السَّبَبُ الرَّابِعُ**: أنَّ المدح يدل علىٰ حشمة الممدوح، واضطرار المادح إلىٰ إطلاق اللسان بالثَّنَاء علىٰ الممدوح، إِمَّا عن طوعٍ، وإِمَّا عن قهرٍ، فإنَّ الحشمة أيضًا لذيذة لِمَا فِيها مِن القَهر والقدرة، وهذه اللَّذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطنِ ما مدح بهِ، ولكن كونه مضطرًا إلىٰ ذكرهِ، نوع قهر واستيلاء عليهِ، فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته، فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثَّنَاء أشد.

**فَهَذِهِ الْأَسْبَابِ الْأَرْبَعَةَ قَدْ تُجْمَعُ فِي مَدْحِ مَادِحٍ وَاحِدٍ فَيُعْظِمُ بِهَا الْإِلْتِذَاذُ و قَدْ تَفْتَرِقُ فَتُنْقِصُ اللَّذَّةُ بِهَا.** وإنما ذكرنا ذلك ليُعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمَّة فإنَّ مَا لَا يُعْرَفُ سَبَبُهُ لَا يُمْكِنُ مُعَالَجَتُهُ، إِذِ الْعِلَاجُ عِبَارَةٌ عَنْ حَلِّ أَسْبَابِ الْمَرَضِ"[1].

❁❁❁

(١) بتصرف من: الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٨٦).

## الفصل الثاني

## فضل الثّناء من القرآن والسّنّة وفيه:

- **أولًا: ثناءُ اللَّهُ تَعَالَى علَى نَفْسِهِ.**
- **ثانيًا: أمنيات الأنبياء تحصيل جميل الثَّناء.**
- **ثالثًا: فضل الثَّناء من سنّة خير الأنبياءِ.**

## أولًا: ثَنَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ[1]:

قال سبحانه وَتَعَالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[2]. فحمده سبحانه حمدًا كثيرًا، وشكره شكرًا جزيلًا، لأنَّه وحده لا شريك له، له سبحانه من الأسماء الحسنىٰ، والصِّفات العلىٰ، والأفعال الحكيمة، والخلق المتقن ما يحرك الألسن بالثَّنَاءِ عليهِ سبحانه؛ فهو ﷻ المستحق للثَّنَاءِ كلهِ، ولا يُثْنَىٰ علىٰ أحدٍ كما يُثْنَىٰ عليهِ سبحانه؛ فله الحمد كلّه، وله الثَّنَاء كلّه، ولا نُحْصِي ثناءً عليهِ كما أثنىٰ هو علىٰ نفسهِ.

وَقدْ كان النَّبي ﷺ كثير الثَّنَاء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَّمَ أمته كيف يُثنون علىٰ ربهم سبحانه، وسَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ ﷻ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «عَجِلَ هَذَا، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ[3] فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[4].

فطوبىٰ لمن وجد في صحائفه ثناءً كثيرًا علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، ومن الثَّنَاء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كثرة ذكره وتهليله وتسبيحه وتكبيره وحمده، وربنا سبحانه يستحق المدح

---

(١) بتصرف من: الشَّيْخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل: ثناء الله تعالىٰ علىٰ نفسِهِ (١)، شبكة الألوكة، موقع الشَّيْخ إبراهيم بن محمد الحقيل، خطب منبرية، بتاريخ، ١٠/ ١٠/ ١٤٣٨هـ - ٥/ ٥/ ٢٠١٧م.

(٢) سورة سبأ الآية: (١ - ٢).

(٣) أَيْ: إِذَا صَلَّى وَفَرَغَ فَقَعَدَ لِلدُّعَاءِ. عون المعبود (٣/ ٤١٢).

(٤) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٤٠٧): (ت) ٣٤٧٧، (د) ١٤٨١، (حم) ٢٣٩٨٢، صحيح الجامع: ٦٤٨، أصل صفة صلاة النَّبيّ ﷺ (٣/ ٩٩٠).

والثَّناء، وهو يحب المدح والثَّنَاء، ويحب الحامدين له من خلقهِ، المُثْنِينَ عليهِ بما هو أهله؛ كما قال النَّبيﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ[1] مَدَحَ نَفْسَهُ»[2].

قَالَ ابْن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ بعض الْعَامَّة: "إِذا كَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ يحب الْمَدْح فَكيف لَا نحبه نَحن؟ وَهَذَا غلط: لأنَّ حبّ الله للمدحِ لَيْسَ من جنس مَا يعْمل من حبنا للمدحِ، وَإِنَّمَا الله سُبْحَانَهُ أحبّ الطَّاعَات، وَمن جُمْلَتهَا مدحه ليثيب علىٰ ذَلِك فينتفع الْمُكَلف، وَلَا ينْتَفع هُوَ بالمدحِ، وَنحن نحبّ الْمَدْح لننتفع بِهِ ويرتفع قَدرنَا فِي قَومنَا"[3].

وربنا سبحانه قدْ أثنىٰ علىٰ نفسهِ في كتابهِ الكريم كثيرًا؛ ليتعلم أهل القرآن كيفية الثَّنَاء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، ويتكرر ثناؤهم عليهِ سبحانه بتلاوتهم كتابهِ، فتمتلئ به قلوبهم، فلا يشغلهم عنه شاغل، ولا يلهيهم عنه شيء.

وأعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة التي افتتح القرآن بها، وقراءتها ركنٌ في الصَّلاة، وتقرأ في كلّ ركعةٍ، وهي قسمة الله تَعَالَىٰ بينه وبين المصلِّي، وقد افتتحت بالثَّنَاءِ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ ليُفتتح القرآن في فاتحتهِ بالثَّنَاءِ عليهِ سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[4].

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٤٠٧): أَيْ: وَلِأَجْلِ حُبِّهِ الْمَدْحَ. تحفة الأحوذي (٨/ ٤٢٨).

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٤٠٧): (خ) ٤٣٥٨، (م) ٢٧٦٠.

(٤) ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٠٠).

(٥) سورة الفاتحة الآية: (٢- ٤).

وأعظم آية في كتابِ اللهِ تَعَالَىٰ هي آية الكرسي كما جاء في الحديث الصَّحيح[1]، وكلُّها ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، بل ما كانت أعظم آية إلَّا لِمَا فيها من جميل الثَّنَاء عليهِ سبحانه: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[2].

وكلَّ حمدٍ في القرآن فهو ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وقد تكرر الحمد في أكثر من عشرين موضعًا، وَاُفتتحت بالحمدِ خمس سور من القرآن، وكلّ ربع من القرآن فهو مفتتح بالحمدِ؛ فافتتح الرَّبع الأول بالفاتحةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، والثَّاني بالأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[4]، والثَّالث بالكهفِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ علىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ

---

(١) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟"، فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟، قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، " فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِي وَقَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٦/ ٣٣٢)، (١٨/ ٨٥): (م) ٢٥٨ - (٨١٠)، (د) ١٤٦٠. قلتُ: قال النَّووي في شرح مسلم: قال العلماء: إنَّما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصِّفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة، وهذه السَّبعة أصول الأسماء والصِّفات.اهـ. النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطَّبْعَةُ الثَّانية، سنة، ١٣٩٢هـ (٦/ ٩٤).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٥٥).

(٣) سورة الفاتحة الآية: (٢).

(٤) سورة الأنعام الآية: (١).

يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[1]، والرَّابع بسبأ وفاطر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، ممَّا يدلُ علىٰ عظمةِ اللهِ تَعَالَىٰ المستحق للثَّنَاءِ، وأهمية ملازمة العبد الثَّنَاء عليهِ سبحانه؛ ليصلح بذلكم الثَّنَاء قلبه، ويستقيم دينه، فتظل عظمة اللهِ تَعَالَىٰ أمام عينيه في كلّ قولٍ وفعلٍ وحركةٍ وسكون.

وكل تسبيح في القرآن فهو ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لأنَّ التسبيح تنزيه وتعظيم، والتنزيه والتعظيم يقتضيان الثَّنَاء علىٰ المنزَّه المعظَّم سبحانه وتَعَالَىٰ، وتكرر التَّسبيح في القرآنِ في سبعةٍ وثمانين موضعًا، وافتتحت به سبع سور هي: الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ﴾[3].

والحشر والصَّف، وافتتحتا بـ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، والجمعة بـ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[5]، وأمَّا الحديد والتَّغابن والأعلىٰ فافتتحت بالتسبيحِ للهِ تَعَالَىٰ مع بيانِ جملة من أوصافهِ وأفعالهِ التي تهز القلوب من عظمتهِ وقدرتهِ وحكمته، وتستوجب دوام الثَّنَاء عليهِ سبحانه؛ ففي سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞لَهُ مُلْكُ

(١) سورة الكهف الآية: (١).
(٢) سورة فاطر الآية: (١).
(٣) سورة الإسراء الآية: (١).
(٤) سورة الحشر الآية: (١).
(٥) سورة الجمعة الآية: (١).

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ *يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

وفي سورةِ التَّغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ *يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2].

وفي سورةِ الأَعلىٰ التي تطرق الأسماع في الجُمَع والأعياد والتَّراويح: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ *الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ *وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ *فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾[3].

وكل تبريك في القرآنِ فهو ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لأنَّ معناه أنَّه سبحانه جاء بكل بركة، قال بعض المُفَسِّرين: وهي كلمة تعظيم وثناء لم تُسْتَعْمَلْ إلَّا للهِ وحده. أي: تعاظم، وكملت أوصافه، وكثرت خيراته.

---

(١) سورة الحديد الآية: (١ـ٦).

(٢) سورة التَّغابن الآية: (١ـ٤).

(٣) سورة الأعلىٰ الآية: (١ـ٥).

والمقصود أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أنشأ به ثناء علىٰ نفسهِ. وجاء التبريك في القرآن في ثمانية مواضع، وافتتحت به سورتي الفرقان والملك، وجاء فيهما من أوصاف اللهِ تَعَالَىٰ وأفعاله ما يستوجب الثَّنَاء عليهِ سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۞الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[1].

وفي سورةِ المُلك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۞الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[2]. وَخُتِمَت به سورة الرَّحمٰن التي تضمنت صفات الرَّحمٰن سبحانه وأفعاله ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[3] وهذا من أبلغ الثَّنَاء.

لذا ينبغي للمؤمنِ أن يُدمن قراءة القرآن؛ ليكثر من الثَّنَاءِ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وينبغي لقارئ القرآن أن يقف مليًا عند آيات الثَّنَاء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، ويتدبرها ليتأثر بها؛ فإنَّ الله تَعَالَىٰ ما ملأ القرآن بالثَّنَاءِ عليهِ سبحانه إلَّا لِيُصْلِح به قلوب العباد وَيُثَبِّتَهَا علىٰ دينهِ، وما أحوج المؤمن إلىٰ ذلك في زمن تتفاقم فيه المحن، وتتلاطم فيه الفتن؛ لتتخطف قلوبًا فتفتنها عن دينها، وتُحَرِّفَها عن عبادةِ ربها سبحانه وتَعَالَىٰ.

---

(١) سورة الفرقان الآية: (١ـ ٢).

(٢) سورة الملك الآية: (١ـ ٣).

(٣) سورة الرَّحمٰن الآية: (٧٨).

ومن أعظم وسائل الثَّبات علىٰ الحقِ كتاب الله تَعَالَىٰ ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[1]، ومن أعظم مواطن التَّثبيت في القرآنِ آيات الثَّناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لأنَّها تتضمن صفاته سبحانه التي تتلاشىٰ معها صفات المخلوقين وَإِن عظم جبروتهم، وزادت قوتهم، وكثر جمعهم. وتتضمن أفعال الله تَعَالَىٰ وأقداره، وأنَّه سبحانه مُدبر الأمر، ومُقدر القدر، ومالك الملك؛ فيمتلئ القلب بالسّكونِ إليهِ، والرّضا به، والتوكل عليه، وعدم خشية أحد من الخلقِ مهما كان.

وإذا امتلأت القلوب باللهِ تَعَالَىٰ وحده محبةً وتعظيمًا ورجاءً وخوفًا لم يبقِ فيها للمخلوقين محل. وكلَّمَا أكثر العبد من ذكرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وأدمن الثَّناء عليهِ بما هو أهله؛ ارتاح قلبه وسكن واطمأن، وذهب خوفه، وتلاشىٰ جزعه؛ والقرآن أعظم ذكر، والثَّناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فيه أقوىٰ مُثبّت ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[2]. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].[4].

وَعَلَىٰ قُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَمُسْتَمِعِيهِ أَنْ يُلَاحِظُوا كَثْرَةَ ثَنَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ –سُبْحَانَهُ–؛ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابُ ثَنَاءٍ عَلَىٰ الْخَالِقِ –سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَذِكْرُهُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ وَأَنْفَعُهُ.

---

(١) سورة الفرقان الآية: (٣٢).

(٢) سورة ص الآية: (١).

(٣) سورة الرعد الآية: (٢٨).

(٤) تم نقله بتصرف من: الشَّيْخ/ د. إبراهيم بن محمد الحقيل: ثناءُ اللهُ تعالىٰ علىٰ نفسِهِ (١).

فَلَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْحَيَاةِ وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- الْمُتَفَرِّدُ بِالْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَإِذَا قَرَأَ الْمُؤْمِنُ آيَاتِ الثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ، وَأَنَّهَا لَهُ -سُبْحَانَهُ- دُونَ سِوَاهُ؛ امْتَلأَ قَلْبُهُ بِتَعْظِيمِهِ -سُبْحَانَهُ-، وَعَمِلَ بِمَا يُرْضِيهِ، وَاسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ، وَلَمْ يَغْتَرَّ بِأَهْلِ الدُّنْيَا مَهْمَا بَلَغُوا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ. وَنَمَا فِي قَلْبِهِ مُرَاقَبَتُهُ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، فَمَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَحِينٍ.

وَأَثْنَى -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْعِلْمِ، وَأَثْنَىٰ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ نَفْسِهِ مُخْبِرًا إِيَّانَا بِأَنَّ عِلْمَهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ، بَلْ عِلْمُهُ -سُبْحَانَهُ- مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَثْنَىٰ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ نَفْسِهِ بِعِلْمِهِ بِمَا نُخْفِي، وَمَا تُكِنُّهُ صُدُورُنَا، فَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

وَإِذَا قَرَأَ الْمُؤْمِنُ ثَنَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْعِلْمِ هَانَتْ عَلَيْهِ عُلُومُ الدُّنْيَا كُلُّهَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَيْئًا يُذْكَرُ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ. وَلَوْ كَانَتْ كُلُّ الْبِحَارِ مِدَادَهُ، وَكَانَتْ كُلُّ الْأَشْجَارِ أَقْلَامَهُ؛ لَمَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُهُ -سُبْحَانَهُ-! فَمَا مِدَادُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَمَا أَقْلَامُهُمْ، وَمَا كَلِمَاتُهُمْ وَعُلُومُهُمْ أَمَامَ عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ؟!

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي عَلَّمَهُمْ مَا عَلِمُوا، وَمَا كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَبِقِرَاءَةِ الْمُؤْمِنِ آيَاتِ الثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْعِلْمِ يَنْمُو فِي قَلْبِهِ الْخَوْفُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمُرَاقَبَةُ؛ لِيَقِينِهِ أَنَّهُ إِنِ اسْتَخْفَىٰ بِشَيْءٍ عَنِ النَّاسِ فَلَنْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَأَثْنَىٰ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْقُدْرَةِ، وَقُدْرَتُهُ -سُبْحَانَهُ- لَا حُدُودَ لَهَا، وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- مُثْنِيًا عَلَىٰ نَفْسِهِ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ جَمْعِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[1]، وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- مُثْنِيًا عَلَىٰ نَفْسِهِ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِبْدَالِ الْخَلْقِ بِغَيْرِهِمْ، وَبِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْمُكَذِّبِينَ، وَعَلَىٰ غَوْرِ الْمَاءِ فِي الْأَرْضِ.

وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- مُثْنِيًا عَلَىٰ نَفْسِهِ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ بَعْثِ الْأَمْوَاتِ، وَإِذَا قَرَأَ الْمُؤْمِنُ ثَنَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْقُدْرَةِ ضَعُفَتْ فِي نَفْسِهِ كُلُّ قُدْرَةٍ؛ فَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِسِوَاهُ، فَلَا يَرْجُو غَيْرَهُ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ قُدْرَةَ كُلِّ الْخَلْقِ تَحْتَ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَنَالُ مَا يَطْلُبُ، وَلَا يَنْجُو مِمَّا يَخَافُ إِلَّا بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُدْرَتِهِ.

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَكْثَرَ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِيَتَعَلَّمَ قُرَّاءُ الْقُرْآنِ حُسْنَ الثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيُلَقَّنَ بِهِ أَطْفَالُهُمْ، وَيُرَبَّىٰ عَلَيْهِ شَبَابُهُمْ، وَيَهْرَمَ عَلَيْهِ شُيُوخُهُمْ، وَيَعِيشُ الْمُؤْمِنُ حَيَاتَهُ كُلَّهَا وَهُوَ يُثْنِي عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

وَالصَّلَاةُ ثَنَاءٌ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرُكْنُهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ثَنَاءٌ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ- فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي[2].

---

(١) سورة الشّورىٰ الآية: (٢٩).

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٧/ ٢٢١)، (١٧/ ٢٣٩)، (٢٥/ ١٩٠): (م) ٣٨ - =

وَثَنَاءٌ فِي الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ»(١). وَمِنَ الْأَذْكَارِ بَعْدَ الصَّلَاةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ»(٢).

فَحَرِيٌّ بِنَا -عِبَادَ اللهِ- أَنْ نُكْثِرَ الثَّنَاءَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنْ لَا تَفْتُرَ أَلْسِنَتُنَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَأَنْ نُرَبِّيَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَهْلَنَا وَأَوْلَادَنَا(٣).

روىٰ مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ(٤) فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(٥).

---

=

(٣٩٥)، (ت) ٢٩٥٣، (س) ٩٠٩، (جة) ٣٧٨٤. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَطْلَقَ اللهُ في هذا الحديث لَفْظَ الصَّلَاةِ، وَالْمُرَادُ الْقِرَاءَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ [الإسراء: ١١٠]، أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهَكَذَا قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"، ثُمَّ بَيَّنَ تَفْصِيلَ هَذِهِ الْقِسْمَةِ فِي قِرَاءَةِ الفاتحة فَدَلَّ عَلَىٰ عِظَمِ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ أَرْكَانِهَا، إِذْ أُطْلِقَتِ الْعِبَادَةُ، وَأُرِيدَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْهَا، وَهُوَ الْقِرَاءَةُ؛ كَمَا أُطْلِقَ لَفْظُ الْقِرَاءَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وَالْمُرَادُ صَلَاةُ الْفَجْرِ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ أَنَّهُ يَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ. أ.هـ.

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢٣/ ٩٦): (م) ٢٠٣ - (٤٧٦)، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢٥/ ٣٨٣): (م) ٢٠١ - (٧٧١)، (ت) ٣٤٢١، (د) ٧٦٠، (حم) ٨٠٣.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢٥/ ٤٧٦)، (٣٣/ ٣٨): (م) ١٣٩ - (٥٩٤)، (س) ١٣٤٠، (د) ١٥٠٦، (حم) ١٦١٥٠.

(٣) تم نقله بتصرف من: الشَّيْخ/ د. إبراهيم بن محمد الحقيل: ثناء الله تعالىٰ علىٰ نفسه (٢)، موقع ملتقىٰ الخطباء، خطب منبرية، بتاريخ ٢٨/ ٠١/ ١٤٣٩هـ ـ ١٨/ ١٠/ ٢٠١٧م.

(٤) الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء وفيه استحباب حمدالله تعالىٰ عقب الأكل والشّرب. شرح النَّووي علىٰ مسلم (١٧/ ٥١).

(٥) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٢/ ٢١٢): (م) ٨٩ - (٢٧٣٤)، (ت) ١٨١٦، (حم) ١١٩٩٢.

## ثَانِيًا: أَمْنِيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ تَحْصِيل جَمِيلَ الثَّنَاءِ:

١ـ لقد أصبحت هذه الأمنية –الثَّنَاء– من أمنيات أنبياءِ اللهِ، فسيدنا إبراهيم عليه السلام دعا ربهُ فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[١]. ومعنىٰ ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً حسنًا من جهةِ اللهِ تَعَالَىٰ وملائكتِهِ وأوليائِهِ وأهل الكتاب أجمعين[٢]. وقيل (الثَّناء الحسن: الذي لا تَزَيّد فيهِ ولا مبالغة)[٣]. لذا قال بعض أهل العلم: "الذّكر الحسن والثَّنَاء الجميل يُقَسَّمُ في السَّماءِ، لا تُنَقِّبُ عنه في الأرض"[٤].

وفي زهرة التَّفاسير: "فيه إضافة اللسان للصّدق، أي بأن يكون الصَّدق مستغرقًا له، بحيث لَا يُقالُ عنه إلَّا ما هو صدقٍ، وأن يكون اللسان صادقًا دائمًا، وأن يمتد الصَّدق منه وفيه إلىٰ ما بعده، وإنَّ لسان الصَّدق يكون بعده يكون بأمور، منها أن يكون ذكره حسنًا صادقًا من بعدهِ، بأن يكون أثرًا محمودًا من بعده، ويكون نافعًا بعد مماته كما كان نافعًا في حياتهِ، ومنها أن تكون دعوته إلىٰ الحقِ باقية من بعده يُرددها النَّاس، ويدعون إليها، ومنها أن تكون له محبة

---

(١) سورة الشُّعراء الآية: (٨٤).

(٢) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ): دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثَّاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمَّان، الأردن، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م (٢/ ٢٧٢).

(٣) محمد المكي النَّاصري (ت١٤١٤هـ): التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (٤/ ٣٧٧).

(٤) دكتور/ عبدالله بلقاسم: أفياء الوحي، طبعة مكتب الدعوة والإرشاد ببللسمر، سنة، ١٤٣٥هـ (ص:٧١).

ومودة بين النَّاس من بعده، كما كانوا يودونه في حياتهِ. هذا، وإنَّ النَّص الكريم يدل علىٰ أَنَّ حبَّ المحمدة بين النَّاس ليس أمرًا غير صالح ما دام يقصد إليها النَّفع والخير، وعموم الإصلاح وما دام لَا يتعالىٰ ولا يستطيل علىٰ النَّاس"[1].

قال السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: "اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلىٰ آخر الدّهر. فاستجاب الله دعاءه، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانهِ المرسلين، وجعله محبوبًا مقبولًا مُعَظّمًا مُثنًىٰ عليهِ، في جميع الملل، في كلّ الأوقات"[2].

ومعنىٰ: ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ يعني: "يتعدىٰ الذِّكْر الحسن مُدَّة حياتي إلىٰ مَنْ بعدي، فاجعل لي لسان صدقٍ في المعاصرين، وفيمن يأتي بعدك أترك أثرًا طيبًا يُذكَر من بعدي؛ لأنَّ لي نصيبًا من الخيرِ والثَّواب في كلّ مَن اقتدىٰ بي، وجعلني أُسْوة. وقد أجابه الله في هذه، فقال سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرين سَلاَمٌ علىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[3]."[4].

"وقد يرغب الإنسان في الثَّنَاء لأنَّه من مِلّة إبراهيم خليل الرَّحمٰن، لأنَّ الله تَعَالَىٰ أخبر أنَّه سأله ذلك، وما سأله إلَّا بعد أن أذِنَ له، وما أَذِنَ له إلَّا بعد أن عَلِمَ أنَّه الخُلق الأسنىٰ والاختيار الأعلىٰ، والطَّريقة المُثْلَىٰ. ثم وضع الله من أقدار

---

(١) محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ): زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٠/ ٥٣٧٠) بتصرف يسير.

(٢) السَّعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٥٩٣).

(٣) سورة الصافات الآية: (١٠٨-١٠٩).

(٤) محمد متولي الشَّعراوي (ت١٤١٨هـ): تفسير الشَّعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، سنة، ١٩٩٧م (١٧/ ١٠٥٩٩).

قومٍ وَأَبْقَىٰ ذمّهم في الغابرين فقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾، فرأىٰ ذلك نهاية في تهجينهم والغض من أخطارهم، وأن يتحدث عنهم بما يبعث عَلىٰ الاعتبار بمن أساء لنفسهِ النّظر والاختيار"[1].

وكما كافأ الله ﷻ أئمة الهدىٰ الذين يدعون النَّاس إلىٰ الخير، فجعل لهم "لسان صدقٍ" أي لسان "مدح ومبرة" في الآخرين، كافأ أئمة الضَّلال الذين يدعون النَّاس إلىٰ الشّر، وجعل لهم لسان "قدح ومعرة" في الدَّنيا ويوم الدّين، وذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[2].

ثم عاد كتاب الله إلىٰ الحديثِ عن ذريةِ إبراهيم، فأشار إلىٰ ولدهِ إسماعيل، والد العرب العدنانية، الذي كان له الفضل في إقامةِ قواعد البيت الحرام مع أبيهِ، بانفراد وتخصيص، فقال تَعَالَىٰ مُثنيًا عليه أجلّ الثَّنَاء: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا*وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[3].[4].

---

(١) بتصرف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ): أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين = أخلاق الصَّاحب بن عباد وابن العميد، حققه وعلَّق عليه: محمد بن تاويت الطَّنجي، دار صادر – بيروت، بإذن: المجمع العلمي العربي بدمشق، سنة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م (ص: ٣٧٢).

(٢) محمد المكي النَّاصري: التَّيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٥٢٧).

(٣) سورة مريم الآية: (٥٤ـ ٥٥).

(٤) محمد المكي النَّاصري: التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٣٧).

والمتتبع لآياتِ القرآن يجد فيها الأدلة الواضحة المبينة منها أيضًا قوله تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ أي: حبًّا في قلوب عباده وثناءً حسنًا[1].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: "يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يَغْرِسُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ - وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي تُرْضِي اللهَ لِمُتَابَعَتِهَا الشَّرِيعَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ - يَغْرِسُ لَهُمْ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَحَبَّةً وَمَوَدَّةً، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ"[2].

قَالَ مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُحِبُّهُمْ وَيُحَبِّبُهُمْ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ»[3]، قال الشَّعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي بدون سبب من أسباب المودة هذه، مودة بدون قرابة، وبدون مصالح مشتركة أو صداقة، وهذه المودة بين الذين آمنوا، كأنْ ترىٰ شخصًا لأول مرة فتشعر نحوه بارتياح كأنَّك تعرفه، وتقول له: إنّي أُحبك لله.

هذه محبة جعلها الله بين المؤمنين، فضلًا منه سبحانه وتكرُّمًا، لا بسبب من أسباب المودّة المعروفة. لذلك قال هرم بن حَيَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ الحق تبارك وتَعَالَىٰ حين يرىٰ عبده المؤمن قد أقبل عليهِ بقلبهِ وأسكنه فيه، وأبعد عن قلبه الأغيار،

---

(١) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) - (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) (٧/ ١٥٩١).

(٢) ابن كثير: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٧).

(٣) أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ): تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السَّلام أبو النّيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م (ص: ٤٥٩).

وسلَّم قلبه وهو أسمىٰ ما يملك من مستودعات العقائد وينبوع الصّالحات وقدَّمه لربهِ إلَّا فتح له قلوب المؤمنين جميعًا.

كما جاء في الحديث القدسي: «مَا أَقْبَلَ عَلَيَّ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَّا أَقْبَلْتُ عَلَيهِ بِقُلوبِ المُؤْمِنينَ جَمِيعًا»[1] أي: بالمودة والرَّحمة دون أسباب. فيحبه كلَّ مَنْ رآه عطيةً من اللهِ وفضلًا، دون سبب من أسباب المودة، وإنْ كنتَ قد تبرعتَ للهِ تَعَالَىٰ بما تملك وهو قلبك مستودع العقائد وينبوع الصَّالحات كلها، فإنَّه تَعَالَىٰ وهب لك ما يملك من قلوب النَّاس جميعًا، فهي في يده تَعَالَىٰ يُوجِّهها كيف يشاء"[2].

٢ـ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[3]. "إنَّ محمدًا ﷺ بشر من البشر، قد كان يسمع باطلًا، ويُؤذَىٰ بالقولِ والاستهزاءِ، ويُرمَىٰ عليهِ فرث جزور، فلا يتبرم بها، ويستمر طليق الوجه ولكن صدره يضيق حرجًا، والرّجل الكامل وخصوصًا أعظم الدُّعاة الحق يضيق صدره، ولا يتغير قوله أو عمله، ولقد قرّر الله تَعَالَىٰ خالق الخلق ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ عَبَّر سبحانه عن ألم النَّفس، وضيقها بضيق الصَّدر كأنَّ

---

(١) قلتُ: لم أجده بهذا اللفظ، والذي وقفتُ عليه في سلسلة الأحاديث الضّعيفة للألباني، ولفظه: "**وما أقبل عبد بقلبه، إلىٰ الله تعالىٰ إلَّا جعل الله ﷻ قلوب المؤمنين تفد عليه بالودِ والرّحمة، وكان الله إليهِ بكل خير أسرع**". يُنظَر: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (ت١٤٢٠هـ): سلسلة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة وأثرها السّيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السُّعودية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (٣/ ٨٥) برقم (١٠١٨) وهو موضوع.

(٢) تفسير الشَّعراوي (ص: ٥٦٢٥).

(٣) سورة الحجر الآية: (٩٧).

الصَّدر أصبح لَا يَتسع لمثل هذا القول الذي كانوا يقولونه من قولهم ساحر، ومن قولهم مجنون، ومن قولهم في القرآن إنّه شعر، وإنّه أساطير الأولين، ومن طلبهم خوارق غير القرآن، ومن عبادتهم الأوثان"(١).

فالثَّنَاء الحسن يشرح الصَّدر، والقدح يُوغر الصَّدر، قال د/ **عبدالله بلقاسم** في التعليقِ علىٰ الآيةِ الكريمةِ: "**لا تُصدّق أنَّ هناك نفسًا لا تُؤلمها الكلمات!**"(٢).

"كما هو دأب الطَّبيعة البشرية حين ينوب الإنسان ما يؤلمه ويحزنه، أن يرىٰ فى نفسه انقباضًا وضيقًا فى الصَّدر وأسىٰ وحسرة علىٰ ما حلَّ به"(٣).

ولذا ينبغي علىٰ الصَّالحين ألَّا يُثنيهم ذاك القدح السَّيئ عن سلوكهم الطَّريق المستقيم، وفي الآية معنىٰ ذلك: "أَيْ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانقباض، فَلَا يَهِيدَنَّكَ ذَلِكَ وَلَا يَثْنِيَنَّكَ عَنْ إِبْلَاغِكَ رسالة الله"(٤).

وفي الآيةِ إشارة عجيبة؛ قال **القشيري** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ **أي استمع إلىٰ ما يُقال فيكَ بحسنِ الثَّناء علينا**(٥). **قلتُ**: وفي ذلك تسلية لكل مؤمن إذا أُعْتُدِيَ عليه بالسَّبِ أو القدح أو

---

(١) أبي زهرة: زهرة التفاسير (٨/ ٤١١٧).

(٢) دكتور/ عبدالله بلقاسم: أفياء الوحي (ص٥٦).

(٣) أحمد بن مصطفىٰ المراغي (ت١٣٧١هـ): تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٤/ ٤٨).

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧٤).

(٥) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ): لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة (١/ ٤٣).

اللَّمز أو الهمز أو غير ذلك من أنواع الإيذاء؛ أن يهرع إلىٰ الملك ﷻ بالتسبيحِ والذّكر وجميع الثَّنَاء عليهِ سبحانه فإنَّ ذلك يُفَرِّجُ عنه وَيُؤْجَرُ به.

**وَيُقَالُ**: "إن ضاق صدرك بسماعِ ما يقولون فيك من ذمّك فارتفع[1] بلسانك فى رياض تسبيحنا، والثَّنَاءِ علينا، فيكون ذلك سببًا لزوال ضيق صدرك وسلوة لك بما تتذكر من جلال قدرنا وتقديسنا، واستحقاق عزّنا"[2].

قال **الشَّيخ الشَّعراوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهكذا يمكن أن تُذْهب عنك أيَّ ضيق، أن تسبح الله. وإذا ما جافاكَ البِشْر أو ضايقك الخَلْق؛ فاعلم أنَّك قادر علىٰ الأُنْس باللهِ عن طريق التّسبيح؛ ولن تجد أرحم منه سبحانه، وأنت حين تُسبِّح ربك فأنت تُنزِّهه عن كُلِّ شيء وتحمده، لتعيش في كَنَف رحمته. ولذلك إذا ضاق صدرك في الأسباب فاذهب إلىٰ المُسبِّب.

وقال: وتسبيح المخلوق للخالقِ هو الأمر الذي لا يشارك اللهَ فيه أحدٌ من خَلْقهِ أبدًا. فكأنَّ سَلْوىٰ المؤمن حين تضيق به أسباب الحياة أنْ يفزَع إلىٰ ربهِ من قسوةِ الخَلْق؛ ليجد الرَّاحة النَّفسية؛ لأنَّه يَأْوي إلىٰ رُكْنٍ شديدٍ"[3].

---

(١) قال محقق لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ٢٨٣) حاشية (١): وردت هكذا وَنُرَجّحُ أنَّها فى الأصل (**فارتع**) فهى أكثر ملائمة للمعنىٰ. جاء فى رسالة القشيري ص١١١، وفى الخبر المشهور عن الرسول ﷺ: «إذا رأيتم رياض الجنّة فارتعوا فيها، فقيل له: وما رياض الجنَّة؟ فقال: مجالس الذّكر» **قلتُ**: قال: صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٣٣٩): (ت) ٣٥١٠، (حم) ١٢٥٤٥، (يع) ١٨٦٥، الصَّحِيحَة: ٢٥٦٢، صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: ١٥١١، بلفظ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ**».

(٢) القشيري: لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ٢٨٣).

(٣) تفسير الشَّعراوي (ص: ٤٨٣٥).

وقد أثنىٰ الله ﷻ علىٰ الأنبياء فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1]. "أي أثنينا عليهم ثناءً حسنًا، وجعلنا جميع الأُمم والملل تطريهم مهما تباعدت الأعصار، وتعاقبت الأزمنة. وإضافة لسان إلىٰ صدقٍ ووصفه بقوله: ﴿عَلِيًّا﴾ للدّلالة علىٰ أنّهم حقيقون بالثَّنَاءِ عليهم، وأنَّ محامدهم لا تخفىٰ علىٰ أَحدٍ، صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا"[2].

وقيل: "يَعْنِي ثَنَاءً حَسَنًا رَفِيعًا فِي كُلِّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، فَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّوْنَهُمْ ويثنون عليهم"[3]. والمراد باللسان هاهنا: "الثَّنَاء الحسن. فلمَّا كان الصَّدق باللسانِ، وهو محله، أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثَّنَاء علىٰ الصَّادق، جزاء وَعَبَّرَ بِهِ عنه"[4].

**وبهذا يظهر أنَّ محبة النَّاس للعبدِ إنَّما تكون علامة علىٰ محبةِ الله له إن كان ملتمسًا لرضا الله سبحانه بأداءِ فرائضه واجتناب محارمه.**

وَيَنْبَغِي عَلَىٰ كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُثْنِي خَيْرًا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ صَنَعَ إِلَيهِ مَعْرُوفًا، فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**»[5].

---

(١) سورة مريم الآية: (٥٠).

(٢) التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٦/ ٩٧٦).

(٣) عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: مختصر تفسير البغوي المُسَمَّىٰ بمعالم التنزيل، دار السَّلام للنَّشر والتوزيع – الرياض، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٦هـ (٤/ ٥٧٠).

(٤) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشَّيْخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٠هـ (ص: ٣٦٢).

(٥) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ١١٥): (ت) ٢٠٣٥، (ن) ١٠٠٠٨، (حب) =

**٣ـ وقفات مع كتاب أفياء الوحي للدكتور/ عبدالله بلقاسم، تضمن الكتاب عدة تغريدات قرآنية غاية في الرَّوعة والدَّقة والجمال، وتعلق بموضوع الثَّنَاء عدّة تغريدات، منها:**

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ما ألطف جوابهم علىٰ أبيهم، أثنوا عليهِ بالتوحيدِ وبرّوه بالثَّنَاءِ علىٰ آبائِهِ أيضًا، وكان يمكن أن يقولوا: (نعبدُ الله).

* قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾... لا تغفل عن ذكر ربك، ربما يذكرك بعض النَّاس الآن بخيرٍ، ومن العيب أن يُجْرِي الله الثَّنَاء عليك في مكانٍ ما، وأنت هنا غافل.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾... مهما حاولت أن تُغَيِّب محسانك فسيظهرها الله، لا تهتم بستويق ذاتك.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾...لا تتسول الجاه من أفواههم، سيزكك اللهُ إن شاء، ولو كنتَ بعيدًا في جوف جبل.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾... قالها شعيبٌ لأمةٍ وثنية فاسدة، وَأَقَرَّ برخائهم ورغد عيشهم، الإصلاح لا يعني تشويه الحقائق والكذب.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾... حدثني عن رسالةٍ بعثها إليهِ صديق في حدودِ سنة ١٣٦٩هـ، يذكرها بحروفها، الكلمات الطّيبة تذهب جذروها بعيدًا في أعماقنا.

---

= ٣٤١٣، صَحِيح الْجَامِع: ٦٣٦٨، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٩٦٩ .

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾... ليست كل المدائح بريئة، ربما تُسكب السّموم القاتلة في كلماتٍ رقيقة.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]... رغم أهوال الموقف.. تدفق فم موسىٰ بالثَّنَاءِ علىٰ ربهِ.. اجتز أزماتك بالحمدِ.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾... بَوْصَلَة ألسنتهم اتجهت نحو الأقوال الجميلة، شَطَبُوا مفردات الإساءة من قواميسهم. كانوا أعلام الدّنيا في الجهادِ والتضحيات، وألسنتهم طيّبة أيضًا.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾... أوّل آثار العلم حمد الله والثَّناء عليهِ.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾...أمر بغض الصّوت ولو بالكلماتِ الجميلة لأنَّه يُؤذي الأسماع، فكيف بالكلماتِ الحادّة التي تجرح القلوب؟!

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ لا تؤلمك اقتراحاتهم بأنَّ غيرك كان أولىٰ منك بهذه النّعمة، حتىٰ الأنبياء لم يسلموا.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾... مدحوا كتاب اللهِ فَخَلَّدَ اللهُ كلماتهم فيهِ.. هَنِيئًا لهم.

---

(١) سورة طه الآية: (٤٩ـ ٥٠).

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ*أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[1]... الأعمىٰ لن يرىٰ ابتسامتك، مع ذلك تَبَسَّمَ له.

٤ـ أيضًا ممّا يَدلُ عَلَىٰ أنَّ تحصيل جميل الثَّنَاء من أمنيات الأنبياء: رُوِيَ عن موسىٰ ﷺ أنَّه قَالَ: "يا ربّ احبس عنِّي ألسنة النَّاس، فقال اللّه تبارك وتَعَالَىٰ: يا موسىٰ هذا شيءٌ لم أفعله لنفسي، فكيف أفعله بك"[2]؟ وفي لفظ آخر: لو خَصَصْتُ بهذا أحدًا لخصصتُ به نفسي، وقد كان أبو الدرداء ﷺ يقول: ما من يوم أصبح فيه حيًّا وأُمسي ولا يرميني فيه النَّاس بداهيةٍ إلاّ عَدَدته نعمة من اللهِ تَعَالَىٰ عليَّ، وأنشد:

إِنَّ اِمرَأً يُمْسِي وَيُصبَحَ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ إِلّا مَا جَنَىٰ لَسَعِيدُ[3]

---

(١) سورة عبس الآية: (١ـ ٢).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (٢/ ٢٤١). وجاء في موقع الإسلام سؤال وجواب للشَّيخ المنجد: لم نقف علىٰ هذا الأثر بالإسنادِ المعتمد، ولم نجده في كتب السُّنّة والآثار، وإنّما رأيناه في بعض كتب الرّقائق والمواعظ بغير إسناد ولا إحالة معتمدة... وقال: ونحنُ – وإن كنَّا لا نُثبته لعدم وقوفنا علىٰ مستنده – إلَّا أنَّ معناه لا يظهر فيه ما يُستنكر... وقال ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًى سَمِعَهُ مِنْ اللهِ يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» رواه البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم(٢٨٠٤)، والفائدة من ذلك أن لا يكون نقد الحُسَّاد وطعن المغرضين سببًا في فتور المسلم عن نجاحهِ وتقدمه، ولا سببًا في حبوط همته وضعف عزيمته، وليتذكر دائمًا أنَّ الله ﷻ، والملائكة، والرُّسل والأنبياء لم يسلموا من الشَّتمِ والأذىٰ.

(٣) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ): قوت القلوب في معاملةِ المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م (٢/ ٣٩٠).

ولله در قول القائل[1]:

وَما أَحَدٌ مِن أَلسُنِ النَّاسِ سَالِمًا وَلَو أَنَّهُ ذَاكَ النَّبِيُّ المُطَهَّرُ
فَإِن كانَ مِقْدَامًا يَقولونَ أَهوَجُ وَإِن كَانَ مِفْضَالًا يَقُولونَ مُبذِّرُ
وَإِن كانَ سِكِّيتًا يَقولونَ أَبكَمُ وَإِن كَانَ مِنطيقًا يَقُولونَ مُهَذَّرُ
وَإِن كانَ صَوَّامًا وَباللَيلِ قائِمًا يَقُولونَ زَرّافٌ يُرائِي وَيَمْكُرُ
فَلا تَحتَفِل بِالنَّاسِ في الذَمِّ وَالثَّنَا وَلا تَخْشَ غَيرَ اللَهِ فَاللَهُ أَكبَرُ

❁❁❁

(١) محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (ت١٠٣١هـ): الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م (١/ ٢٧٤).

## ثَالِثًا: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ سَنَةِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ:

في سنَّة النَّبي ﷺ أحاديثٌ كثيرةٌ صحيحةٌ وصريحةٌ يظهر من خلالها مكانة العبد عند الله ﷻ إذَا كَان صَالحًا في نفسهِ مُصلحًا لِغيرهِ، مُجْتَهِدًا في العلمِ والعملِ والدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ، ولقد أثنىٰ النَّبيّ ﷺ علىٰ القرون الثَّلاثة الخيِّرة في قولهِ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي[1]، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2]. فهؤلاءِ بشهادةِ رسول الله ﷺ -أي: لهذه القرون الثَّلاثة- أنَّهم خير القرون، ولا شكَّ أنَّ هديهم وطريقتهم وسنتهم هي خير الهدي وخير السَّنن وخير الطَّرائق[3].

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢/ ٣٥٢): أَيْ: أَهْلُ قَرْنِي، وَالْقَرْن: أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اِشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنْ الْأُمُورِ الْمَقْصُودَة. وَيُقَال: إِنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا اِجْتَمَعُوا فِي زَمَنِ نَبِيٍّ أَوْ رَئِيسٍ يَجْمَعُهُمْ عَلَى مِلَّةٍ، أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ عَمَل. وَيُطْلَقُ الْقَرْنُ عَلَى مُدَّةٍ مِنْ الزَّمَان، وَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَام إِلَىٰ مِائَة وَعِشْرِينَ، وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ عِنْد مُسْلِمٍ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْقَرْنَ مِائَة، وَهُوَ الْمَشْهُور. وَالْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيث: الصَّحَابَة. وَاتَّفَقَ العلماءُ أَنَّ آخِرَ مَنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ مِمَّنْ يُقْبَلُ قَوْلُهُ، مَنْ عَاشَ إِلَىٰ حُدُودِ الْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتْ الْبِدَعُ ظُهُورًا فَاشِيًّا، وَأَطْلَقَتْ الْمُعْتَزِلَة أَلْسِنَتهَا، وَرَفَعَتْ الْفَلَاسِفَةُ رُءُوسهَا، وَامْتُحِنَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِيَقُولُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتَغَيَّرَتْ الْأَحْوَالُ تَغَيُّرًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَزَلْ الْأَمْرُ فِي نَقْصٍ إِلَىٰ الْآن، وَظَهَرَ قَوْلُهُ ﷺ "ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِب" ظُهُورًا بَيِّنًا، حَتَّى يَشْمَلَ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ وَالْمُعْتَقَدَاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. ابن حجر: فتح الباري (١٠/ ٤٤٥).

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١/ ٣): (خ) ٢٦٥١، (م) ٢١٤ - (٢٥٣٥)، (ت) ٢٢٢١ (واللفظ له).

(٣) ويقابل السَّلف الخلف، وهم: الذين جاءوا بعد هذه القرون الثَّلاثة، ونحنُ نَعلمُ أنَّه قدْ اختلفت طريقة السَّلف عن الخلفِ في كثيرٍ من الأمورِ، فقد ظهرت بعد القرن الثَّالث أمور لم تكن، وكان ذلك بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم، ودخول الثَّقافات الأجنبية علىٰ الأمةِ الإسلاميةِ، فقد دخلت ثقافات النَّصارىٰ الذين أسلموا، وكذلك اليهود، واليونان، والهنود بعد الفتوحات الإسلامية الهائلة، وهذه الثَّقافات أثَّرت مع الأسفِ، وخاصة في الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم، فقد انبهروا بها، وحين اطَّلعوا عليها -وهي شيء جديد عليهم- وثقوا بها، وانبهروا، فأخذوا يعتنون بها، وأخذ بعض الأمراء والحكام من الذين لم =

والآيات القرآنية في الثَّنَاء علىٰ الصَّحابة والشَّهادة لهم بالإيمانِ والتقوىٰ وكلِّ خير معروفة، ومن آخرها نُزولًا، قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾[1].

سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، غزوة تبوك، وكلمة (الْمُهَاجِرِينَ) هنا تشمل السَّابقين واللاحقين ومن كان معهم من غير الأنصار، ولا نعلمه تخلف ممن كان بالمدينةِ من هؤلاءِ أحدٌ إلَّا عاجزًا أو مأمور بالتَّخلفِ مع شدّةِ حرصهِ علىٰ الخروج.

وفي الصَّحيح قول النَّبيّ ﷺ لمَّا رجع من تبوك: «لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ رِجالًا[2] مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا[3] إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ» وفي روايةٍ: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ[4]» "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟، قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ»[5]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟

---

=

يفقهوا حقيقة الإسلام ولم يهتموا بالأمرِ وخطورتهِ، أخذوا يعطونهم الجوائز الكبيرة من أجل ترجمة كتب هذه الأمم الأجنبية إلىٰ المسلمين. الألباني: دروس للشَّيخ محمد ناصر الدين الألباني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: / /www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٤٦ درسا] (٣٨/ ٢، بترقيم الشاملة آليا).

(١) سورة التوبة الآية: (١١٧-١١٨).

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٩/ ٣٤٠): (حم) ١٢٦٥٠، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٣) (خ) ٤١٦١.

(٤) (م) ١٩١١.

(٥) (خ) ٤١٦١، (جة) ٢٧٦٤.

قَالَ: «حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»(١).(٢). وفي الفتح أنَّ المُهَلَّب استشهد لهذا الحديث بقولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾(٣) وهو استشهاد متين، والمأمور بالتخلفِ أولىٰ بالفضلِ(٤). وفي هذا وآيات أخرىٰ ثناءٌ يَعم المهاجرين من لحق بهم لا نعلم ثم ما يخصصه، فأمَّا الأنصار فقد عَمَّت الآية من خرج معهم إلىٰ تبوك وَالثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا والمهاجرين، ولم يبقِ إلَّا نفرٌ كانوا منافقين(٥).

---

(١) أَيْ: مَنَعَهُمْ عَنْ الْخُرُوج. عون المعبود (٥/ ٤٠٢).

(٢) (م) ١٩١١، (حم) ١٤٢٤٦.

(٣) سورة النساء الآية: (٩٥).

(٤) قال المهلب يشهد لهذا الحديث قوله تعالىٰ:﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ الآية، فإنَّه فاضل بين المجاهدين والقاعدين، ثم استثنىٰ أولي الضَّرر من القاعدين، فكأنَّه ألحقهم بالفاضلين، وفيه أنَّ المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل. ابن حجر: فتح الباري (٦/ ٤٧).

(٥) وفي الصَّحيح في حديثِ كعب بن مالك وَهو أحد الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا: "فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ" وفي هذا بيان أنَّ المنافقين قد كانوا معروفين في الجملةِ قبل تبوك، ثم تأكد ذلك بتخلفهِ لغير عذرٍ وعدم ثبوتهم، ثم نزلت سورة براءة فقشقشتهم وبهذا يتضح أنَّهم قد كانوا مشار إليهم بأعيانهم قبل وفاة النَّبي ﷺ، فأمَّا قول الله ﷻ: ﴿لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فالمراد والله أعلم؛ بالعلمِ ظاهره أي باليقين، وذلك لا ينفي كونهم مغموصين أي متهمين، غاية الأمر أنَّه يحتمل أن يكون في المتهمين من لم يكن منافقًا في نفس الأمر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ونص في سورة براءة وغيرها علىٰ جماعة منهم بأوصافهم، وَعَيَّنَ النَّبي ﷺ جماعة منهم، فمن المحتمل أنَّ الله ﷻ بعد أن قال ﴿لا تَعْلَمُهُمْ﴾ أعلمه به كلهم، وعلىٰ كل حالٍ فلم يمت النَّبي ﷺ إلَّا وقد عَرَّفَ أصحابه المنافقين يقينًا أو ظنًا أو تهمة، ولم يبق أحدٌ من المنافقين غير متهم بالنِّفاقِ. ومما يدل علىٰ ذلك، وعلىٰ قلَّتهم وذلَّتهم وانقماعهم ونفرة النَّاس عنهم، أنَّه لم يحس لهم عند وفاة النَّبي ﷺ حِرَاكٌ، ولمَّا كانوا بهذه المثابة لم يكن لأحدٍ منهم مجال في أن يُحَدِّثُ عن النَّبي ﷺ لأنَّه يعلم أنَّ ذلك يُعَرِّضه لزيادةِ التَّهمة وَيَجُرُّ إليه ما يكره. يُنظَر: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (ت١٣٨٦هـ): الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء علىٰ السَّنة" من الزَّلل والتَّضليل والمجازفة، المطبعة السَّلفية ومكتبتها، عالم الكتب – بيروت، سنة، =

وَأَوَّل من تكلم في أحوال الرّجال القرآن، ثم النَّبيّ ﷺ، ثم أصحابه. والآيات كثيرة في الثَّنَاء علىٰ الصَّحابةِ إجمالًا، وذم المنافقين إجمالًا، ووردت آيات في الثَّنَاء علىٰ أفراد مُعَيَّنِينَ مِن الصَّحابة - كما يُعلم مِنْ كتب الفضائل - وآيات في التَّنبيه علىٰ نفاق أفراد معينين، وعلىٰ جرح أفراد آخرين.

وثبتت عن النَّبي ﷺ أحاديث كثيرة في الثَّنَاءِ علىٰ أصحابهِ جملة، وعلىٰ أفراد منهم مُعَيَّنِينَ، معروفة في كتب الفضائل، وأخبار أُخر في ذم بعض الفرق إجمالًا، كالخوارجِ، وفي تعيين المنافقين وذم أفراد مُعَيَّنِينَ، كعيينة بن حصن، والحكم بن أبي العاص. وثبتت آثار كثيرة عن الصَّحابة في الثَّنَاءِ علىٰ بعض التَّابعين، وآثار في جرح أفراد منهم[1].

١ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»[2].

«وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ ﷻ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ:

---

=

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (ص: ٢٧٧-٢٧٨).

(١) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي: علم الرجال وأهميته، محاضرة ألقاها الشَّيْخ العلَّامة عن علم الرجال (ص: ٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٦).

«فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[1] «فَيُبْغَضُ»[2].

إنَّ محبة الله عبده: "إرادة الخير به فى الدُّنيا والآخرة، من هدايته له وإنعامه عليهِ ورحمته له، وبغضه له: أراد به شقاء عقابه وشقاوته فى الدنيا والآخرة، وقد تكون محبة جبريل والملائكة علىٰ وجهها من معنىٰ المحبة وظاهرها التى تليق بالمخلوقين، ويتنزه عنها الخالق، وهو ميل النَّفس ونزوع الرّوح والقلب إليهِ وحبه لقاءه، وأنَّه لمَّا كان ممن أطاع وأحبه الله كان ممن يجب أن يكون مع جبريل والملائكة متحابين فى اللهِ. وقد يكون من جبريل والملائكة استغفارهم له، وذكرهم الجميل فى الملأ الأعلىٰ له ودعائهم له. وقوله: "فيوضع له القبول في الأرض" وهو الرّضا والحبّ فى القلوبِ، أي تقبله وتميل إليه، ولا تنفر عنه ولا تَردّه"[3].

٢ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: (كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَرَّتْ جِنَازَةٌ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الْجِنَازَةُ؟»، قَالُوا: جِنَازَةُ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ)[4] (كَانَ مَا عَلِمْنَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ)[5] (وَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ وَيَسْعَىٰ فِيهَا)[6].

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١/ ١٠٥): (م) ٢٦٣٧، (ت) ٣١٦١.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١/ ١٠٥): (حم) ١٠٦٢٣، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٣) القاضي عياض: شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم المُسَمَّىٰ إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم (٨/ ١١٦).

(٤) (هب) ٨٨٧٦، (ك) ١٣٩٧، صَحِيح الْجَامِع: ٢١٧٥، الصَّحِيحَة: ١٦٩٤.

(٥) (حم) ١٣٠٦٢، (هب) ٨٨٧٦، (ك) ١٣٩٧، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٦) (ك) ١٣٩٧، (هب) ٨٨٧٦.

(وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا)[1] (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»[2] (ثُمَّ مَرَّتْ عَلَيْهِ جِنَازَةٌ أُخْرَىٰ)[3] (فَقَالَ: «ما هَذِهِ؟»، فَقَالُوا: جِنَازَةُ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ)[4] (بِئْسَ الْمَرْءُ كَانَ فِي دِينِ اللهِ)[5] (كَانَ يُبْغِضُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَيَسْعَىٰ فِيهَا[6])[7] (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»[8] (فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي)[9] (يَا رَسُولَ اللهِ)[10] (مُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ)[11] (مَا وَجَبَتْ؟، قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ»[12] «الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ»[13].

---

(١) (حم) ١٣٠٦٢، (خ) ٢٤٩٩، (م) ٦٠ - (٩٤٩).

(٢) (م) ٦٠ - (٩٤٩)، (خ) ١٣٠١، (حم) ١٢٩٦١.

(٣) (حم) ٧٥٤٣، (خ) ١٣٠١، (س) ١٩٣٢، (جة) ١٤٩١، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٤) (ك) ١٣٩٧، (هب) ٨٨٧٦.

(٥) (حم) ١٣٠٦٢، (هق) ٦٩٧٧.

(٦) لاحِظ أنَّ النَّبيّ ﷺ لم يعتبر ثناءهم علىٰ الميت شَرًّا غِيبة له. ع.

(٧) (ك) ١٣٩٧، (هب) ٨٨٧٦.

(٨) (م) ٦٠ - (٩٤٩)، (خ) ٢٤٩٩، (حم) ١٢٩٦١.

(٩) (خ) ١٣٠١، (م) ٦٠ - (٩٤٩)، (س) ١٩٣٢، (حم) ١٢٩٦١.

(١٠) (خ) ٢٤٩٩، (حم) ١٤٠٢٨.

(١١) (م) ٦٠ - (٩٤٩)، (خ) ٢٤٩٩، (س) ١٩٣٢، (حم) ١٢٩٦١.

(١٢) (خ) ١٣٠١، (م) ٦٠ - (٩٤٩)، (س) ١٩٣٢، (حم) ١٢٩٦١.

(١٣) (س) ١٩٣٣، (ن) ٢٠٦٠، (طب) ج٧/ ص٢٢ ح٦٢٥٩، انظر صَحِيح الْجَامِع: ١٤٩٠، ٦٧٢٨، أحكام الجنائز ص٤٤.

«وَالْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ»[1]، وفي روايةٍ: «إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ شُهَدَاءُ»[2]، وفي روايةٍ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»[3].

أَي كَأَنَّهَا تُرَكِّبُ ألسنتها علىٰ ألسنتهم كَمَا فِي التَّابع والمتبوع من الجنّ (بِمَا فِي الْمَرْء من الْخَيْر وَالشَّر) لِأَنَّ مَادَّة الطَّهَارَة إِذا غلبت فِي شخص واستحكمت صَار مظْهرًا للأفعال[4]. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، فَأَلْهَمَ الله تَعَالَىٰ النَّاس الثَّنَاء عَلَيْهِ بِخَيْرٍ، كَانَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْل الْجَنَّة، سَوَاء كَانَتْ أَفْعَاله تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لَا؛ فَإِنَّ الْأَعْمَال دَاخِلَة تَحْت الْمَشِيئَة، وَهَذَا إِلْهَام يُسْتَدَلّ بِهِ عَلَىٰ تَعْيِينهَا... وَهَذَا فِي جَانِب الْخَيْر وَاضِح.

وَأَمَّا جَانِب الشَّرّ، فَظَاهِر الْأَحَادِيث أَنَّهُ كَذَلِكَ، لَكِنْ إِنَّمَا يَقَع ذَلِكَ فِي حَقّ مَنْ غَلَبَ شَرّه عَلَىٰ خَيْره، وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَة النَّضْر الْمُشَار إِلَيْهَا أَوَّلًا فِي آخِر حَدِيث أَنَس: إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَة تَنْطِق عَلَىٰ أَلْسِنَة بَنِي آدَم بِمَا فِي الْمَرْء مِنْ الْخَيْر وَالشَّرّ. وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَىٰ جَوَاز ذِكْر الْمَرْء بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لِلْحَاجَةِ، وَلَا يَكُون ذَلِكَ مِنْ الْغِيبَة"ا.هـ[5].

---

(١) (حم) ١٢٩٦٢، (خ) ٢٤٩٩، (حب) ٣٠٢٥، (يع) ٣٤٦٦، (هق) ٢٠٦٩٩، (م) ٦٠ - (٩٤٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) (د) ٣٢٣٣، (حم) ١٠٠١٤.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٠): (ك) ١٣٩٧، (هب) ٨٨٧٦. قلتُ: وصحيح الجامع (٢١٧٥)، والصحيحة (١٦٩٤).

(٤) المناوي: التيسير بشرح الجامع الصَّغير (١/ ٣٢٩).

(٥) ابن حجر: فتح الباري (٣/ ٢٣١).

قال **النَّووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَمَّا مَعْنَاهُ فَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا الثَّنَاءُ بِالْخَيْرِ لِمَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَكَانَ ثَنَاؤُهُمْ مُطَابِقًا لِأَفْعَالِهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ هُوَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ. وَالثَّانِي: وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ؛ أَنَّهُ عَلَىٰ عُمُومِهِ وَإِطْلَاقِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ مَاتَ فَأَلْهَمَ اللهُ تَعَالَىٰ النَّاسَ أَوْ مُعْظَمَهُمُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِيهِ فَلَا تُحَتَّمُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ، بَلْ هُوَ فِي خَطَرِ الْمَشِيئَةِ، فَإِذَا أَلْهَمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ النَّاسَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ اسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ شَاءَ الْمَغْفِرَةَ لَهُ وَبِهَذَا تَظْهَرُ فَائِدَةُ الثَّنَاءِ"[1].

قال **ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَىٰ الْمَيِّتِ؛ أَيْ مَشْرُوعِيَّتُهُ وَجَوَازُهُ مُطْلَقًا، بِخِلَافِ الْحَيِّ فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْإِطْرَاءِ خَشْيَةً عَلَيْهِ مِنَ الزَّهْوِ"[2].

قال **النَّووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "يُستحبّ الثَّنَاء علىٰ الميتِ وذكر محاسنه. وقال: يُسْتَحبّ أن يدعوَ لها وَيُثْنِي عليها بالخيرِ إن كانت أهلاً للثَّنَاءِ، ولا يُجازف في ثنائِهِ"[3].

وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكُرِهَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ الْإِفْرَاطِ فِي مَدْحِ الْمَيِّتِ عِنْدَ جِنَازَتِهِ، حَتَّى كَانُوا يَذْكُرُونَ مَا هُوَ يُشْبِهُ الْمُحَالَ، وَأَصْلُ الثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمَيِّتِ لَيْسَ بِمَكْرُوهٍ، وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ بِمَا لَيْسَ فِيهِ"[4].

---

(١) النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٩).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (٣/ ٢٢٩).

(٣) بتصرف من: النَّووي: الأذكار (ص: ١٦١).

(٤) لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي: الفتاوىٰ الهندية، دار الفكر، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة، ١٣١٠هـ (٥/ ٣١٩).

وقال الزّرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيه جواز الثَّنَاءِ علىٰ الميت والإخبار بفضلهِ، وإِنَّمَا يجوز الثَّنَاءِ بفعلهِ ولا يُخبر بما يصير إِليهِ لأَنَّه أَمرٌ مَغيبٌ عَنَّا"[1].

قَالَ الدَّاوُدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْمُعْتَبَرُ فِي ذَلِكَ شَهَادَةُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالصِّدْقِ لَا الْفَسَقَةُ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ يُثْنُونَ عَلَىٰ مَنْ يَكُونُ مِثْلَهُمْ، وَلَا مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ عَدَاوَةٌ لِأَنَّ شَهَادَةَ الْعَدُوِّ لَا تُقْبَلُ"[2].

٣ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ» فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: «وَثَلَاثَةٌ»، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟، قَالَ: «وَاثْنَانِ» (قَالَ: وَلَمْ نَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْوَاحِدِ)[3].

ومِن الحِكمةِ في اختلافِ هذا العددِ- حيث جاء: أربعةٌ، وثلاثةٌ واثنانِ، كما في روايةِ البُخاريِّ-؛ نظرًا لاختلافِ المعاني؛ لأنَّ الثَّنَاءَ قد يكونُ بالسَّماعِ الفاشي علىٰ الألْسنةِ، فاسْتُحِبَّ في ذلك التَّواتُرُ والكثرةُ، والشَّهادةُ لا تكونُ إلَّا بالمعرفةِ بأحوالِ المشهودِ له، فيأتي في ذلك أربعةُ شُهداءَ؛ لأنَّ ذلك أعلىٰ ما يكونُ من الشَّهادةِ، ... قال عمرُ رضي الله عنه: "ولم نسأَلْ رسولَ اللهِ ﷺ عن الواحدِ"، أي: ثمَّ لمْ نسأَلِ النَّبيَّ ﷺ عن ثَناءِ الشَّخصِ الواحدِ: هل يُكْتفىٰ به؟ وذلك أنَّ هذا المقامَ مَقامٌ عَظيمٌ؛ فلا يُكْتفىٰ فيه بأقلَّ من النِّصَابِ كما أجراهُ اللهُ في أُمورِ الدُّنيا[4].

---

(١) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزَّرقاني (ت١١٢٢هـ): شرح الزَّرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، سنة، ١٤١١هـ (١/ ٥٠٢).

(٢) ابن حجر: فتح الباري (٣/ ٢٣٠).

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢١): (ت) ١٠٥٩، (خ) ١٣٠٢، (حم) ٢٠٤، (ش) ١١٩٩٦.

(٤) بدر الدين العيني الحنفي (ت ٨٥٥هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٩٢، بترقيم

وفي الحديثِ: أنَّ المُسلِمين إذا شَهِدوا بالخيرِ للميِّتِ، فقد أثْبَتوا له الحقَّ بالجنَّةِ. وفيه: التَّنبيهُ علىٰ الإحسانِ إلىٰ النَّاسِ، وإظْهارِ الخيرِ للمُسلِمين وعدَمِ إظْهارِ السُّوءِ.

٤ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ»(١)، وفي روايةٍ: «أَرْبَعَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ»(٢) (أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ اللهُ ﷻ: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(٣)، وفي رواية(٤): قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَىٰ مَا عَلِمُوا وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ(٥)".

---

=

الشاملة آليا).

(١) (حم) ٩٢٨٤، ٨٩٧٧، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٣٥١٦.

(٢) (حم) ١٣٥٦٥، (حب) ٣٠٢٦، (ك) ١٣٩٨، (يع) ٣٤٨١، (هب) ٩١٢١، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٣٥١٥.

(٣) (حب) ٣٠٢٦، (حم) ١٣٥٦٥، (ك) ١٣٩٨، (يع) ٣٤٨١، (هب) ٩١٢١، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط: صحيح.

(٤) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٢): (حم) ٩٢٨٤، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٦٦٢.

(٥) قال الألباني في تلخيص أحكام الجنائز ص٢٦ بعد تصحيحه للحديث: "واعلم أنَّ مجموع هذه الأحاديث يدلُّ علىٰ أنَّ هذه الشَّهادة لَا تختصُّ بالصَّحابة، بل هي أيضًا لمن بعدهم من المؤمنين الذين هم علىٰ طريقتهم في الإيمان والعلم والصَّدق، وبهذا جزم الحافظ ابن حجر في (الفتح). ثم إنَّ تقييد الشَّهادة بأربع في الحديث الثَّالث، الظَّاهر أنَّه كان قبل حديث عمر الذي قبله، ففيه الاكتفاء بشهادة اثنين، وهو العمدة. وأمَّا قول بعض النَّاس عقب صلاة الجنازة: "ما تشهدون فيه؟ اشهدوا له بالخيرِ، فيجيبونه بقولهم: صالح، أو من أهل الخير، ونحو ذلك"، فليس هو المراد بالحديث قطعًا، بل هو بدعةٌ قبيحةٌ، لأنَّه لم يكن من عملِ السَّلف، ولأنَّ الذين يَشهدون بذلك لَا يعرفون الميتَ في الغالب، بل قد يشهدون بخلافِ ما يعرفون، استجابة لرغبةِ طالب الشَّهادة بالخيرِ، ظنًّا منهم أنَّ ذلك ينفع الميت، وجهلًا منهم بأنَّ الشَّهادة =

**قلتُ**: سبحان اللهِ!! ففي قول النَّبيّ ﷺ: «**جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ**» فائدةٌ عَمِلَ بها أهلُ العلم في الجرح والتعديل فَقَدَّموا الجار وأهل البلد علىٰ غيره: "ومن ذلك تقديم أهل بلد الرَّاوي علىٰ غيرهم؛ لأنَّهم أعرف به. قَالَ حَمَّادُ بْنَ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا مِنَ الْبِلَادِ، وَيَذْكُرُ الرَّجُلَ وَنُحَدِّثُ عَنْهُ وَنُحْسِنُ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ، فَإِذَا سَأَلْنَا أَهْلَ بِلَادِهِ وَجَدْنَاهُ عَلَى غَيْرِ مَا نَقُولُ، قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: أَهْلُ بَلَدِ الرَّجُلِ أَعْرَفُ بِالرَّجُلِ"[1].

من ظهر خيره، ستر الله سُوءه! فأطل عمرك، وليكن لك أكثر من عمر، كما قَالَ الشَّاعِرُ:

عُمرُ الفَتىٰ ذِكرُهُ لا طُولُ مُدَّتِهِ وَمَوتُهُ خُزيه لا يومُهُ الدَّانِي
فَأَحْيِ ذِكرَكَ بِالإِحسانِ تُودِعُهُ تَجمع بِذَلِكَ فِي الدُنيا حَيَاتَانِ[2]

---

= النَّافعة إنَّما هي التي توافق الواقع في نفس المشهود له، كما يدل علىٰ ذلك قوله ﷺ في الحديث: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**». أ. هـ

(١) قَالَ الْخَطِيبُ: لَمَّا كَانَ عِنْدَهُمْ زِيَادَةُ عِلْمٍ بِخَبَرِهِ، عَلَى مَا عَلِمَهُ الْغَرِيبُ مِنْ ظَاهِرِ عَدَالَتِهِ، جَعَلَ حَمَّادٌ الْحُكْمَ لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ جَرْحِهِ، دُونَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْغَرِيبُ مِنْ عَدَالَتِهِ. يُنظَر: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ): الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السَّورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية – المدينة المنورة (١٠٦)، يوسف بن هاشم بن عابد اللحياني: الخبر الثَّابت، تقديم الشَّيْخ عبد الله بن عبد الرحمن السَّعد (ص: ٢٧).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (٤١٣هـ): زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ.د/ يوسف علي طويل، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، سنة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م (٢/ ٧٥)، أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثَّعالبي(ت٤٢٩هـ): الإعجاز والإيجاز، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، دار الغصون – بيروت/ لبنان، سنة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م (ص: ٢٧٥)، الثَّعالبي: لباب الآداب، تحقيق: أحمد حسن لبج، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، سنة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م (ص: ٢٢٢)، العبيدي: التذكرة السَّعدية (ص: ٤١، بترقيم الشاملة آليا)، ونسبت إلىٰ أبي الفضل الميكالي.

٥ـ عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ "وَخَرَجَ النَّاسُ، فَقَالَ النَّاسُ خَيْرًا، وَأَثْنَوْا خَيْرًا، "فَجَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرُوا، وَلَكِنَّكُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، فَقَدْ قَبِلَ اللهُ قَوْلَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرَ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[(١)].

٦ـ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دُعِيَ لِجِنَازَةٍ، سَأَلَ عَنْهَا "فَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، "قَامَ فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا"، وَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ" قَالَ لِأَهْلِهَا: شَأْنُكُمْ بِهَا، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا"[(٢)].

٧ـ عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالُوا: بِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ»[(٣)].

والنَّاس يَشْهَدون بما يُشَاهِدون! قَالَ الشَّاعِرُ:

عَلَيكَ بِفِعلِ الخَيرِ لَولَم يَكُن لَهُ مِنَ الفَضلِ إِلّا حُسنُهُ في المَسامِعِ[(٤)]

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٣): (كر) ج٦٥ص٢٢١، (الإصابة) ج٣ص٦٥٨، انظر الصَّحِيحَة: ١٣١٢.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٤): (حم) ٢٢٦٠٨، (ك) ١٣٤٨، (حب) ٣٠٥٧، (طل) ٦٢٩، انظر صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: ٣٥١٧، أحكام الجنائز ص٨٤، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح. وفي الحديث دليلٌ علىٰ عدم استحباب الصَّلاة علىٰ الفَسَقة.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٥): (جة) ٤٢٢١، (حم) ١٥٤٧٧، (ش) ٣٦٩٦٠، (حب) ٧٣٨٤، (ك) ٤١٣، انظر صحيح موارد الظمآن: ١٧٢٩.

(٤) البيت منسوب لأبي العلاء المعرِّي، وتكملة الأبيات التي بعده هي:

لَعَمرُكَ ما في عالَمِ الأَرضِ زاهِـدٌ يَقينًا وَلا الرُهبانُ أَهلُ الصَوامِعِ

وَأَرىٰ أُمَراءَ الناسِ يُمسونَ شَرَّهُم إِذا خَطَفوا خَطفَ البُزاةِ اللَوامِعِ

=

فكن من أهل المعروف في الدنيا لِتُعرف به في الدنيا والآخرةِ... قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ[1]، وَإِنَّ أَهْلَ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ»[2]. وإذا أردت المقياس بين النَّاس، فانظر لقولهم في بعضهم، وكن ذِكرًا يروق للنَّاس جميلًا، وخبرًا يُذكر علىٰ الخير دليلًا.

وفي **شعب الإيمان**: "قَالَ رَجُلٌ لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْحَدِيثَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ حَمَّادٌ: "أَنَا أُخْبِرُكَ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فَجَادَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلٍ مِنْ فَضْلِهِ وَبَقَّىٰ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ فَتَلَقَّاهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَصِّرِينَ يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ فَيَقُولُونَ: ذَهَبَتِ السَّيِّئَاتُ بِالْحَسَنَاتِ وَقَدْ بَقِينَا لَا نَدْرِي إِلَىٰ مَا نَصِيرُ قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُمْ: فَإِنَّ رَبَّنَا قَدْ جَادَ عَلَيْنَا بِفَضْلٍ مِنْ فَضْلِهِ وَبَقَّىٰ لَنَا حَسَنَاتِنَا الَّتِي

---

=

وَفي كُلِّ مِصرٍ حاكِمٌ فَمُوَفَّقٌ وَطاغٍ يُحابي في أَخَسِّ المَطامِعِ
يَجورُ فَيَنفي المُلكَ عَن مُستَحَقِّهِ فَتَسكُبُ أَسرابُ العُيونِ الدَوامِعِ
وَمِن حَولِهِ قَومٌ كَأَنَّ وُجوهَهُم صَفًّا لَم يُلَيِّن بِالغُيوثِ الهَوامِعِ
عَدولٌ لَهُم ظُلمُ الضَعيفِ سَجِيَّةٌ يُسَمَّونَ أَعرابَ القُرىٰ وَالجَوامِعِ

يُنظَر: ديوان أبي العلاء المعرّي (ص: ٨٥٧)، دواوين الشّعر العربي علىٰ مرّ العصور (٤١/ ١٢٥)، أحمد قبش بن محمد نجيب: مجمع الحكم والأمثال.

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٢٨٨): أَيْ: من بذَلَ معروفَه للناس في الدنيا، آتاه اللهُ جزاءَ معروفِه في الآخرةِ. المناوي: فيض القدير (٣ / ٧٧٢).

(٢) (صحيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد (١/ ١٠٠) رقم (١٦٣). وقال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٢٨٨): (طس) ٦٠٨٦، صَحِيح الْجَامِع: ٣٧٩٥ ، ٣٧٩٦ ، الصَّحِيحَة: ١٩٠٨، صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: ٨٨٨ ، ٨٩٠. واللفظ مختلف.

عَمِلْنَاهَا فَهَلُمُّوا نَدْفَعُهَا إِلَيْكُمْ. قَالَ: فَيَدْفَعُونَهَا إِلَيْهِمْ فَيَدْخُلُونَ بِهَا الْجَنَّةَ "[1].

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ[2] فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا، وُضِعَ فِي الْأَرْضِ حَسَنًا، وَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا، وُضِعَ فِي الْأَرْضِ سَيِّئًا»[3].

ولذا قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا المرءُ لمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ فلَيسَ لهُ، والحَمدُ للهِ، مَادِحُ[4]

٩- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ»[5].

فالشَّهادة من المؤمنين بالخيرِ عاجل البُشرىٰ، وَمُقَدِّمةِ الفلاح، وَمُبتَدأ السَّعادة، ودليل الزِّيادة، ومنطلق الطَّمأنينة في الدَّنيا وفي الأخرة الزِّيادة، قَالَ الشَّاعِرُ:

---

(١) البيهقي: شعب الإيمان (١٣/ ٤٩٥) رقم (١٠٦٦٩)، وعلَّق المحققُ وقال: إسناده ليس بالقوي.

(٢) الصَّيت: هو الذكر الجميل.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٦): (الكامل في الضعفاء لابن عدي) ج٢ص٤١٢، (بز) ٣٦٠٣، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٥٧٣٢، الصَّحِيحَة: ٢٢٧٥.

(٤) ديوان أبي العتاهية (ت٢١١هـ) (ص: ٤٠)، محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠هـ): الدّر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: الدكتور/ كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م (٢/ ٣٣٣).

(٥) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٧): (جة) ٤٢٢٤، (طب) (١٢/ ١٧٠) ح١٢٧٨٧، (هب) ٦٦١٨، (ك) ١٤٠٠، انظر الصَّحِيحَة: ١٧٤٠.

والمرءُ بالأخلاقِ يَسْمُو ذكْرهُ وَبِهَا يُفضلُ في الوَرَىٰ وَيوقرُ[1]

١٠ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفِهْرِيَّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَتَىٰ الرَّجُلُ الْقَوْمَ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا، فَمَرْحَبًا بِهِ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ[2] وَإِذَا أَتَىٰ الرَّجُلُ الْقَوْمَ، فَقَالُوا لَهُ: قَحْطًا[3]، فَقَحْطًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4].

١١ـ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَانْظُرُوا مَاذَا يَتْبَعُهُ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ[5].

١٢ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: (قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ)[6] (للهِ)[7] (فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ) (وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِهِ؟)[8] قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ»[9].

---

(١) نُسِبَ هذا البيت لـ: محمود الأيوبي. وهوفي كتاب مجمع الحكم والأمثال.

(٢) فَمَرْحَبًا بِهِ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ: معنىٰ الحديث أنَّه إذا كان يُقال له عند قدومه علىٰ النَّاس هذا القول فإنَّه يُقال له مثل ذلك يوم القيامة، إن كان ترحيب فترحيب وإن كان غير ذلك يُقال له أيضًا.

(٣) قَحْطًا: قيل: القحط في كلِّ شيءٍ قلة خيره.

(٤) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٨): (ك) ٦٢٣٥، (طس) ٢٥١٤، صَحِيح الْجَامِع: ٢٦٦، الصَّحِيحَة: ١١٨٩.

(٥) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢٩): (ط) ١٦٠٦، (الزّهد لأبي داود) ٤٧٠، (الزهد الكبير للبيهقي) ٨١٠.

(٦) (م) ٢٦٤٢.

(٧) (جة) ٤٢٢٥.

(٨) (حم) ٢١٤١٧، (جة) ٤٢٢٥.

(٩) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٥/ ١١): (م) ٢٦٤٢.

أَيْ: "هَذِهِ الْبُشْرَىٰ الْمُعَجَّلَة لَهُ بِالْخَيْرِ هِيَ دَلِيلٌ عَلَىٰ رِضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، فَيُحَبِّبُهُ إِلَىٰ الْخَلْق، كَمَا فِي الْحَدِيث: "ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُول فِي الْأَرْض"، هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمِدَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ لِحَمْدِهِمْ، وَإِلَّا، فَالتَّعَرُّضُ مَذْمُوم"(١).

لأنَّه لم يعمل العمل ابتداءً ولا انتهاءً من أجلِ أن يراه النَّاس، لكنَّه لمَّا عَمِلَ العمل أطلع اللهُ عليهِ النَّاس فحمدوه عليهِ، بخلافِ من يعمل العمل ليُحمد عليهِ، أو من يُحبّ أن يُحمد بما لم يعمل! فهذا قد توعده الله جل وعلا بأليم العذاب، قال تَعَالَىٰ: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

والحاصل "أنَّ عمل الخير لاستجلاب مدح النَّاس رياء، وهو حرام، ولكن إذا كان عمله خالصًا لوجه الله تَعَالَىٰ؛ ثم أثنىٰ عليه النَّاس خيرًا بدون أن يطلب منهم ذلك فإنَّه علامة القبول من اللهِ تَعَالَىٰ، وإنَّ مثل هذا المدح لا يبعثه علىٰ الإعجاب بنفسهِ، وإنَّما يحمله علىٰ الشُّكرِ للهِ تَعَالَىٰ، حيث ألقىٰ محبته في قلوب النَّاس، وستر عيوبه عن أعينهم، والله سبحانه وتَعَالَىٰ أعلم"(٣).

---

(١) النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٨٩).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٨٨).

(٣) محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشَّافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها (ت١٤٤١هـ): الكوكب الوَهَّاج شرح صحيح مسلم (المسمَّىٰ: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، دار المنهاج - دار طوق النَّجاة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (٢٤/ ٥٠٧).

١٢ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «كُنْ مُحْسِنًا»، قَالَ: وَكَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟)[١] (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ، فَقَدْ أَسَأْتَ»[٢].

(إذا سَمِعت جيرانك) أَي الصُّلحاء مِنْهُم (يَقُولُونَ قد أَحْسَنت فقد أَحْسَنت) أَي كنت من أهل الْإِحْسَان سترًا من الله وتجاوزًا عَمَّا عرف من الممدوح مِمَّا اسْتَأْثر بِعِلْمِهِ (وَإِذا سمعتهم يَقُولُونَ قد أَسَأْت فقد أَسَأْت) أَي كنتَ من أهل الْإِسَاءَة لأَنَّهم إِنَّمَا شَهِدُوا بِمَا ظهر من سيئ عمله فَإِذا عذَّبه الله فَبِحَق مَا ظهر من عمله السَّيء[٣].

"وأنَّه تَعَالَىٰ جعل ما يجري علىٰ ألسن العباد دليلًا لما عنده من حال عبده، ويُحتمل أنَّه خصَّ جيرانه هنا بالذِّكر وأنَّه إذَا أحسن إليهم اغتفرت إساءته في غير ذلك لعظمة حق الجار، وإذا أساء إليهم لم يُعتد بإحسانهِ إلىٰ غيرهم"[٤].

---

(١) (ك) ١٣٩٩.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١١/ ٢٣٨): (حم) ٣٨٠٨، (جة) ٤٢٢٣، (ك) ١٣٩٩، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٢٧٧، الصَّحِيحَة: ١٣٢٧. قلتُ: وهو في صحيح سنن ابن ماجة ـ تحقيق الألباني (٢/ ٤١٢) رقم (٣٤٠٢).

(٣) المناوي : التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٠٦).

(٤) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافهِ بالأمير (ت١١٨٢هـ): التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السَّلام، الرياض، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م (٢/ ٩٨).

قال **عمر بن الخطاب** ﷺ: "إِذَا حَمِدَ الرَّجُلَ جَارُهُ، وَذُو قَرَابَتِهِ، وَرَفِيقُهُ، فَلا تَشُكُّوا فِي صَلاحِهِ"(١).

قَالَ **الْفَضْلُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "سَمِعْت أَبَا عَبْدِ اللهِ وَسُئِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ الْمَغَازِي فَقَالَ: هَذَا يُسْأَلُ عَنْهُ جِيرَانُهُ، فَإِذَا أَثْنَوْا عَلَيْهِ قُبِلَ مِنْهُمْ"(٢).

❁❁❁

(١) الحسين بن مسعود البغوي: شرح السَّنّة ـ للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشَّاويش، المكتب الإسلامي – دمشق –بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (١٣/ ٧٣).

(٢) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصَّالحي الحنبلي (ت٧٦٣هـ): الآداب الشَّرعية والمنح المرعية، عالم الكتب (٢/ ١١٣).

## الفصـل الثالث:

## فضل الثّناء من خلال أقوال الأئمة والعلماء والنبلاء

لَقَدْ وَضَعَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ ضَوَابِطَ لِلثَّنَاءِ، فَلَا تَتَحَكَّم فِيهَا الْمُيُولُ وَلَا الْأَهْوَاءُ، وَأَشَارُوا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَمِنْهَا:

١ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَحَمْدُ الرِّجَالِ عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا وَافَقُوا فِيهِ دِينَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَشَرْعَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ؛ إِذْ الْحَمْدُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ الْحَسَنَاتِ. وَالْحَسَنَاتُ: هِيَ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ التَّصْدِيقِ بِخَبَرِ اللهِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ، وَهَذَا هُوَ السُّنَّةُ. فَالْخَيْرُ كُلُّهُ - بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ - هُوَ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ. وَكَذَلِكَ مَا يُذَمُّ مَنْ يُذَمُّ مِنْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ السُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ وَطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ إلَّا بِمُخَالَفَةِ ذَلِكَ"[1].

هذا بالنّسبة للأشخاصِ والأفراد، أَمَّا إِذَا تَعَلَّق الأَمْرُ بِالثَّنَاء عَلَىٰ أَهلِ مِصْرَ أَو قُطْر أَو بَلدٍ فَإِنَّ القَاعِدة تُؤَكِد وَتُوَضِحُ:

٢ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَذَا أَصْلٌ يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ، فَإِنَّ الْبَلَدَ قَدْ تُحْمَدُ أَوْ تُذَمُّ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لِحَالِ أَهْلِهِ ثُمَّ يَتَغَيَّرُ حَالُ أَهْلِهِ فَيَتَغَيَّرُ الْحُكْمُ فِيهِمْ؛ إِذْ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ إِنَّمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ أَوْ عَلَىٰ ضِدِّ ذَلِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ"[2].

٣ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَىٰ أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَبْيَضَ إِلَّا

---

(١) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ): مجموع الفتاوىٰ، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطَّبْعَةُ الثالثة، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م (٤/ ١٤).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٤٤).

بِالتَّقْوَىٰ"[1]. وَكَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَىٰ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ آخَىٰ بَيْنَهُمَا لَمَّا آخَىٰ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ بِالشَّامِ وَسَلْمَانُ بِالْعِرَاقِ نَائِبًا لِعُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ - أَنْ هَلُمَّ إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الرَّجُلَ عَمَلُهُ**[2]. فالقضية إذًا مرتبطة بالعملِ الصَّالحِ، وإِصْلاحِ النَّفس، وَسَوْقَها نَحْوَ مَعَالِي الأُمُور في العلمِ والعمل.

**٤ـ وقد وضع شيخ الإسلام قاعدة جليلة غابت عن كثيرٍ من أهل العلم فضلًا عن غيرهم في هذا الزَّمان، وهي مما ينبغي أن تُكْتَبُ بماءِ العيون:**

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا إطْلَاقُ مَدْحِ شَخْصٍ أَوْ طَائِفَةٍ، وَلَا إطْلَاقُ ذَمِّ ذَلِكَ، **فَإِنَّ الصَّوَابَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُ قَدْ يَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَالطَّائِفَةِ الْوَاحِدَةِ مَا يُحْمَدُ بِهِ مِنْ الْحَسَنَاتِ وَمَا يُذَمُّ بِهِ مِنْ السَّيِّئَاتِ**، وَمَا لَا يُحْمَدُ بِهِ وَلَا يُذَمُّ مِنْ الْمَبَاحِثِ، وَالْعَفْوِ عَنْهُ مِنْ الْخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ بِحَيْثُ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ وَيَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ مَحْمُودًا وَلَا مَذْمُومًا عَلَىٰ الْمُبَاحَاتِ وَالْمَعْفُوَّاتِ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي فُسَّاقِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَنَحْوِهِمْ.. وَلِهَذَا يَكْثُرُ فِي الْأُمَّةِ مِنْ أَئِمَّةِ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَمْرَانِ، فَبَعْضُ النَّاسِ يَقْتَصِرُ عَلَىٰ ذِكْرِ مَحَاسِنِهِ وَمَدْحِهِ،

---

(١) **قلتُ**: ذكره صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد في عدّة مواضع هي (١٠/ ٤٨)، (٢١/ ٢٩٣)، (٣١/ ٤٢١)، ثم قال: (هب) ٥١٣٧، (حم) ٢٣٥٣٦، (طس) ٤٧٤٩، انظر الصَّحِيحَة: ٢٧٠٠ صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٢٩٦٣.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٤٤).

غُلُوًّا وَهَوىً، وَبَعْضُهُمْ يَقْتَصِرُ عَلَىٰ ذِكْرِ مَسَاوِيهِ غُلُوًّا وَهَوىً، وَدِينُ اللهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَخِيَارُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا"(١).

٥ـ علىٰ المؤمن أن يستقم في سيرهِ إلىٰ اللهِ ولا يعبأ بما يُقال عنه ما دام يتقي الله في قوله وعمله: جاء رجلٌ فشكا للإمامِ أحمد جارًا له، فقال: "إِنَّكَ إِنْ سَبَبْتَ النَّاسَ سَبُّوكَ، وَإِنْ نَافَرْتَهُمْ نَافَرُوكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ، وَإِنْ فَرَرْتَ مِنْهُمْ أَدْرَكُوكَ"(٢).

فلا سبيل إلىٰ السَّلامة من النَّاس، ولذا سُئِلَ الإمامُ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: "كيف السبيلُ إلىٰ السَّلامةِ من النَّاسِ؟ فأجاب: تُعطيهم ولا تأخذ منهم ويؤذونك ولا تُؤذِهم وتقضِي مصالحهم ولا تكلفهم بقضاءِ مصالحك. قيل له: إنَّها صعبة يا إمام؟ قال: وَلَيتَكَ تَسْلَمُ"(٣).

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٦٦٢ـ٦٦٣).

(٢) البيهقي: شعب الإيمان (١١/ ٣٧) رقم (٨١١٩) وتكملته: «وَإِنْ جَهَنَّمَ تُقَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِينَ أَلْفِ زِمَامٍ ، كُلُّ زِمَامٍ بِسَبْعِينَ أَلْفِ مَلَكٍ».

(٣) حكم القصَّة: ضعيفة. قلتُ: ليس أحمد من سُئِلَ إنَّما الإمام أحمد هو الذي سأل حاتم الأصم فأجابه حاتم. أخرجها الخطيب في كتابه "تاريخ بغداد" ت بشار (٩/ ١٤٩) حيث قال الخطيب: ذكر محمد بن أبي الفوارس أنَّ طلحة بن عمر بن علي الحذاء حدثهم، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن المهتدي الحنفي، قال: حدثنا أبو جعفر الهروي، قال: كنتُ مع حاتم وقد أراد الحج، فلمَّا وصل إلىٰ بغداد قال لي: يا أبا جعفر أحب أن ألقىٰ أحمد بن حنبل، فسألنا عن منزلهِ، ومضينا إليهِ، فطرقتُ عليهِ الباب، فلمَّا خرج، قلتُ: يا أبا عبد الله، أخوك حاتم، قال: فسلَّم عليهِ ورحَّب بهِ، وقال له بعد بشاشته به أخبرني يا حاتم فيم التَّخلص من النَّاسِ؟ قال: يا أحمد في ثلاثِ خصال، قال: وما هي؟ قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئًا، قال: وتقضي حقوقهم ولا تستقضي أحدًا منهم حقًا لك، قال: وتحتمل مكروههم ولا تكره أحدًا علىٰ شيءٍ، قال: فأطرق أحمد ينكت بأصبعهِ علىٰ الأرضِ، ثم رفع رأسه، ثم قال: يا حاتم إنَّها لشديدة، فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم. إسنادها مظلم ضعيف فيها مجاهيل.
قلتُ: تم نقله من: **https://ezzeddinisalm.blogspot.com/2020/06/blog-post_850.html**.

ولهذا جاء عن عمر ﷺ أنَّه جعل الأمر شورىٰ في ستةٍ من أصحاب النَّبيّ ﷺ، ومن بينهم سعد بن أبي وقاص ﷺ، وكان سعد أميرًا لعمر علىٰ الكوفة، وحصل بينه وبين جماعة من أهل الكوفة شيءٌ من الوحشةِ، وتكلموا فيهِ وَذَمُّوه وَعَابُوه، وشكوه إلىٰ عمر، حتىٰ أنَّهم تكلموا في صلاتهِ، وهذا يدلنا علىٰ أنَّ السَّلَامَة من النَّاسِ حصولها صعبٌ، فهذا رجلٌ من أهلِ الجَنَّةِ يَمْشِي عَلىٰ الأَرْضِ، والنَّاس يعلمون أنَّه من أهلِ الجَنَّةِ، ومع ذلك يتكلمون فيهِ وفي صلاتِهِ، وشكوه إلىٰ عمر في صلاتِهِ، وزعموا أنَّ رجلًا من أهلِ الجَنَّةِ لا يُحْسِن أن يُصلِّي!

وهكذا الأشرار والذين عندهم سوء طوية لا يقفون عند حدٍ، ولكنَّه عَزَلَهُ لمَّا خَشي أن يحصل شيءٍ من هؤلاء السُّفهاء لا تُحْمَدُ عُقْبَاه، فرأىٰ أنَّ المصلحة أن يعزله حتىٰ لا يحصل شيء بسبب هذه الشَّحْنَاءُ التي بينهم وبينه، ولكنَّه عندما اختار هؤلاء السَّتة، وكان من بينهم سعد خشي أنَّ أحدًا يقول: إنَّه نَسِيَ، كيف يعزله من الكوفة ويرشحه للخلافةِ؟! يعزله من إمارة مدينة، ثم يُرشحه للخلافةِ!

فكان من إنصاف وعدل عمر وفضله ﷺ أنَّه قال: (**فَإِنْ أَصَابَتْ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ**)، يعني: فهو أهلٌ لها، (**وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ**)، يعني: من يكون أميرًا يستعين به إذَا لَمْ تَصِلْهُ الإِمَارَةُ. (**فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ**)[1] يعني: عن الكوفةِ.

(١) عزاه صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد في (١٥/ ٣٥٤)، (١٥/ ٤٤٧): إلى(خ) ٣٤٩٧.

٦ـ قال **الرَّبيع بن صبيح** قلتُ **للحسنِ**: "إنَّ ههنا قومًا يَتَّبِعُونَ السَّقط من كلامك ليجدوا إلىٰ الوقيعة فيك سَبِيلًا؟! فقال: لا يَكبر ذلك عليك، فلقد أطمعتُ نفسي في خلود الجنان فَطَمَعَتْ، وَأَطْمَعْتُها في مجاورةِ الرَّحمٰن فَطَمَعَتْ، وَأَطْمَعْتُها في السَّلامَة مِن النَّاس فلم أجدُ إلىٰ ذلك سبيلًا، لأنّي رأيتُ النَّاس لا يَرضون عن خالقهم، **فعلمتُ أنَّهم لا يَرضون عن مخلوقٍ مثلهم**"[(١)].

فإذا كان النَّاسُ يتكلمون في حق اللهِ ﷻ فكيف بالمخلوقين؟!! هكذا تُعالج القضية، فليس لنا أن نتكلم في شأن غيرنا إلَّا بالحسنىٰ، فإن وقع فينا أحدٌ، فالعلاج هو أن ترد السَّيئة بالحسنةِ فتدعو لمن أساء إليك.

وإذا أنت اتقيتَ اللهَ ﷻ يُحَوِّلُ القلوب إلىٰ حبك، فالقلوب بيد الرَّحمٰن يقلبها كيف يشاء[(٢)]. عن **سعيد بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إنَّ رفيقًا لحبيب بن مَسْلَمة ضاق يومًا عن شيءٍ (أي أنَّ أخلاقه ساءت في شيءٍ ما). فقال حبيب: "**إن استطعْتَ أن تُغَيّر خُلُقك بأحسن منه فأفعَل، وَإلَّا فسَيسَعك من أخلاقنا مَا ضاق عنَّا من خُلُقك**"[(٣)].

ونظر **أبو محمد سهل** رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ رجلٍ من الفقراءِ فقال له: "اعمل كذا وكذا فقال: يا أستاذ لا أقدر علىٰ هذا لأجل النَّاس، فالتفت إلىٰ أصحابهِ فقال: لا ينال العبدُ حقيقة من هذا الأمر حتىٰ يكون بأحد وصفين: عبدٌ يُسقط النَّاس من عينهِ

---

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٠٥).

(٢) الشَّيْخ/ محمد حسين يعقوب: الأخوة .. أيها الإخوة، المكتبة الإسلامية، مصر، الطَّبْعَةُ الثَّانية، سنة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م (ص: ٧٠).

(٣) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، سنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٥/ ٧٧).

فلا يرىٰ في الدَّار إلَّا هو وخالقه، وأنَّ أحدٌ لا يقدر أنْ يضُره ولاينفعه، أو عبدٌ أسقط النَّاس عن قلبهِ فلا يبالي بأي حالٍ يرونه"[1].

وترك الاعتداد بالعوامِ وقلة الاكتراث بهم مطلوبٌ، لأنَّ رضاهم كما قيل، غاية لا تُدرك. قال **الخطَّابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "الواجب علىٰ العاقلِ أن لايغترَّ بكلامِ العوام وثنائهم، وأن لايثق بعهودهم وإخائهم، فإنّهم يُقبلون مع الطَّمع، وَيُدْبِرُون مع الغنىٰ ، ويطيرون مع كل ناعقٍ. وقال آخر: اذا اجتمعوا غلبوا، واذا تفرقوا، لم يعرفوا. وقيل: اذا اجتمعوا ضروا، واذا تفرقوا نفعوا. قال: يريد أنَّهم اذا تفرقوا، رجع كل واحدٍ منهم إلىٰ صناعتهِ، فيخرز الإسكاف، ويخصف الحذَّاء وينسج الحائك ويخيط الخائط، فينتفع النَّاس بهم"[2]. وَأَكَّدَ أنَّ: "السَّلامةَ من النَّاسِ واستخراج المنافع منهم؛ في ملك اللسَانِ"[3].

**قال شيخ الإسلام:**

"فَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إذَا لَمْ يَحْتَجْ إلَيْهِمْ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إلَيْهِمْ مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ، وَمَتَىٰ احْتَجْتَ إلَيْهِمْ - وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ - نَقَصَ قَدْرُكَ عِنْدَهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَلَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ. لَكِنْ إنْ كُنْتَ مُعَوِّضًا لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَكَانُوا مُحْتَاجِينَ، فَإِنْ تَعَادَلَتْ

---

(١) أبي طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/ ٣٨٩).

(٢) بتصرف من: أبي عبدالله ابن الأزرق (ت٨٩٦هـ): بدائع السلك في طبائع الملك (ص: ٢٧٩، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) السَّابق (ص: ٢٨٤، بترقيم الشاملة آليا).

الْحَاجَتَانِ تَسَاوَيْتُمْ كَالْمُتَبَايِعَيْنِ لَيْسَ لِأَحَدِهِمَا فَضْلٌ عَلَىٰ الْآخَرِ وَإِنْ كَانُوا إِلَيْكَ أَحْوَجَ خَضَعُوا لَكَ. فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ: أَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ، أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَأَفْقَرُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ. وَالْخَلْقُ: أَهْوَنُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ، أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ مُحْتَاجُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَوَائِجَكَ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَىٰ مَصْلَحَتِكَ، بَلْ هُمْ جَهَلَةٌ بِمَصَالِحِ أَنْفُسِهِمْ، فَكَيْفَ يَهْتَدُونَ إِلَىٰ مَصْلَحَةِ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا"[1].

لذا يجب أن نعرف: "أَنَّ الَّذِي شَغَلَ نَفْسَهُ بِطَلَبِ رِضَاءِ النَّاسِ عَنْهُ وَتَحْسِينِ اعْتِقَادِهِمْ فِيهِ مَغْرُورٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ عَرَفَ اللهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُغْنُونَ عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأَنَّ ضَرَرَهُ وَنَفْعَهُ بِيَدِ اللهِ، بَلْ رِضَاءُ النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُنَالُ، فَرِضَاءُ اللهِ أَوْلَىٰ بِالطَّلَبِ"[2].

---

(١) وَلَا يُرِيدُونَ مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ، فَلَا عِلْمَ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا إِرَادَةَ، وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَصَالِحَكَ وَيَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَيُرِيدُهَا رَحْمَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَذَلِكَ صِفَتُهُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ، لَا شَيْءَ آخَرَ جَعَلَهُ مُرِيدًا رَاحِمًا، بَلْ رَحْمَتُهُ مِنْ لَوَازِمِ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ، لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا إِلَّا لِحَاجَتِهِمْ وَمَصْلَحَتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ وَالْحِكْمَةُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، لَكِنَّ السَّعِيدَ مِنْهُمُ الَّذِي يَعْمَلُ لِمَصْلَحَتِهِ الَّتِي هِيَ مَصْلَحَةٌ، لَا لِمَا يَظُنُّهُ مَصْلَحَةً وَلَيْسَ كَذَلِكَ. فَهُمْ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: **ظَالِمٌ. وَعَادِلٌ. وَمُحْسِنٌ. فَالظَّالِمُ**: الَّذِي يَأْخُذُ مِنْك مَالًا أَوْ نَفْعًا وَلَا يُعْطِيكَ عِوَضَهُ، أَوْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ بِضَرَرِكَ. **وَالْعَادِلُ**: الْمُكَافِئُ. كالبايع لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ كُلٌّ بِهِ يَقُومُ الْوُجُودُ، وَكُلٌّ منهما مُحْتَاجٌ إِلَىٰ صَاحِبِهِ كَالزَّوْجَيْنِ وَالْمُتَبَايِعَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ. **وَالْمُحْسِنُ** الَّذِي يُحْسِنُ لَا لِعِوَضٍ يَنَالُهُ مِنْكَ. فَهَذَا إِنَّمَا عَمَلُ لِحَاجَتِهِ وَمَصْلَحَتِهِ، وَهُوَ انْتِفَاعُهُ بِالْإِحْسَانِ، وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِمَّا تُحِبُّهُ نَفْسُهُ مِنَ الْأَجْرِ، أَوْ طَلَبِ مَدْحِ - الْخَلْقِ وَتَعْظِيمِهِمْ، أَوِ التَّقَرُّبِ إِلَيْكَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَبِكُلِّ حَالٍ: مَا أَحْسَنَ إِلَيْكَ إِلَّا لِمَا يَرْجُو مِنَ الِانْتِفَاعِ. وَسَائِرُ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُكْرِمُونَكَ وَيُعَظِّمُونَكَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْكَ، وَانْتِفَاعِهِمْ بِكَ. بتصرف يسير من: ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٩ـ ٤٠).

(٢) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ): موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، سنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

انشر محبتك بحسن خلقك ولطيف تعاملك، عَنِ **الأَصْمَعِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَانَ أَشْيَاخُنَا وَعَجَائِزُنَا يَقُولُونَ: **عَاشِرُوا النَّاسَ بخلقٍ حَسَنٍ، إِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ، وَإِنْ مِتُّمْ تَرَحَّمُوا عَلَيْكُمْ**، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

كُلُّ الأُمُورِ تَبِيدُ عَنْكَ وَتَنْقَضِي إِلا الثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بَاقِي

وَلَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ[1]

**٧ـ قال بعض أهل العلم:**

"وَمَنِ اِسْتَعْمَلَ الإِحْسَانَ وَالبِرَّ مَعَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ بِالهِدَيةِ وَالصِّلَةِ أَظْهَرَه اللهُ عَلَيْهِ وَكَفَاهُ شَرَّهُ وَانْقَلَبَتْ عَدَاوتهُ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً كَمَا أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[2]. وَمَن اِعْتَدَىٰ عَلَيهِ ظَالِمٌ وَأَفْسَدَ عَلَيهِ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَسْتَطِع دَفْع أَذَاهُ رَمَاهُ بِسِهَامِ اللَيلِ حَتىٰ يَكْبِت شَرَهُ وَيَنْقَطِعُ دَابِرُهُ وَسِهَامُ اللَيلِ لَا تُخْطِئ وَعَادَتها مَشْهُورَةٌ وَفِي الخَبَر: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**[3]»[4].

---

=

(ص: ١٥٢).

(١) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصَّالحي الحنبلي(٧٠٣ - ٧٥٩هـ): معجم الشُّيوخ، تحقيق: الدكتور بشَّار عوَّاد - رائد يوسف العنبكي - مصطفىٰ إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ٢٠٠٤م (ص: ٤٩٩).

(٢) سورة فصلت الآية: (٣٤).

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١/ ٢٠): أَيْ: لَيْسَ لَهَا صَارِفٌ يَصْرِفُهَا وَلَا مَانِعٌ، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا عَاصِيًا، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ مَرْفُوعًا: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**»، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. فتح الباري (٥/ ١٢٣).

(٤) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: (٦/ ٢٢٧): (خ) ٢٤٤٨، (ت) ٢٠١٤، (م) ٢٩ - =

ومن نظر إلىٰ كيد النَّاس وتشاغل بشرورهم وأشغل باله بخصومتهم والمكر بهم اشتعل قلبه همًّا وصارت حياته عذابًا وَفَقَدَ الأُنْسَ وراحة البال وازداد أعداؤه وتجرأ علىٰ ركوب المحارم، ومن اشتغل بمراقبةِ النَّاس وصرف وقته ونظره في أحوالهم وأموالهم زاد همًّا وغمًّا وابتُلي بالعيوبِ والنَّقائصِ واشتعل الحسد في قلبه وضعف يقينه وصار قلبه خاويًا من حبِّ الآخرة. ومن أعظم ما يدفع الشَّرور ويكون سببًا في السَّلامة اجتناب مجالس أهل الحسد والبغي لأنَّ معاشرتهم تَجُرُ للبلاءِ.

ومن سَلِمَ النَّاس من لسانه ويده سَلِمَ من ألسنتهم وأيديهم عدا السَّفهاءُ فلا يكاد يَسْلَمُ عاقلٌ منهم ولا يَضره ذلك. ومن خاض في أعراض النَّاس وافترىٰ عليهم خاضوا في عرضهِ. ومن أعطىٰ ولم يأخذ وَأَدَّىٰ الحق لغيرهِ ولم يَطلب عوضًا وأحسن ولم يُسيء وصبر علىٰ الإساءة بلغ الغاية في السَّلامة وعاش بلا كدر. ومن طلب رضا الله واقتلع رضا النَّاس من قلبهِ واستغنىٰ بعطاءِ اللهِ عن عطاء الخلق كفَّ وجهه عن الذُّل وَسَخَّرَ اللهُ له النَّاس لطلبِ رضاه وإكرامه، ومن أهان نفسه أهانه النَّاسُ.

ورأيتُ النَّاسَ متناقضين حالهم في أمر الدَّنيا علىٰ المُشَاحَّة إن أخطئوا عليك طلبوا منك المُسَامَحة وإن أخطأت عليهم طلبوا منك القصاص. والعقل والسَّتر والسَّلامة من الأدناس في الغفلة عن عيوب النَّاس. والإساءة من بعض الأقارب والأصهار أمرٌ متوقعٌ وكثير الوقوع في هذا الزَّمان خاصة بين النَّساء لقلةِ الوازع

---

=

(١٩)، (حم) ٢٠١٧.

الدّيني والتَّنافس علىٰ الدَّنيا والحسد. ومهما فعل المرء من الإحسان إلىٰ الخلقِ فَلا يكاد يسلم من أذاهم ولكنَّه يُخَفِفُ كثيرًا من شرورهم، وينبغي للمؤمنِ أن يُوطن نفسه علىٰ سماعِ الأذىٰ من النَّاس فليشتغل بما ينفعه ويتوكل علىٰ ربهِ ويستمسك بشرعهِ وَلْيَرْمِ كلامهم وراء ظَهرهِ وليوقن أنَّ إِرْضَاءِ جميع النَّاس عسير، قَالَ **يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ** رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ لِي **الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لَيْسَ إِلَىٰ السَّلاَمَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيْلٌ، فَانْظُرْ الَّذِي فِيْهِ صَلاَحُكَ، فَالْزَمْهُ**)[1].[2].

وفي **الجملةِ** ينبغي علىٰ المسلم أن يُوَطِنُ نَفْسَهُ في التعاملِ مع الآخرين بفعلِ الخيرِ ونشره، وكفَّ الأذىٰ والدَّفع بالتي هي أحسنُ وأن يتذكر كلٌّ مِنَّا نَصِيحةُ: **يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "**لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤمِنِ مِنْكَ ثَلَاثةٌ: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ**"[3].

❁❁❁

(١) **قلتُ** وهو عند: الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٢)، وجاء في الحاشية رقم (١) صفحة رقم (٤٢) من نفس الكتاب تخريجه في: آداب الشّافعي: ٢٧٨ - ٢٧٩، وحلية الأولياء (٩/ ١٢٢)، وتاريخ ابن عساكر ١٥/ ١٧/ ١.

(٢) بتصرف يسير: خالد بن سعود البليهد: خاطرة بعنوان (السَّلامة من الخلقِ)، موقع صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Doat/binbulihed/321.htm.

(٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ): المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية - بيروت/ لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص: ١١٤).

## مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَقْوَالِ فِي مَضْمُونِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ:

**١ـ مَدْحُ الْعَبْدِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ:** قال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: "كُلَّ مَا كَانَ فِي القُرآنِ مِنْ مَدْحٍ للعبدِ فَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ العِلمِ، وَكُلَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ذَمٍّ فَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ الْجَهْلِ"(١).

**٢ـ لَا تَفْرَح بِمَا لَيْسَ فِيكَ:** وَيُقَالُ فِي بعض كتب اللهِ عَزَّوَجَلَّ: "عَجِبًا لِمَن قِيلَ فيهِ الخير وليس فيهِ كيف يَفْرَحُ! ولِمَن قِيلَ فيهِ الشَّرّ وليس فيهِ كيف يَغْضَبُ! وَأَعْجَبُ مِن ذَلَكَ مَن أَحَبَّ نفسه عَلىٰ اليقين وأبغض النَّاس عَلىٰ الظَّنون! وكان يُقَالُ: لا يَغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك"(٢).

---

(١) بتصرف من: ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٣٢٠)، والنَّص بتمامهِ هو: "أنَّ كلَّ صفة مدح الله بها العبد في القرآنِ فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكلَّ ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته، فمدحه بالإيمانِ وهو رأس العلم ولبه، ومدحه بالعملِ الصَّالح الذي هو ثمرة العلم النَّافع، ومدحه بالشّكرِ والصَّبر والمسارعة في الخيراتِ والحبّ له والخوف منه والرّجاء والإنابة والحلم والوقار واللب والعقل والعفّة والكرم والإيثار علىٰ النّفس والنّصيحة لعبادهِ والرّحمة بهم والرّأفة وخفض الجناح والعفو عن مسيئهم والصّفح عن جانبهم وبذل الإحسان لكافتهم ودفع السّيئة بالحسنةِ، والأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر، والصّبر في مواطن الصَّبر، والرّضا بالقضاءِ، واللين للأولياءِ، والشّدة علىٰ الأعداءِ، والصَّدق في الوعدِ، والوفاء بالعهدِ، والإعراض عن الجاهلين، والقبول من النَّاصحين، واليقين والتوكل والطُّمأنينة والسَّكينة والتَّواصل والتَّعاطف والعدل في الأقوالِ والأفعالِ والأخلاق، والقوة في أمره والبصيرة في دينه والقيام بأداءِ حقه واستخراجه من المانعين له، والدَّعوة إليهِ وإلىٰ مرضاته وجنته والتَّحذير عن سبلِ أهل الضَّلال، وتبيين طُرق الغي وحال سالكيها والتَّواصي بالحقِ والتَّواصي بالصَّبرِ والحض علىٰ طعامِ المسكين وبرّ الوالدين وصلة الأرحام وبذل السَّلام لكافة المؤمنين إلىٰ سائر الأخلاق المحمودة، والأفعال المرضية التي أقسم اللهُ سبحانه علىٰ عظمها".

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية – بيروت، سنة، ١٤١٨هـ (١/ ٣٨٩).

٣ـ ضَرِيبةُ الثَّنَاء الْحَسَن: قال حكيم: "من أحبَّ الثَّنَاء فَلْيَصْبر علىٰ بذل العطاء وَلْيُوَطِّنْ نُفْسَه عَلىٰ الحقوق المُرَّة عَلىٰ احتمال المؤونة"(١). وقال محمد بن صالح الواقدي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "دخلتُ علىٰ يحيىٰ بن خالد البرمكي، فقلتُ: إنَّ هَا هنا قومًا جاءوا يشكرون لك معروفًا. فقال: يا محمد، هؤلاء يشكرون معروفًا، فكيف لنا بشكرِ شكرهم؟"(٢).

٤ـ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ يَجْلِبُ الْمَدْح وَالثَّنَاء: قَالَ هَرَمُ بْنَ حَيَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَا أَقبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلىٰ اللهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللهُ بِقُلوبِ المُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَرْزُقَهُ مَوَدَّتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ"(٣).

٥ـ مَا فِي الْقُلُوبِ يَظْهَرُ عَلَىٰ الْأَلْسَنَةِ: القلوب أوعية تفيض بها الألسنة، فاعمل علىٰ قلبك تهذيبًا وتطييبًا، قبل أن يفضحك لسانك، وما نطق به النَّاس من مدحٍ وثناءٍ أو قدحٍ وذمٍ فَمَا هو إلَّا حصيلة مَا في القلوب. حول هذا المعنىٰ

---

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٠هـ (١/ ٤٥٢).

(٢) أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٤هـ (١/ ٢٣٤)، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت١٣٤٦هـ): مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، سنة، ١٩١٣م (٢/ ١٢٢).

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ): تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنَّشر والتوزيع والإعلان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م (١٥/ ٦٤٣)، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٣٨).

يدندن يحيىٰ بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو يُصوِّرُ تصويرًا أدبيًا راقيًا هذا المعنىٰ بكلماتٍ قليلة وَمُرَكَّزة أراد منها الوعظ والإرشاد رَحِمَهُ اللَّهُ، وَذَلك عِنْدَمَا قَالَ: "الْقُلُوبُ كَالْقُدُورِ تَغْلِي بِمَا فِيهَا، وَأَلْسِنَتُهَا مَغَارِفُهَا، فَانْظُرْ إِلَىٰ الرَّجُلِ حِينَ يَتَكَلَّمُ فَإِنَّ لِسَانَهُ يَغْتَرِفُ لَكَ بِمَا فِي قَلْبِهِ، حُلْوٌ وَحَامِضٌ، وَعَذْبٌ وَأُجَاجٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَيُبَيِّنُ لَكَ طَعْمَ قَلْبِهِ اغْتِرَافُ لِسَانِهِ"(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَيْ كَمَا تَطْعَمُ بِلِسَانِكَ طَعْمَ مَا فِي الْقُدُورِ مِنَ الطَّعَامِ فَتُدْرِكُ الْعِلْمَ بِحَقِيقَتِهِ، كَذَلِكَ تَطْعَمُ مَا فِي قَلْبِ الرَّجُلِ مِنْ لِسَانِهِ، فَتَذُوقُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ لِسَانِهِ، كَمَا تَذُوقُ مَا فِي الْقِدْرِ بِلِسَانِكَ"(٢).

**٦ـ الْارْتِقَاءُ بِطَلَبِ الْمَكَانَةِ الْعَلْيَاءِ بِنَيْلِ الثَّنَاءِ عِنْدَ رَبِّ الْأَرضِ وَالسَّمَاءِ:** قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَا يَجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثَّنَاء والطَّمع فِيمَا عِنْد النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، فَإِذا حَدَّثَتْكَ نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص فَأقبل عَلىٰ الطَّمع أَولًا فاذبحه بسكينِ الْيَأْس، وَأَقْبل عَلىٰ الْمَدْح وَالثَّنَاء فازهد فيهمَا زهد عُشَّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطَّمع والزّهد فِي الثَّنَاء والمدح، سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص. فَإِن قلتَ: وَمَا الَّذِي يُسَهِّلُ عَليَّ ذبح الطَّمع والزُّهد فِي الثَّنَاء والمدح؟ **قلتُ**: أمَّا ذبح الطَّمع فَيُسَهِّلَهُ عَلَيْك علمك يَقِينًا أَنَّه لَيْسَ مِن شَيْءٍ يُطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبيد اللهِ وَحده خزائنه، لَا يملكهَا غَيره، وَلَا يُؤْتىٰ العَبْد مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ، وَأَمَّا الزُّهد فِي الثَّنَاءِ والمدح فَيُسَهِّلهُ

---

(١) أبي نعيم: حلية الأولياء (١٠/ ٦٣).

(٢) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشَّافي أو الدَّاء والدَّواء، دار المعرفة – المغرب، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م (ص: ١٥٩).

عَلَيْك علمك أَنَّه لَيْسَ أحد يَنفع مدحه وَيزين ويضر ذمّه ويشين إِلَّا الله وَحده"[1].

٧ـ قَيِّم نَفْسِك قَبْلَ أَن يُقَيِّمُك الآخَرِينَ: عَلَىٰ الْعَاقِلِ أَنْ يَهْتَم بِمِيزانِ نَفْسِهِ فِي مَجَال الثَّنَاءِ وَالْقَدْحِ قَبْلَ أَنْ يُقَيِّمُهُ الآخَرِينَ: قَالَ مَالِكُ بْن دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ لِنَفْسِهِ: أَلَسْتِ صَاحِبة كَذَا؟ أَلسْتِ صَاحِبة كَذَا؟ ثُمَّ ذَمَّهَا، ثُمَّ خَطَمَهَا ثُمَّ أَلزَمَهَا كِتَاب اللهِ تَعَالَىٰ فَكَانَ لَهَا قَائِدًا"[2].

٨ـ لَا تُشَارِك فِي المُنْكَرات: شَيْءٌ عَجِيبٌ! حِينَمَا تَمْدَحُ شَخْصًا فَالجَمِيع يَصْمت! وَعِنْدَمَا تَـذَم شَخصًا فَالْكُلّ يُشَارِك!!

٩ـ الثَّنَاءُ سِلَاح ذُو حَدَّيْنِ: قال عليُّ بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا يقولُ رجلٌ في رجلٍ من الخيرِ مَا لَا يعلم إِلَّا أَوْشَكَ أَن يقول فيه من الشَّرِّ ما لا يعلم، ولا يصطحب اثنان علىٰ غير طاعة اللهِ إلا أوشكا أن يفترقا علىٰ غير طاعة الله"[3].

وقال وهب بن منبَّه رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا سمعت الرَّجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن أن يقول فيك من الشَّرِّ ما ليس فيك"[4].

---

(١) وتكملة الكلام هو: "فازهد فِي مدح من لَا يزينك مدحه، وَفِي ذمّ من لَا يشينك ذمّه، وارغب فِي مدح من كل الزّين فِي مدحِهِ، وكلّ الشّين فِي ذمِهِ، وَلنْ يقدر علىٰ ذَلِك إِلَّا بالصبر وَالْيَقِين، فَمَتَىٰ فقدت الصَّبْر وَالْيَقِين كنتَ كمن أَرَادَ السّفر فِي الْبَحْر فِي غير مركب". ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: الفوائد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م (ص: ١٤٩).

(٢) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: إغاثة اللهفان من مصايد الشَّيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السُّعودية (١/ ٧٩).

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ٣٨٨).

(٤) السَّابق (١/ ٣٨٨ـ٣٨٩).

١٠ـ لَا تَفْرَح بِالمَدْحِ وَلَا تَحْزَن مِنَ الذَّمِّ: قَالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ مَالِكَ بنَ دِيْنَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُوْلُ: "مُذْ عَرَفْتُ النَّاسَ لَمْ أَفرَحْ بِمَدحِهِم، وَلَمْ أَكرَهْ ذَمَّهُم؛ لأَنَّ حَامِدَهُم مُفرِطٌ، وَذَامَّهُم مُفرِطٌ"(١).

١١ـ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالْأَقْوَالِ يَبْقَىٰ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ: (فائدة) "كتب حكيمٌ إلىٰ الإسكندر: اعلم أنَّ الأيام تأتي علىٰ كلِّ شيءٍ فتخلقه وتخلق آثاره، وتُمِيتُ الأفعال إلَّا ما رسخ في قلوب النَّاس فأودع قلوبهم محبة أبدية يبقىٰ بها حسن ذكرك وكريم أفعالك وشرف آثارك"(٢).

١٢ـ كَيْفِيَّةُ الْحُصُولِ عَلَىٰ عُمُرٍ مُضَاعَف: من كلام بعض الحكماء: "خير الأمور ثلاثة: الحياة، وضعف الحياة، وما هو خير من الحياة: فأمَّا الحياة: فالرّاحة وحسن العيش. وأمَّا ضعف الحياة: فالمحمدة وحسن الثَّنَاء. وأمَّا ما هو خيرٌ من الحياة: فرضوان الله تَعَالَىٰ. وشر الأمور ثلاثة: الموت، وضعف الموت، وما هو شرٌ من الموت: أمَّا الموت فالفاقة والفقر. وأمَّا ضعف الموت: فالمذمة وسوء الثَّنَاء. وأمَّا ما هو شرٌ من الموت: فسخط الله تَعَالَىٰ"(٣).

١٣ـ أولىٰ النَّاس بالثَّنَاءِ: "إنَّ أولىٰ النَّاس بفضلِ السَّرورِ وكرمِ العيشِ وحسنِ الثَّنَاء من لا يبرحُ رحله من إخوانهِ وأصدقائه من الصَّالحين موطوءًا، ولا يزال عندهُ منهم زحامٌ، ويسرهم ويسرونهُ من وراء حاجاتهم وأمورهمُ، فإنَّ

---

(١) الذَّهَبي: سير أعلام النُّبلاء (٥/ ٣٦٢).

(٢) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٣٥٦هـ (٤/ ٣٦٥).

(٣) الهمذاني: الكشكول (٢/ ٣٠٩).

الكريم إذا عثر لم يستقل إلَّا بالكرامِ، كالفيلِ إذا وحل لم يستخرجهُ غلا الفيلةُ"[1].

١٤ـ عِنْدَ المَرَضِ يُقَدَّمُ الدُّعَاءُ عَلَىٰ الثَّنَاءِ: "دَخَلَ قَوْمٌ عَلَىٰ عَوْفِ بْن أَبِي جَمِيلَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَرَضِهِ، فَأَقْبَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: دَعُونَا مِن الثَّنَاءِ، وَأَمِدُّونَا بِالدَّعاءِ"[2].

١٥ـ السُّلْطَانُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ الدُّعَاءِ لَا الثَّنَاءُ: قَالَ رَجُلٌ مِن النُّسَّاكِ لآخَر: "إِنْ اِبْتُلِيتَ بِأَن تَدْخُل إِلَىٰ السُّلْطَانِ مَعَ النَّاسِ، فَأَخَذُوا فِي الثَّنَاءِ فَعَلَيْكَ بِالدُّعَاءِ"[3].

١٦ـ أَعْرَابِيٌّ يَفْقَهُ مَعْنَىٰ الثَّنَاءِ: قِيلَ لأَعْرَابِيٍّ: "مَا أَحْسَنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ! فَقَالَ: بَلَاءُ اللهِ عِنْدِي أَحْسَن مِنْ وَصْفِ المَادِحِينَ وَإِن أَحْسَنُوا، وَذُنُوبِي إِلَىٰ اللهِ أَكْثَر مِن عَيْبِ الذَّامِّينَ وَإِن أَكْثَرُوا، فَيَا أَسَفَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ وَيَا سَوْءَتا مِمَّا قَدَّمْتُ"[4].

١٧ـ قَوَاعِد فِي الثَّنَاءِ: عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "ذمِّ الرَّجل نفسه في العلانية مدحٌ لها في السِّرِّ. كان يُقال: من أظهر عيب نفسه فقد زَكَّاها. الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله قال: إذا أثنَيْتَ عَلَىٰ الرَّجل بما فيهِ في وجههِ لم تُزَكِّهِ"[5].

---

(١) عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ): الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر – بيروت (ص: ٥٨).

(٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاءِ، الليثي، أبو عثمان، الشَّهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة، ١٤٢٣هـ (٣/ ١١٣).

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين (٣/ ١٨٤)، ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ٧٧).

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ٣٩٠)، البيهقي: شعب الإيمان (٦/ ٥٠٤).

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ٣٨٨).

١٨ـ جَاهِد فِي الوصُولِ: "قيل لبعض الحكماء: ما أفادك الدَّهر؟ قال: العلم به. قيل: فما أحدَّ الأشياء؟ قال: أن تبقي للإنسانِ أُحْدُوثة حَسَنة"(١).

١٩ـ أَنْتَ أَعْرف بِنَفْسَكَ: "عَنْ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَأَةَ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا زُكِّيَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ"(٢).

٢٠ـ مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ اللهِ: "وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري ﷺ: اعتبر منزلتك من اللهِ بمنزلتك من النَّاس، واعلم أَنَّ مالك عند اللهِ مثل ما للنَّاسِ عندك"(٣).

٢١ـ لِيكُن هَمَّكَ الإِخْلَاص: "وقيل لأبي عقيل البليغ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: كيف رأيتَ مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيتُ رغبته في الإنعامِ فوق رغبته في الشُّكر، وحاجته إلىٰ قضاءِ الحاجة أشدَّ من حاجةِ صاحب الحاجة"(٤).

٢٢ـ الْبَذْلُ وَالسَّخَاءُ يَأْتِي بِالثَّنَاءِ: "وقال زياد رَحِمَهُ اللَّهُ: كفىٰ بالبخلِ عارًا أن اسمه لم يقع في حمدٍ قطَّ، وكفى بالجود مجدًا أن اسمه لم يقع في ذمٍّ قط"(٥).

"وقال بعض ندماء الإسكندر له: إنَّ فلانًا يُسيء الثَّنَاء عليك، فقال: أنا أعلم أنَّ

---

(١) ابن عبدربه: العقد الفريد (١/ ١٩٣).

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ): الْأَدَبِ الْمُفْرَد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م (ص: ٢٦٧) قال الشَّيْخ الألباني: صحيح.

(٣) ابن عبدربه: العقد الفريد (١/ ١٩٣).

(٤) السَّابق (١/ ١٩٢).

(٥) السَّابق (١/ ١٩٢).

فلانًا ليس بشرِّير، فينبغي أن يُنظر هل ناله من ناحيتنا أمر دعاه إلىٰ ذلك، فبحث عن حالهِ فوجدها رَثَّةٌ، فأمر له بصلةٍ سَنِيَّة، فَبَلَغَهُ بُعد ذلك أنَّه يبسط لسانه بالثَّنَاءِ عليهِ في المحافلِ، فقال: أَمَا تَرون أَنَّ الأمر إِلَينا أَن يُقالُ فينا خير أو شرٌّ"[1].

٢٣ـ طَيِّبْ خَبَرَكَ: قال أكثم بن صيفي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّما أنتم أخبار فَطَيِّبوا أخباركم.

أخذ هذا المعنىٰ حبيب الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

وما ابن آدم إلَّا ذكر صالحة أو ذكر سيئة يسرىٰ بها الكلمِ

أما سمعتَ بدهرٍ باد أُمَّتَه جاءت بأخبارها من بعدها أممِ

وقال أبو بكر محمد بن دريد رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنَّمَا المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنًا لمن وعىٰ

قال ابن عبد ربه رَحِمَهُ اللَّهُ:

والنّاس لا يبقىٰ سوىٰ آثارهم والعين تفقدُ

أو ما سمعت بمن مضىٰ هذا يُذَمٌّ وَذَاكَ يُحْمَدُ

المال إن أصلحته يصلح وإن أَفْسَدتَ يفسدُ[2]

٢٤ـ حُسْنُ الثَّنَاءِ بَعْدَ الْمَمَاتِ: "لمَّا دُفِنَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أقبل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد فاتته الصَّلاة عليهِ؛ فوقف علىٰ قبره يبكي ويطرح رداءه؛ ثم قال: واللهِ لئن فاتتني الصَّلاة عليك لا فاتني حُسن الثَّنَاء؛ أما والله لقد كنتَ سَخِيًا بالحقِ، بخيلًا عن الباطلِ، ترضىٰ حين الرِّضا، وتسخط حين السَّخط، ما كنتَ

---

(١) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م (ص: ٢٢٦).

(٢) ابن عبدربه: العقد الفريد (١/ ١٩٤).

عيَّابًا ولا مدَّاحًا؛ فجزاك الله عن الإسلامِ خيرًا"[1].

٢٥ـ جِمَاعُ الْخَيْرِ: "جماع الخير يجول بين الثَّنَاء والدُّعاء، فالثَّنَاء للدَّنيا والدُّعاء للآخرةِ"[2].

٢٦ـ الصَّاحِبُ سَاحِبُ: "من صحب الْحُكَمَاء ظفر بِحسن الثَّنَاء"[3].

٢٧ـ أَفْعَالَكَ تُبْقِي ذِكْرَكَ خَالِدًا: قال يزيد الحارثي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإذا الفتىٰ لاقىٰ الحِمَام رَأَيْتَهُ لولا الثَّنَاء كَأَنَّه لم يُولَدُ

وَأَتَيْتَ أَبْيَضَ سَابِغًا سِرْبَالَهُ يَكْفِي المُشَاهِدُ غَيْبَ مَنْ لَمْ يَشهَدُ

يقول: "إذا أخلىٰ الفتىٰ مكانه من الدُّنيا وانقضىٰ عمره، فانتقل من الأولىٰ إلىٰ الأخرىٰ، فلولا ثناء النَّاس عليهِ، وذكره بالجميلِ الذي يُقدِّمه ويُسْدِيهِ، لنسي وقته وأمده، وصار حكمه من لم يولد فيعرف يومه وغده، لكن باقي الذِّكر ونامي العهد والرَّسم، بما ينشر من حديث حسن وقصة، ويُحمد من عادة وسُنَّة، هو الذي يصير به في حكم الحي الذي لم يمت، والمشهود الذي لم يفت.

وقد توصل بهذا الكلام إلىٰ إطرائه من يتشكره والثَّنَاء عليه، وهو قوله وأتيت أبيض سابغًا سربالهِ، يريدُ: وزرت رجلاً كريمًا حرًا، نقي الحسب من العيوب، واسع العطاف والقميص، لباسه لباس الرؤساء والسَّادة. وقوله يكفي المُشاهد يريد أنَّه ينوب في مجالس الكبار عمن لا يحضرها، فيحسن المحضر،

---

(١) السَّابق (٣/ ١٩٥).

(٢) أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، تحقيق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م (٣/ ١٤٠).

(٣) منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (ت٤٢١هـ): نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م (٤/ ١٦٧).

ويقصر لسان المغتاب"[1].

٢٨ـ فوائد الثَّنَاء: "ومما ينجع في الوعظ؛ الثَّنَاء بحضرة المُسيء، علىٰ من فعل خلاف فعله، فهذا داعية إلىٰ عملِ الخيرِ. وما أعلم لحب المدح فضلًا هذا وحده وهو أن يقتدي به من يسمع الثَّنَاء"[2].

٢٩ـ يَذْهَبُ الْكَلَامُ وَيَبْقَىٰ الْفِعْلُ: "قيل لبزرجمهر[3] حين كان يُقتل: تكلم بكلامٍ نذكره، فقال: الكلام كثير ولكن إن أمكنك أن تكون حديثًا حسنًا فافعل"[4].

٣٠ـ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاء إِتْيَان الْجَمِيل: سُئِلَ أحدهم: فما حسن الثَّنَاء؟ قال: "إتيان الجميل، وترك القبيح"[5].

---

(١) أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت٤٢١هـ): شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشَّيْخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م (ص: ١٢٣١).

(٢) ابْنِ حَزْمٍ: الأخلاق والسِّير (ص: ١٣٥).

(٣) بزرجمهر بن البختكان (فارسية: بزرگمهر بختگان) كان وزيرًا لأنوشيروان. وكان رجلًا حكيمًا عالمًا وقد ذكر اسمه في بعض الأعمال الهامة فى الأدب الفارسي، وعلى الأخص فى الشاهنامة. تنسب إليه الكثير من الحكم والأمثال. وهو حيكم العجم. الدكتور : محمد طاهر حيدر العزير: مفهوم النصيحة في الإسلام (المنطلقات والأهداف)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة، ١٩٧١م، ص٢٣٢، نقلًا عن: ابن عرباش: فاكهة الخلفاء (١/ ٦٤).

(٤) الراغب الأصفهانى: محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء (١/ ٤٥١).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السّيوطي (ت٩١١هـ): المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٢٤هـ (ص: ٤٠٤).

٣١ـ خِيَارُ النَّاسِ وَشِرَارِهم: "خياركم من مُلِئَت مسامعه من حسن الثَّنَاء وهو يسمع، وشراركم من مُلِئَت مسامعه من قبح الثَّنَاء وهو يحذر"(١).

٣٢ـ من مقتضيات الأخوة: "قال عبد الرحمٰن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا تَأَكَّدَ الإِخَاء سَقَطَ الثَّنَاءُ)(٢)، وقال الحجي لرجلٍ: (حُبِّيّ لَكَ يَمْنَعُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ)(٣).

٣٣ـ من وصايا القدماء: "ولا تكتمه ما يستضر بجهله فهذا فعل أهل الشَّرِّ، ولا يسرك أن تُمدح بما ليس فيك، بل ليعظم غمك بذلك لأنَّه نقصك ينبه النَّاس عليه، ويسمعهم إياه، وسخرية منك، وهزؤ بك، ولا يرضىٰ بهذا إلَّا أحمق ضعيف العقل. ولا تأس إن ذُممت بما ليس فيك، بل إفرح به فإنَّه فضلك ينبه النَّاس عليه، ولكن إفرح إذا كان فيك ما تستحق به المدح، وسواء مُدحت به أو لم تُمدح، واحزن إذا كان فيك ما تستحق به الذَّمِّ، وسواء ذُممت به أو لم تُذم"(٤).

٣٤ـ تَوَاضُعُ رَفِيعُ: "ذكر عَن مطرف أَنَّه قَالَ: مَا سَمِعتُ ثَنَاء أَوْ مِدْحَة إِلَّا تصاغرت إِليَّ نَفسِي. وَقَالَ زِيَاد بن أبي مُسلم: لَيْسَ أَحْد مُسْمعٌ ثَنَاء أَوْ مِدْحَة إِلَّا تَرَاءىٰ لَهُ شَيْطَان، وَلَكِن الْمُؤمن يُرَاجع. فَقَالَ ابْن الْمُبَارك: صدق كِلَاهُمَا، أَمَّا مَا

(١) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء (١/ ٤٥٢).

(٢) أبي عبد الرحمن السُّلمي: أداب الصُّحبة، تحقيق: مجدي فتحي السَّيد، دار الصَّحابة للتراث – طنطا – مصر، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م (ص: ١١٦).

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (ت٩٨٤هـ): آداب العشرة وذكر الصُّحبة والأخوة، عني بتحقيقِهِ: الدكتور/ عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م (ص: ٦٨).

(٤) ابْنِ حَزْمٍ: الأخلاق والسّير (ص: ١٠٦).

ذكر زِيَاد فَذَلِك قلب الْعَوام، وأَمَّا مَا ذكر مطرف فَذَلِك قلب الْخَواص. وإن كَانَ مذْهبه وَنِيَّته إذا سمع ذَلِك وَسُرَّ بِهِ طلب الرِّفْعَة والمنزلة عِنْد النَّاس فَمَا أَسْوَأ حَاله فِي إحباطِ عملهِ"[1].

❁❁❁

(١) الحارث المحاسبي: آداب النَّفوس (ص: ٩٨).

## الفصل الرَّابع

### تذكير النُّبلاء بأهم أسباب جلب الثَّناء وَفِيهِ:

- **أولًا:** حسن الخلق.
- **ثانيًا:** الحلم وترك الغضب.

## تَذْكِيرُ النُّبَلَاءِ بأهْمِ أَسَبَّابِ جَلْبِ الثَّنَاءِ

### أولًا: حُسْنَ الْخُلُقِ:

**لَا شَكّ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَاب جَلْبِ ثَنَاءِ النَّاسِ؛ حُسْنَ الْخُلُقِ، فَفِيهِ جِمَاعَ الخَيْرِ كُلِّهِ:**

قَالَ الشَّيخ **مُحَمَّد صَالح المنجد**: "وَجِمَاعُ الخُلقِ الحَسَنِ مَعَ النَّاسِ، أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتَعْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ، وَتَتَلَقَّىٰ المُسْلِمِينَ بِالسَّلَامِ والإِكْرَامِ، وَأَن تَدْعُو لَهم، وَتَسْتَغْفِرُ لهم، وَتُثْنِي عَلَيْهُم، وَأَن تَزُورَهُم، وَأَن تُشَمِّتَ عَاطِسِهم، وَتَرُدَّ سَلَامَهُم، وَتَزُور مَرِيضُهُم، وَتُشَيِّع مَيِّتُهُم، وَتَنْفَعُهُم بِمَا اِسْتَطَعْتَ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ مَال أَوْ أيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ المَنْفَعَةِ، وَتَعْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ فِي مَالٍ أَوْ دَمٍ أَوْ عِرضٍ، وَبَعْض هَذِهِ الأَشْيَاءِ وَاجبٌ وَبَعْضُهَا مُسْتَحَبٌّ.

هذا الحسن للخلق الذي نفقده كثيرًا، وهذا السُّوء في المعاملة المنتشر بين الزَّوج وزوجته، والأب وابنه، والابن وأبيه، والبنت وأمّها، والموظف والرَّئيس، والرَّئيس والموظف، وصاحب الشَّركة والعُمَّال، والعُمَّال وأصحاب الشَّركات، وهكذا تعم قضية سوء الخلق والمعاملة المجتمع بأسره، إلَّا من رَحِمَ اللهُ، حتىٰ لربما تَجِدُ بَعضَ المُصلّين شَرِسًا يرفض أن يقترب من أخيهِ الذي يُقَرِّبَهُ إليهِ لكي يَسدّ فرجة في الصَّف، وَتَجدُ مِنهم شَرَاسَةً وَعنْفًا حتىٰ في بيوتِ اللهِ، وسوء معاملة، وإيذاء ومزاحمة بغيرِ حقٍ، فإذا كان هذا يقع في بيتِ اللهِ فما بالك إذًا بما سيقع في المكتب، والمنزل، والشّارع، والدُّكان، وغير ذلك من الأماكن التي يتلاقون فيها؟ وَقَالَ: إنَّ مسألة حسن الخلق مسألة عظيمة جدًا، والنَّاس يطيب

عيشهم بحسن الخلق، وتتحمل المرأة زوجها بحسنِ الخلقِ والعكس"[1]، وكذا بقية المجتمع.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ...لو جَمَعْتَ علوم أهل الأرض وذكاءهم فَإِنَّك لن تدخل قلوبهم إلَّا بحسن الخلق.

**وَأَفْضَل وأوثق وأصحّ ما وَرَدَ في حُسن الخلق كلام النَّبي ﷺ والذي عالج هذا الأمر بوحيٍ من الله ﷻ :**

**١ـ خيرُ العطاء الخلق الحسن:**

قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»[2].

**٢ـ كمال الإيمان في الخلقِ الحسن:**

قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[3].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ النَّاسِ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»[4].

**٣ـ أحبّ العِبَاد إلىٰ اللهِ أَحْسَنُهم خُلُقًا:**

قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَحْسَنُهم خُلُقًا»[5].

---

(١) بتصرف من الموقع الرَّسمي لفضيلة الشَّيْخ/ محمد صالح المنجد.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٥): (طب) ٤٦٣، (خد) ٢٩١، (جة) ٣٤٣٦، (حم) ١٨٤٧٧، انظر صَحِيح الْجَامِع: ١٩٧٧، وصحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٥٢.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٤/ ٣٨): (ت) ١١٦٢، (د) ٤٦٨٢.

(٤) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٩)، (طص) ٦٠٥، انظر صَحِيح الْجَامِع: ١٢٣١، الصَّحِيحَة: ٧٥١.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٥٤) باختلاف يسير مطولًا، قال الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٥٢) صحيح، السّلسلة الصَّحِيحَة (٤٣٢)، صحيح الجامع (١٧٩). وجاء في موقع الدُّرَرُ السَّنِيَّة: =

## ٤ـ وصية النَّبي بالخلقِ الحسن:

قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَاوَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

## ٥ـ الأمر بالاستقامةِ والخلق الحسن:

قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «استقمْ وليَحْسُنْ خلقُك للنَّاسِ»(٢).

---

= "حُسنُ الخُلُقِ يَرْقىٰ بِصاحِبِه إلىٰ أعلىٰ المراتِبِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا الحَديثِ يَقولُ أُسامةُ بنُ شَريكٍ ﷺ: "كُنَّا جُلوسًا عِندَ النبيِّ ﷺ، كَأنَّما علىٰ رُؤوسِنا الطَّيرُ"، بمَعنىٰ جَلَسْنا ساكِنينَ مُتأدِّبينَ مُتَواضِعينَ، بحيثُ يَكادُ يَقعُدُ الطَّيرُ علىٰ رُؤوسِنا مِنَ السَّكَنِ والطُّمأنينةِ التي كُنَّا عليها، "ما يَتكَلَّمُ مِنَّا مُتكَلِّمٌ، إذْ جاءَه أُناسٌ، فقالوا: مَن أحَبُّ عِبادِ اللهِ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ؟"، وهذا سُؤالٌ عن أكثَرِ النَّاسِ حُبًّا، أو أحَبِّ المَحبوبينَ الذين يُحِبُّهمُ اللهُ سُبحانَه أكثَرَ مِن غَيرِهم، "قالَ: أحسَنُهم خُلُقًا"، وهذه صِفةٌ لِلشَّخصِ الذي يُحِبُّه اللهُ، وهو الذي حَسُنَ خُلُقُه، سَواءٌ فيما بَينَه وبَينَ اللهِ، بأنْ يُلَبِّيَ كُلَّ أوامِرِه ونَواهيهِ، أو فيما بَينَه وبَينَ النَّاسِ مع اختِلافِ طَبائِعِهم وما يَتحَمَّلُه مِنهم مِمَّا ثَقُلَ عليه مِن أخلاقِ غَيرِه، وخُصوصًا تِلك الصِّفاتِ التي رُبَّما يَتمَيَّزُ بها الإنسانُ عن غَيرِه؛ كالصَّبرِ عِندَ المَكارِه، وبَذلِ الخَيرِ فيهم؛ حتىٰ يَكونَ مُفيدًا في المُحيطِ الذي يَعيشُ فيه، فحُسنُ الخُلُقِ ليس بأنْ يَكُفَّ أذاه عنِ النَّاسِ فَقَطْ، بل يَسْعىٰ لِدَفعِ الأذىٰ الذي يَقَعُ عليهم مِن غَيرِه، وكَمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسنَ الأخلاقِ مع كُلِّ الخَلقِ. وهذا ليس علىٰ الإطلاقِ، ولكِنَّه نَوعٌ مِنَ التَّفضيلاتِ التي ذَكَرَها النَّبيُّ ﷺ في أحاديثَ مُتعَدِّدةٍ يَتناسَبُ كُلٌّ مِنها مع الحالِ والمقامِ. وفي هذا الحَديثِ: الحَضُّ علىٰ التَّحَلِّي بمَكارِمِ الأخلاقِ".

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٦)، (ت) ١٩٨٧، (حم) ٢١٥٢٦، انظر صحيح الجامع: ٩٧، وصحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٥٥. وقال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثم المخالقة للنّاسِ بالخلقِ الحسن، أيضًا من أفضل القربات البرّ وحسن الخلق، والحذر من الجفاء والشّدة والغلظة أمر مطلوب إلّا في حق ما شرع الله والغيرة عليه، وإلّا فأخوك المسلم من حقهِ عليكَ أن تخاطبه بالتي هي أحسن، وأن تحسن خلقك معه بالبرّ وحسن الخلق، وخالق النّاس بخلقٍ حسن، فالغلظة والاكفهرار وسوء المقابلة ليست من أخلاق المؤمنين، والله ﷻ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، لكن من شرع الله الغلظة له والهجر له هذا يجب تنفيذ ذلك في حقه". يُنظَر: الموقع الرسمي لابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) قال جلال الدين السّيوطي في جامع الأحاديث (٤/ ٣٤٩): (الطبرانىٰ فى الكبير، والخرائطى فى مكارم =

### ٦ـ أفضل التَّجمل بالخلقِ الحسن:

قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجَمَّلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهِمَا»[١].

### ٧ـ أكثر ما يُدْخِلُ الجَنَّة الخُلق الحَسَن:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْأَجْوَفَانِ»[٢]: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ»[٣].

### ٨ـ أثقل الأعمال في الميزانِ؛ الخلق الحسن:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٌ يُوضَعُ»[٤] «فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٥] «أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ

---

=

الأخلاق، والحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمرو)، أخرجه الطبرانى (٢٠/ ٣٩ ، رقم ٥٨)، والخرائطى فى مكارم الأخلاق (٢٨ ، رقم ٦)، والحاكم (١/ ١٢١، رقم ١٧٩) وقال: حسن صحيح الإسناد، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢٤٥ ، رقم ٨٠٢٨). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٢/ ٢٨٣، رقم ٥٢٤)، والطبرانى فى الأوسط (٨/ ٣١٨، رقم ٨٧٤٧). قال الهيثمى (٨/ ٢٣): فيه: عبد الله بن صالح وقد وثق، وضعفه جماعة وأبو السميط سعيد لم أعرفه. قلتُ: قال الشَّيْخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٩٥١ في صَحِيح الْجَامِع، والصَّحِيحَة رقم (١٢٢٨).

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٩/ ٢٦٧)، (يع) ٣٢٩٨، (طس) ٧١٠٣، صَحِيح الْجَامِع: ٤٠٤٨، الصَّحِيحَة: ١٩٣٨.

(٢) (جة) ٤٢٤٦.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٩/ ٤٩٦)، (ت) ٢٠٠٤، (جة) ٤٢٤٦، (حم) ٩٠٨٥، انظر الصَّحِيحَة: ٩٧٧، صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: ١٧٢٣.

(٤) (ت) ٢٠٠٣.

(٥) (ت) ٢٠٠٢.

وَالصَلَاةِ»[1] «وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»[2].

**٩ـ نوال درجة الصَّيام والقيام بالخلقِ الحسن:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[3]، وفي روايةٍ: «دَرَجَةَ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ»[4]، وفي روايةٍ: «دَرَجَةَ السَّاهِرِ بِاللَّيْلِ، الظَّامِئِ بِالْهَوَاجِرِ»[5].

**١٠ـ من أفضل أعمال بني آدم الخلق الحسن:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَلَاةِ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ»[6].

**١١ـ نوال بيت في أعلىٰ الجنَّة بالخلقِ الحسن:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ[7] بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ[8] لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ[9] وَإِنْ

---

(١) (ت) ٢٠٠٣، (د) ٤٧٩٩، (حم) ٢٧٥٣٦.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٩/ ٤٩٧)، (ت) ٢٠٠٢، (خد) ٤٦٤، (حب) ٥٦٩٣، انظر صَحِيح الْجَامِع: ١٣٥، الصَّحِيحَة: ٨٧٦، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٢٦٤١.

(٣) (د) ٤٧٩٨، (حب) ٤٨٠، (حم) ٢٥٥٧٨، (خد) ٢٨٤، المشكاة: ٥٠٨٢.

(٤) التواضع والخمول: (١/ ٢١٠) ح١٦٦، (ك) ١٩٩، (حم) ٢٤٦٣٩، انظر صَحِيح الْجَامِع: ١٦٢٠، الصَّحِيحَة: ٧٩٥.

(٥) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٩/ ٤٩٨)، تمام في "الفوائد" (١٣/ ٢٣٤ / ١ - ٢)، انظر الصَّحِيحَة: ٧٩٤.

(٦) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ١)، (تخ) (١/ ٦٣)، (هب) (٧/ ٤٨٩، ح١١٠٩١)، (كر) (٥٢/ ٢٦٦)، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٥٦٤٥، الصَّحِيحَة: ١٤٤٨.

(٧) أَيْ: ضَامِنٌ وَكَفِيل. عون المعبود (١٠/ ٣٢٢).

(٨) أَيْ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا، تَشْبِيهًا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُون حَوْلَ الْمُدُن، وَتَحْت الْقِلَاع. عون المعبود (١٠/ ٣٢٢).

(٩) أَيْ: الْجِدَال.

كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[1].

**١٢ـ الثَّناء الحسن وحبّ النَّاس بالخلقِ الحسن:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[2].

**١٣ـ فساد العمل الصَّالح بسوءِ الخلق:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»[3].

**١٤ـ الخيرية في حسنِ الخلق:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: "لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»[4].

**١٥ـ أحبّ الخَلق إلىٰ النَّبيّ ﷺ وَأَقْرَبهم منه مَجْلِسًا أحسنُهُم خُلُقًا:**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، «فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٢)، (د) ٤٨٠٠، (ت) ١٩٩٣، (جة) ٥١، انظر صحيح الجامع: ١٤٦٤، الصَّحِيحَة: ٢٧٣، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ١٣٩.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٤)، (بز) ٨٥٤٤، (ك) ٤٢٧، (ش) ٢٥٣٣٣، (يع) ٦٥٥٠، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٢٦٦١.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ٧)، (عبد بن حميد) ٧٩٩، (طس) ٨٥٠، انظر صَحِيح الْجَامِع: ١٧٦، الصَّحِيحَة: ٩٠٦.

(٤) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ١٣): (خ) ٥٦٨٨، ٣٣٦٦، (م) ٦٨ - (٢٣٢١)، (ت) ١٩٧٥، (حم) ٦٥٠٤.

اللهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا»[1].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[2].

### ١٦ـ أفضل الحسب الخلق الحسن:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا تَعُدُّونَ الْكَرَمَ؟ - وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ الْكَرَمَ - فَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، مَا تَعُدُّونَ الْحَسَبَ؟، أَفْضَلُكُمْ حَسَبًا أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا[3].

### ١٧ـ ضابط المدح والثَّنَاء:

وَذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ التَّابِعِينَ مَدَحَهُ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ: "يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَمْدَحُنِي؟ أَجَرَّبْتَنِي عِنْدَ الْغَضَبِ فَوَجَدْتَنِي حَلِيمًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ أَجَرَّبْتَنِي فِي السَّفَرِ فَوَجَدْتَنِي حَسَنَ الْخُلُقِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَجَرَّبْتَنِي عِنْدَ الْأَمَانَةِ فَوَجَدْتَنِي أَمِينًا؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا لِأَحَدٍ أَنْ يَمْدَحَ أَحَدًا مَا لَمْ يُجَرِّبْهُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ. وَقَالَ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَلَا تُوجَدُ إِلَّا فِي الْكَرِيمِ: الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَالْبَذْلُ لِمَنْ حَرَمَكَ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ"[4]. قَالَ

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ١٤): (حم) ٦٧٣٥، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٢٦٥٠، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ١٥): (ت) ٢٠١٨، (خد) ١٣٠٨، (حم) ١٧٧٦٧، صَحِيح الْجَامِع: ١٥٣٥، الصَّحِيحَة: ٧٩١.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٠/ ١٩): (خد) ٨٩٩، انظر صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد: ٦٩٤.

(٤) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (ت٣٧٣هـ): تنبيه الغافلين بأحاديث سيّد الأنبياء والمرسلين للسّمرقندي، حققه وَعَلَّقَ عليه: يوسف عليّ بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (ص: ٢٠٧).

اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

❁❁❁

(١) سورة الأعراف الآية: (١٩٩).

## مِنْ أَسْبَابِ جَلْبِ الثَّنَاءِ:

### ثَانِيًا: الْحُلْمُ وَتَرْكُ الْغَضَبِ:

إِنَّ للأخلاقِ مكانتها الكبيرة، ومنزلتها الرَّفيعة؛ إذ العبادات ما شُرعت إلَّا لغرسِ الأخلاق والقيم النَّبيلة في النُّفوس، ولا بدَّ من أخلاقٍ مع الأعمالِ والعبادات[1]؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟»[2] (قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ[3]، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ[4] مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا[5] وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ [مِنْ الْخَطَايَا][6] أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ[7]»[8].

---

(١) استفدتُ في هذه المقدمة بتصرف من: الدخلاوي علال: الحلم وترك الغضب، شبكة الألوكة الشَّرعية بتاريخ، ١٠/ ٥/ ١٤٤١هـ-٦ يناير ٢٠٢٠م.

(٢) (حم) ٨٠١٦، (م) ٢٥٨١.

(٣) المتاع: "مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ الْأَقْمِشَةِ وَالْعَقَارِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعَبِيدِ وَالْمَوَاشِي وَأَمْثَالِ ذَلِكَ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ أَجَابُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ بِحَسَبِ عُرْفِ أَهْلِ الدُّنْيَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ". تحفة الأحوذي (٦/ ٢٠٨).

(٤) أَيْ: الْحَقِيقِيُّ. تحفة الأحوذي (٦/ ٢٠٨).

(٥) أَيْ: بِالزِّنَا وَنَحْوِهِ. تحفة الأحوذي (٦/ ٢٠٨).

(٦) (ت) ٢٤١٨.

(٧) أَيْ أَنَّ حَقِيقَةَ الْمُفْلِسِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْت، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ، وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ فَالنَّاسُ يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا، وَلَيْسَ هَذَا حَقِيقَةَ الْمُفْلِسِ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَزُولُ وَيَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ، وَرُبَّمَا انْقَطَعَ بِيَسَارٍ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ، بِخِلَافِ ذَلِكَ الْمُفْلِسِ فَإِنَّهُ يَهْلِكُ الْهَلَاكَ التَّامَّ. تحفة الأحوذي (٦/ ٢٠٨).

(٨) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٣/ ١٦٥)، (٦/ ٢٠٢): (م) ٢٥٨١، (ت) ٢٤١٨.

وَإِنَّه من مكارم الأخلاق التي حثَّ عليها الشَّرع: **الحلم**، ومعناه: ترك الغضب، والصَّفح عن الذّنوب والصَّبر عَلَىٰ الأذىٰ، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والحليم الكثير الحلم وهو الذي يصفح عن الذَّنوب ويصبر عَلَىٰ الأذى. وقيل: الذي لم يعاقب أَحدًا قطَّ إلَّا في اللهِ ولم ينتصر لأحدٍ إلَّا للهِ"(١).

وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ أَيْ لَا يَعْمَلُونَ غَضَبَهُمْ فِي النَّاسِ، بَلْ يَكُفُّونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ ﷻ.

"وَقَدْ مَدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ المُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصَّفة؛ فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢)، فَذَكَرَ مِن صِفَاتِهم أَنَّهم لَا يَعْمَلُونَ غَضَبَهُمْ فِي النَّاسِ، بَلْ يَكُفُّونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ ﷻ، ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾؛ أَيْ: مَعَ كَفِّ الشَّرِّ، يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي أَنْفُسِهِمْ مَوْجِدَةً عَلَىٰ أَحَدٍ، وَهَذَا أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٣)، فَهَذَا مِنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ"(٤).

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٧٦).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٣٣ـ ١٣٤).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٣٤).

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠٦).

وَمِن صِفَات عِبَاد الرَّحمٰن التي امتدحهم اللهُ بِهَا صفة الحلم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[1]؛ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: حُلَمَاءُ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَجْهَلُوا"[2].

والحلم صفة حميدة يحب الله من عبده أن يتصف بها؛ فقد قال ﷺ لأشج عبدالقيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ» (قَالَ: مَا هُمَا؟) (قَالَ: «الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»[3].

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ *وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]؛ يقول الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:"بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِهِ الْجَهَلَةُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. فَبَيَّنَ أَنَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ يُعَامَلُ بِاللِّينِ، وَأَخْذِ الْعَفْوِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ. وَأَنَّ شَيْطَانَ الْجِنِّ لَا مَنْجَىٰ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْهُ، قَالَ فِي الْأَوَّلِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وَقَالَ فِي الثَّانِي:﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان الآية: (٦٣).

(٢) الطبري: جامع البيان (١٧/ ٤٩٣).

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٩/ ٢٨٠): (م) ٢٥ - (١٧)، (د) ٥٢٢٥، (ت) ٢٠١١.

(٤) سورة الأعراف الآية: (١٩٩ـ ٢٠٠).

(٥) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتوزيع، بيروت – لبنان، سنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٢/ ٤٧).

وهذا التوجيه نفسه ذكره اللهُ تَعَالَىٰ في موضعين آخرين:

"ذكره في سورة المؤمنون في قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[1]. وذكره في سورة فصلت في قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ *وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، فكرَّر في هذين الموضعين الأمر بالدَّفع بالتي هي أحسن، فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: إذا أساء إليك مُسيء من الخَلْقِ، خصوصًا من له حقٌّ كبيرٌ عليك، كالأقاربِ، والأصحابِ، ونحوهم، إساءةً بالقولِ أو بالفعلِ، فقابله بالإحسانِ إليهِ، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك فاعفُ عنه، وإن تَكَلَّمَ فيك - غائبًا أو حاضرًا - فلا تقابله، بل اعفُ عنه، وعامله بالقولِ اللَّين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السَّلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسانِ، حصل فائدة عظيمة"[3].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ، كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ادْفَعْ بِالسَّلَامِ عَلَىٰ مَنْ

---

(١) سورة المؤمنون الآية: (٩٧-٩٨).

(٢) سورة فصلت الآية: (٣٤-٣٦).

(٣) السَّعدي: تيسير الكريم الرحمٰن (ص: ٧٤٩).

أَسَاءَ إِلَيْكَ إِسَاءَتَهُ"[1].

وَعَنْ جَارِيَةَ بْنِ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ ﷺ قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ، لَعَلِّي أَعِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَا تَغْضَبْ»، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مِرَارًا" كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لِي: «لَا تَغْضَبْ»[2] (قَالَ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ)[3].

وسُئِلَ معاوية بن أبي سفيان ﷺ: مَا النُّبْل؟ فَقَالَ: الْحلم عِنْد الْغَضَب، وَالْعَفو عِنْد الْمقدرَة[4]. وقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: "لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّىٰ يَكُونَ بَطِيءَ الطَّمَعِ بَطِيءَ الْغَضَبِ"[5].

قَالَ صَالِحٌ الْمُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبَانَ، عَنْ وَهْبٍ، قَالَ: قَرَأْتُ فِي الْحِكْمَةِ: "لِلْكُفْرِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانَ: رُكْنٌ مِنْهُ الْغَضَبُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الشَّهْوَةُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الطَّمَعُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الْخَوْفُ "[6].

ولا بدَّ أن نعرف أنَّ الصَّبرُ يحمل العبد عَلَىٰ الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذىٰ والحلم والأناة والرِّفق وعدم الطَّيش والعجلة، وهذه بعض الأمثلة العملية علىٰ ذلك: شتم رجلٌ سَلْمَان الفَارِسي ﷺ، فقال له: "إِنْ خَفَّتْ مَوَازِينِي

---

(١) الطَّبري: جامع البيان ط هجر (٢٠/ ٤٣٢ـ٤٣٣).

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٨/ ٤٦٠): (حم) ٢٠٣٧٢، (خ) ٥٧٦٥، (ت) ٢٠٢٠، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) (حم) ٢٣٢١٩، انظر صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧٤٦، وقال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) أبو سعد الآبي: نثر الدّر (٣/ ١٦).

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٢٥).

(٦) السَّابق (٤/ ٧٠).

فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُول، وَإِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينِي لَمْ يَضُرْنِي مَا تَقول"[1].

وشتم رجلٌ **الرَّبيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال له: "يا هذا، قد سمع الله كلامك، وَإِنَّ دون الجنَّة عقبة، إن قطعتُها لم يَضرَّني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شرٌّ مما تقول"[2].

قال أحد **السَّلف**: "لمَّا وَلِيَ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ خرج ذات ليلة، ومعه حرسه الذين يحرسونه، فدخل المسجد فَمَرَّ في الظَّلمة برجلٍ نائم فعثر به، فرفع النَّائم رأسه إليهِ فقال: أمجنونٌ أَنتَ؟ فردَّ عليه عمر: لا. فهمَّ به الحُرَّاسُ، فقال لهم عمر: اتركوه؛ إنَّما سألني: أمجنون أنت؟ فقلتُ: لا"[3].

قَالَ **سَهْلُ بْنَ عَبْدِ اللهِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْغَضَبُ أَشَدُّ فِي الْبَدَنِ مِنَ الْمَرَضِ؛ إِذَا غَضِبَ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي الْمَرَضِ"[4].

وَيُرْوَىٰ أَنَّ رَجُلًا من قريش أغلظ القول **لعمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ، فأطرق عمر زمانًا طويلًا ثم قال: "أَرَدْتَ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي الشَّيْطَان بِعِزِّ السُّلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مِنِّي غدًا انصرفْ إِذَا شئت"[5]. وقَالَ الشَّاعِرُ في هذا المعنىٰ:

لَنْ يَدْرِك المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا حتى يَذِلُّوا وإن عَزُوا لأقوامِ

ويُشْتَموا فَتَرَىٰ الألوانَ كَاسِفةً لا ذُلَّ عَجْزٍ ولكنْ ذُلِّ أحْلامِ

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/ ١٧١).

(٢) السَّابق (٣/ ١٧١).

(٣) محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزّهري (ت٢٣٠هـ): الطّبقات الكبرىٰ، دار صادر – بيروت (٥/ ٣٩٧).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء (١٠/ ١٩٦).

(٥) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد (٢/ ١٣٨).

قُلْتُ: فَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْسُّلْطَانِ؛ أَنْ لاَيَسْتَفِزَّهُ الشَّيْطَان؛ فَيَنَالَ بِسُلْطَانِهِ الْيَومَ مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ غَدًا؛ فَمَنْ نَالَ بِسُلْطَانِ الْزُّوْجِيَّةِ مِنْ زَوْجَتِهِ شَيْئًا فِي الْدُّنْيَا نَالَتْهُ مِنْهُ فِي الأُخْرَىٰ، وَمَنْ نَالَ بِسُلْطَانِ الأُبُوَّةِ مِنْ أَوْلاَدِهِ فِي الْدُّنْيَا نَالُوهُ مِنْهُ فِي الأُخْرَىٰ[1]

قَالَ مُعَاوِيَةُ ﷺ: "لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ مَبْلَغَ الرَّأْيِ حَتَّىٰ يَغْلِبَ حِلْمُهُ جَهلَهُ وَصَبْرُهُ شَهْوَتَهُ، وَلَا يَبْلُغُ ذَلِكَ إِلَّا بِقُوَّةِ الْحِلْمِ"[2].

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ، مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ"[3].

وَقَالَ الأَحْنَفُ بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَجَدْتُ الْحُلم أَنْصَرُ لِي مِنَ الرِّجَالِ"[4]. وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: عَلِّمْنِي الْحُلم يَا أَبَا بَحْرٍ، فَقَالَ: "هُوَ الْذُّلُّ يَا بْنَ أَخِي أَتَصْبِرُ عَلَيْهِ؟!"[5].

قَالَ الشَّاعِرُ:

لاَ يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ وَلاَ يَنَالُ الْعُلاَ مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: "لَسْتُ بِحَلِيمٍ، وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ"[6].

---

(١) أبو أحمد، محمد بن أحمد بن محمد العماري: لا تغضب (ص: ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ): الحلم (ص: ٢٧).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٧٥)، البيهقي: كتاب الزّهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثّقافية، بيروت، سنة، ١٩٩٦م (ص: ٢٧٦) موقوفًا عَلَىٰ عليّ ﷺ.

(٤) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق احسان عباس، دار الثّقافة، لبنان (٢/ ٥٠١).

(٥) ابن عبدربه: العقد الفريد (٢/ ١٣٦).

(٦) الذَّهَبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور/ بشَّار عَوَّاد معروف، دار الغرب =

وَقَالَ **أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ**، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: "نُبِّئْتُ أَنَّ عمر ﷺ ذَكَرَ بَنِي تَمِيمٍ فَذَمَّهُمْ، فَقَامَ الْأَحْنَفُ فَقَالَ: إِنَّكَ ذَكَرْتَ بَنِي تَمِيمٍ فَعَمَّمْتَهُمْ بِالذَّمِّ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنَ النَّاسِ، فِيهِمُ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَقَامَ الْحُتَاتُ، وَكَانَ يُنَاوِئُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ائْذَنْ لِي فَلأَتَكَلَّمَ، قَالَ: اجْلِسْ، فَقَدْ كَفَاكُمْ سَيِّدُكُمُ الأَحْنَفُ"(١).

وَقَالَ **مَرْوَانُ الأَصْفَرُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ الأَحْنَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنْ تَغْفِرْ لي فَأَنتَ أهلُ ذاكَ، وَإِن تُعَذِّبني فَأَنَا أَهلُ ذاكَ"(٢).

وَقَالَ **سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الأَحْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "... وَلا ذَكَرْتُ أَحَدًا بَعْدَ أَنْ يَقُومَ مِنْ عِنْدِي إِلَّا بِخَيْرٍ"(٣). وَبَلَغَنَا أَنَّ رجُلًا قَالَ لِلأَحْنَفِ: "لَئِنْ قُلْتَ وَاحِدَةً لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا، فَقَالَ لَهُ: لَكِنَّكَ لَئِنْ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً"(٤).

وَقَالَ **الأَصْمَعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ: قَدِمَ عَلَيْنَا الأَحْنَفُ الْكُوفَةَ مَعَ مُصْعَبٍ، فَمَا رَأَيْتُ خُصْلَةً تُذَمُّ إِلَّا رَأَيْتُهَا فِيهِ، كَانَ ضَئِيلًا، صَغِيرَ الرَّأْسِ، مُتَرَاكِبَ الأَسْنَانِ، مَائِلَ الذَّقْنِ، نَاتِئَ الْوَجْهِ، بَاخِقَ الْعَيْنَيْنِ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ، أَحْنَفَ الرِّجْلِ، فَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ جَلا عَنْ نَفْسِهِ"(٥).

---

=

الإسلامي، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ٢٠٠٣م (٢/ ٧٨٣).

(١) الذَّهَبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٢/ ٧٨٢).

(٢) السَّابق (٢/ ٧٨٣).

(٣) السَّابق (٢/ ٧٨٣).

(٤) السَّابق (٢/ ٧٨٣).

(٥) **بِاخِقٌ**: مُنْخَسِفُ الْعَيْنِ. وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيُّ: الأَحْنَفُ الَّذِي يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ أَنْ تُقْبِلَ كُلُّ رِجْلٍ عَلَى صَاحِبَتِهَا. الذَّهَبي: تاريخ الإسلام (٢/ ٧٨٤).

## الحِلمُ بالتَّحَلُّمِ:

قد يَكونُ الحِلمُ سَجِيَّةً وطَبيعَةً في الإنسانِ، وقد يَكونُ بالمُجاهَدَةِ والتَّكَلُّفِ، وقد يَكونُ مُرَكَّبًا مِنهُما، فَيَكونُ حليمًا بالطَّبيعَةِ والفِطرَةِ، ومعَ ذلكَ يُجاهِدُ نَفسَهُ لِيَسمُوَ إلىٰ المَقاماتِ العُليا من الحِلمِ.

إذا أحسَنتَ لمن أحسَنَ إليكَ، وحَلُمتَ عمَّن لم يُؤذِكَ فأنتَ لستَ حَليمًا، ولستَ مُحسِنًا، بل أنتَ مُكافِئٌ لمن أحسَنَ إليكَ بالإحسانِ، ولمن لم يُؤذِكَ بالحِلمِ.

يَقولُ **ابنُ حِبَّان** رَحِمَهُ اللهُ: "والنَّاسُ بالنِّسبَةِ للمَرءِ ضُروبٌ ثلاثَةٌ: رَجُلٌ أعَزُّ منكَ، ورَجُلٌ أنتَ أعَزُّ منهُ، ورَجُلٌ ساواكَ في العِزِّ. فالتَّجاهُلُ علىٰ من أنتَ أعَزُّ منهُ لُؤمٌ، وعلىٰ من هوَ أعَزُّ منكَ جَنَفٌ، وعلىٰ من هوَ مِثلَكَ هراشٌ كهراشِ الكَلبَينِ، ونِقارٌ كنِقارِ الدِّيكَينِ، ولا يَفترِقانِ إلَّا عن الخَدْشِ، والعقرِ، والهجرِ، ولا يَكادُ يُوجَدُ التَّجاهُلُ، وتركُ التَّحالُمِ إلَّا من سَفيهَينِ، وَقَدْ قِيلَ[1]:

ما تَمَّ حِلمٌ ولا عِلمٌ بلا أدَبٍ ... ولا تَجاهَلَ في قَومٍ حَليمانِ

وما التَّجاهُلُ إلَّا ثَوبُ ذي دَنَسٍ ... وليسَ يَلبَسُهُ إلَّا سَفيهانِ

فالواجِبُ علىٰ العاقِلِ إذا غَضِبَ واحتَدَّ أن يَذكُرَ كَثرَةَ حِلمِ اللهِ تَعَالَىٰ عنهُ معَ تواتُرِ انتِهاكِهِ مَحارِمَهُ، وتَعَدِّيهِ حُرُماتِهِ. ا.هـ.

وقالَ **محمَّدُ السَّعدِيُّ** لابنِهِ عُروَةَ لمَّا وُلِّيَ اليَمَنَ: "إذا غَضِبتَ فانظُر إلىٰ السَّماءِ فَوقَكَ، وإلىٰ الأرضِ تَحتَكَ، ثمَّ عَظِّم خالِقَهُما"[2].

---

(١) أبو حاتم البُستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢١٢).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٥).

**جُمِعَ له خَمسُ خِصالٍ مَحمودَةٍ:**

عن **عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، "أنَّ رَجُلاً سَبَّهُ، فَرَمَىٰ إليهِ بِخَميصَةٍ كانَت عليهِ، وأمَرَ لهُ بألفِ دِرهَمٍ. فقالَ بَعضُهُم: جُمِعَ له خَمسُ خِصالٍ مَحمودَةٍ: الحِلمُ، وإسقاطُ الأذىٰ، وتَخليصُ الرَّجُلِ مِمَّا يُبعِدُهُ عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وحَملُهُ علىٰ النَّدَمِ والتَّوبَةِ، ورُجوعُهُ إلىٰ مَدحٍ بَعدَ الذَّمِّ، اشتَرىٰ جَميعَ ذلكَ بِشَيءٍ من الدُّنيا يَسيرٍ"[1]. فالحِلمُ دَليلٌ علىٰ كَمالِ العَقلِ وسَعَةِ الصَّدرِ، وسَبَبٌ لِتَآلُفِ القُلوبِ ونَشرِ المَحَبَّةِ بينَ النَّاسِ، ويُزيلُ البُغضَ ويَمنَعُ الحَسَدَ[2].

"وَجَاءَ رَجلٌ إلىٰ **الأحنفِ** رَحِمَهُ اللَّهُ فَشَتَمَهُ فَمَا رَدَّ عَلَيهِ، فَأَعَادَ الرَّجلُ فَسَكَتَ عَنهُ، فَأَعَادَ فَسَكَتَ عَنهُ، فَقَالَ الرَّجلُ: "وَالهْفَاهُ!! مَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَنَ يَرَدّ عَلَيَّ إلَّا هَوَانِي عِنْدَهُ"[3].

وقال رجلٌ **لأبي ذرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أنت أبو ذرٍ؟ قال: نعم. قال: لولا أنَّك رَجل سوء مَا أُخْرِجْتَ مِنْ المَدِينة. فَقَالَ أبو ذر: بين يدي عقبةٌ كؤودٌ إن نجوتُ منها لا يَضرني ما قلت، وإن أقع فيها فأنا شرٌ مما تقول. وَكَان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ إذا قيل له: "إنَّ فلانًا يقع فيك" يقول: "والله لأغيظنَّ أمره – ويعني بذلك إبليس – "ثم يقول: "اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي، وإن كان كاذبًا فاغفر له"[4].

---

(١) الحلاق القاسمي: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ٢١٠).

(٢) كلمة أحمد شريف النّعسان: جمع له خمس خصال محمودة، تاريخ الكلمة، الخميس: ١شوال،١٤٣٤هـ – الموافق٢٠١٣م.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ٣٩٧).

(٤) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة (ص: ٢٩٦).

قَالَ أَبُو حَازِم رَحِمَهُ اللَّهُ: "كَانَ بَيْنَ عَاصِمُ بْن عمر وَبَيْنَ رَجُل مِنَ قُرَيْش دَرْءٌ[1] فِي أَرْضٍ، فَقَالَ القُرَشِيُّ لِعَاصم إِن كُنْتَ صَادِقًا فَادْخُلْهَا، فَقَالَ عَاصِمُ أَوَقَدْ بَلَغَ بِكَ الغَضَبُ كَلَّ هَذَا! هِيَ لَكَ، فَقَالَ القُرَشِيُّ سَبَقْتَنِي! بَلْ هِيَ لَكَ فَتَرَكَاهَا لَا يَأْخُذُهَا وَاحِدٌ مِنْهُمَا حَتَّىٰ هَلَكَا ثُمَّ لَمْ يُعْرض لَهَا أَوْلَادُهُمَا"[2].

من أفضل البرِّ[3] ثلاث خصال: "الصّدق في الغضب، والجود في العسرة، والعفو عند القدرة"[4]. قَالَ الْهَيْثَمَ بْنَ جَمِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَبْلُغُنِي عَنِ الرَّجُلِ يَقَعُ فِيَّ فَأَذْكُرُ اسْتِغْنَائِي عَنْهُ فَيَهُونُ عَلَيَّ"[5].

## إِيَّاكَ والإِفْرَاط فِي الغَضَبِ:

"اعلم أنَّ من النَّاس ناسًا كثيرًا يبلغ من أحدهم الغضب، إذا غضب، أن يحمله ذلك علىٰ الكلوح[6] والقطوب[7] في وجه غير من أغضبه، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له، والعقوبة لمن لم يكن يهم بمعاقبته، وشدَّة المعاقبة باللسانِ واليد لمن لم يكن يُريد به إلَّا دون ذلك، ثم يبلغ به الرِّضىٰ، إذا رَضِيَ، أن يتبرع

(١) (الدَّرْءُ) الدَّفْعُ (وَمِنْهُ) كَانَ بَيْنَ عُمَرَ وَبَيْنَ مُعَاذِ ابْنِ عَفْرَاءَ دَرْءٌ أَيْ خُصُومَةٌ وَتَدَافُعٌ. يُنظَر: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت٦١٠هـ): المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، الطَّبْعَةُ: بدون طبعة، وبدون تاريخ (ص: ١٦٢).

(٢) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزّي (ت٧٤٢هـ): تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشَّار عَوَّاد معروف، مؤسسة الرِّسالة – بيروت، الطَّبْعَةُ الأولىٰ ، سنة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م (١٣/ ٥٢٣).

(٣) البرّ: الصَّلاح.

(٤) عبد الله بن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير (ص: ٤٠).

(٥) البيهقي: شعب الإيمان (٦/ ٣٥٥).

(٦) الكلوح: التكشر في عبوس.

(٧) القطوب: أن يزوي المرء ما بين عينيه.

بالأمرِ ذي الخطر[1] لمن ليس بمنزلةِ ذلك عنده، ويُعطي من لم يكن يريد إعطاءه، ويكرم من لم يُرد إكرامه، ولا حق له، ولا مودة عنده فاحذر هذا الباب الحذر كله!، فإنَّه ليس أحدٌ أسوأ فيه حالًا من أهل السَّلطان الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم، وبتسرعهم في رضاهم، فإنَّه لو وصف بهذه الصَّفة من يلتبس بعقله، أو يتخبطه المسُّ[2] أن يعاقب عند غضبه غير من أغضبه، ويحبو[3] عند رضاه غير من أرضاه، لكان جائزًا ذلك في صفتهِ"[4].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعَادَةَ، قَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ مِنْ أَوْلَعِ النَّاسِ بِهَذَا الْبَيْتِ[5]:

لَيْسَتِ الْأَحْلَامُ فِي حِينِ الرِّضَا إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي وَقْتِ الْغَضَبِ

❁❁❁

(١) **يتبرع**: يعطي من غير سؤال. الأمر ذو الخطر: العظيم الرَّفيع الشأن.

(٢) **المسُّ**: الجنون.

(٣) **يحبو**: يُعطي.

(٤) عبد الله بن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير (ص: ٧٢ـ ٧٣).

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء (٤/ ٣٢٧).

# الفصـل الخامس:

# فضل الثّناء من خلال بعض قصص المعاصرين والقدماء

خَلَقَ اللهُ الإنسانَ مِن عَدَمٍ، وشقَّ لهُ السَّمعَ والبَصَرَ، وَحَبَاهُ بنِعَمٍ كثيرة تساعده عَلىٰ ممارسةِ حياتهِ عَلىٰ ظهر هذه الأرض، ومن النِّعَم المُهمَّة التي منحها اللهُ للإنسانِ نعمة اللسان والنُّطق والبيان، وقد ميَّز اللهُ بها الإنسان عن باقي المخلوقات علىٰ وجهِ الأرض[1]، قال تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَـٰنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[2]، تخرج كلماته فيتواصل بها مع غيرهِ، ويُعبِّرُ عمَّا في داخلهِ، وبالكلمةِ تتحقق كافة تعاملات البشر؛ لذلك كانت الكلمة لها خطورتها في حياةِ كلِّ شخص.

وأكبر الأَدلة علىٰ خطورة الكلمة أنَّ الإنسان يَدخلُ الإسلامَ بكلمةٍ، ويخرج منه بكلمةٍ، ويبني بيتًا وأسرة بكلمةٍ، ويهدم بناءً وَيُفرِّق جَمعَ أسرةٍ بكلمةٍ، وَيَدْخلُ الجنَّة بكلمةٍ، وَيَسْقطُ في النَّار بكلمةٍ، لذلك وجب علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يَعي خطورةَ ما يقول خصوصًا في هذا الزَّمان الذي انتشرت فيهِ وسائل التَّواصل بشتَّىٰ أشكالها، وَيَعتقدُ البعضُ عدم تأثيرها علىٰ الآخرين.

يقول **الماوردي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ تَرْجُمَانٌ يُعَبِّرُ عَنْ مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ، وَيُخْبِرُ بِمَكْنُونَاتِ السَّرَائِرِ، لَا يُمْكِنُ اسْتِرْجَاعُ بَوَادِرِهِ، وَلَا يُقْدَرُ عَلَىٰ رَدِّ شَوَارِدِهِ. فَحَقٌّ عَلَىٰ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ زَلَلِهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُ أَوْ بِالْإِقْلَالِ مِنْهُ"[3].

---

(١) بهذه الصَّورة الحالية التي يتم التواصل بها لبني الإنسان بلغات ولهجات متعددة، وإلَّا فإنَّ كلّ المخلوقات لها نطقٌ وكلامٌ بطريقةٍ وبصورةٍ مختلفةٍ عن الإنسانِ لا يعلمها إلَّا الله ﷻ.

(٢) سورة الرحمٰن الآيات: (١-٤).

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشَّهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، الطَّبْعَةُ: بدون طبعة، سنة، ١٩٨٦م (ص: ٢٧٥).

ولكن للأسفِ لقد أصبح أَثرها واضحًا ومنتشرًا انتشارًا واسعًا، فكلَّ كلمة تكتبها في حقِ غيرك، أو فيديو تنشره علىٰ هذه المواقع تقصد به الإساءة لأيِّ شخصٍ كلَّ ذلك يَدخل في بابِ الغِيْبَةِ، والتَّشهير بالآخرينَ، والاعتداء علىٰ خصوصيات الغير، وإلحاق الأذىٰ النَّفسي لهُ ولعائلتهِ؛ فكلَّ هذه الممارسات تُصاغُ في كلماتٍ تهدم العلاقات بين الإنسان وأقرب النَّاس إليهِ؛ فالكلمة تدل علىٰ شخصيةِ صاحبها، فهناك مَن يزن كلماته قبل خروجها، والبعضُ لسانُه لا يعرف ميزانًا ولا حِسَابًا، فالفضلاء حتىٰ لو تعكَّر مزاجهم يضبطون أنفسَهم ويتحدثون بأدبٍ دون انفعال، لا يُطلقون الألفاظ السَّيِّئة، ولا يُلقون التهمةَ الزَّائفةَ، ولا يقومون بأي تصرفٍ طائشٍ.

هؤلاء نفسيًّا مؤهلون للتأقلم مع كلَّ المواقف، ويضعون لأنفسهم ضوابطَ، ولكلماتهم ميزانًا حسَّاسًا، فهؤلاء لديهم فرصة كبيرة ليكونوا ناجحين، ويفرضوا احترامهم علىٰ الجميع. والبعض يُطلِق لسانه علىٰ الآخرين في كلِّ كبيرة وصغيرة، وإذا أغضبه شخصٌ ظهرت حقيقة شخصيته، وأطلق لسانه بوابل من الألفاظ غير اللائقة، ويتسرَّع في الحكمِ علىٰ الآخرين وإلصاقِ التُّهَم الباطلة بالآخرين؛ لذلك أنصح كلَّ إنسان: **لا تخلِطْ مزاجكَ السَّيِّئ بكلماتٍ سيِّئة؛ فيتحسَّن المزاج وتبقىٰ الكلمات المُؤْلمة في قلوبِ أصحابها**[1].

(١) علي بن راشد المحري المهندي: خطورة الكلمة، موقع جريدة الشَّرق علىٰ شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٩م - https://al-sharq.com/opinion.

والمقصود أنَّ للكلمات الطَّيبة والثَّناء الحسن؛ تأثيرٌ بالغُ الأهمية قَدْ غَيَّرَ حياة الكثيرين، وَصَدَقَ مَن قَالَ: **الكلمات نور ولكن بعض الكلمات قبور، فراقب لسانك قبل أن تدفن أحدًا في قبرِ كلماتك!** ولندع الآن المجال لذكرِ بعض القصص التي حدثت لأشخاصٍ بسبب سماع الثَّناء الحسن وكيف غَيَّرت حياتهم، وأصلحت -بفضل الله ﷻ- أحوالهم:

**١ـ اشْتَقْتُ إلىٰ أن أَتَزَوَّجُ:**

رُوِيَ عن **مالك بن دينار**[١] رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: في يومٍ اشتقتُ إلىٰ الشِّجارِ، فوجدتُ رجلين في السَّوقِ يتلاومان بشدَّةٍ، ويكادان أن يتشاجران فسمعتُ المظلومُ منهما يقولُ: أتأخذ فرحة بناتي! أتمنع فرحة بناتي! أتأخذ الحلوىٰ منِّي وقد اشتريتها لبناتي! والله ليَدْعُونَّ بناتي عليك الَّليلة فلا ترىٰ خيرًا بعدها، فضحك الظَّالمُ مُستهترًا!

عَنْ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاث بَنَاتٍ، يُؤْوِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَكْفُلُهُنَّ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ**»، فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ: وَاحِدَةً، لَقَالَ: "وَاحِدَةً "[٢]. وَعَنْ **عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ**

---

(١) يُنظَر ترجمته في: "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٥٦/ ٣٩٣)، "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٤/ ١٣٩)، "قلادة النحر في وفيات أعيان الدّهر" لأبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (٢/ ٩٢)، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للمزي (٢٧/ ١٣٧)، "سير أعلام النّبلاء. للذّهبي (٥/ ٣٦٢).

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٨/ ٢٧): (حم) ١٤٢٨٦، (خد) ٧٨، الصَّحِيحَة: ١٠٢٧، صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: ١٩٧٥.

كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ[1] كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

أيِّ عظمة في تعاليم رسول الله ﷺ لتحضَّ علىٰ العطفِ علىٰ البناتِ؟ يقول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: فأمسكتُ الظَّالم وضربته، وأعطيتُ المظلوم حاجته الَّتي سلبها الظَّالم منه وزوَّدته مبلغًا من المال منِّي ليشتري حلوىٰ إضافيَّة، فجعل الرَّجل يشكرني، فقلتُ له: "لا تشكرني، لكن عندما تعود لبناتك، تطعمهنَّ الحلوىٰ ويتبسَّمن ويرضين، قُلْ لهنَّ يدعون لي بالهدايةِ وقُلْ لهنَّ اسمي مالك بن دينار".

ثم عاد إلىٰ بيتهِ وهو يُفكِّر، بَأَنَّه أعزب ولكن من سيرضىٰ أن يُزوِّجه ابنته وهو علىٰ هذه الحال؟! قال: فأردتُ أن أُحَسِّنُ من سمعتي وسيرتي التي يبغضها النَّاس، كي يُثنوا عليَّ خيرًا فيزوجوني فطفقتُ أسعىٰ في ذلك، وقد روي عنه أنَّه قال: بدأتُ حياتي ضائعًا سِكْيِّرًا عاصيًا، أظلمُ النَّاس وآكل الحقوق، وآكل الرِّبا، وأضر النَّاس، وأفعل المظالم، لا توجد معصية إلَّا وارتكبتها، شديد الفجور، يتحاشاني النَّاس من معصيتي.

يقول: لمَّا سمعتُ كلام الرَّجل عن البناتِ في السَّوق اشتقتُ أن أتزوج ويكون عندي طفله، فتزوجتُ وأنجبتُ طفلة سميتها فاطمة، أحببتها حبًا شديدًا، وكلمَّا كبرت فاطمة زاد الإيمان في قلبي وَقَلَّتْ المعصية في قلبي، ولربما

---

(١) أَيْ: مِنْ غِنَاهُ وَمَالِه. حاشية السّندي علىٰ ابن ماجه (٧ / ٧٥).

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١١/ ١٣٣): (جة) ٣٦٦٩، (خد) ٧٦، (حم) ١٧٤٣٩، صَحِيح الْجَامِع: ٦٤٨٨، الصَّحِيحَة: ٢٩٤.

رأتني فاطمة أمسك كأسًا من الخمرِ فاقتربت منِّي فأزاحته وهي لم تُكْمل السَّنتين.

وكأنَّ اللهَ يجعلها تفعل ذلك، وكلَّما كبرت فاطمة كلَّما زاد الإيمان في قلبي وكلَّما اقتربتُ من اللهِ خطوة، وكلَّما ابتعدتُ شيئًا فشيئًا عن المعاصي، حتىٰ اكتمل سن فاطمة ثلاث سنوات، فلمَّا أكملت الثَّلاث سنوات ماتت فاطمة، يقول:

فانقلبتُ أسوأ ممَّا كنتُ، ولم يكن عندي الصَّبر الذي عند المؤمنين ما يقويني علىٰ البلاءِ، فعدتُ أسوأ مما كنتُ، وتلاعب بي الشَّيطان حتى جاء يومًا فقلتُ في نفسي لَتَسْكَرَنَّ اليوم سَكْرةً ما سَكَرْتُ مثلها من قبل!! فعزمتُ أن أسكر وعزمتُ أن أشرب الخمر، وظللتُ طوال اللَّيل أشربُ وأشربُ وأشربُ، فرأيتني تتقاذفني الأحلام.

فرأيتُ فيما يرىٰ النَّائم كأنَّ القيامة قد قامت وَنُفِخَ في الصَّور وبعثرت القبور وَحُشِرَ الخَلائق وأنا معهم، فسمعتُ حِسًّا مِن ورائي، فالتفتُ فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاهُ مسرعًا نحوي، فمررتُ بين يديهِ هاربًا فزعًا مرعوبًا فمررتُ في طريقي بشيخٍ نقي الثَّوب طيِّب الرَّائحة فَسَلَّمْتُ عليهِ فردَّ السَّلام فقلتُ: أيها الشَّيخ! أجرني من هذا التنين أجارك الله؟ فبكى الشَّيخ وقال لي: أنا ضعيفٌ وهذا أقوى منِّي وما أقدرُ عليهِ، ولكن مُرَّ وأسرع فلعلَّ الله أن يتيحُ لك ما ينجيك منه!

فولّيتُ هَارِبًا علىٰ وجهي فصعدتُ علىٰ شرفٍ من شرف القيامة فأشرفتُ علىٰ طبقات النِّيران فنظرتُ إلىٰ هولها وكدتُ أهوي فيها من فزع التنين فصاح

بي صائحٌ: ارجع فلستَ مِن أهلها! فاطمأننتُ إلىٰ قولِهِ ورجعتُ.

ورجع التنين في طلبي فأتيتُ الشَّيخ فقلتُ: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكىٰ الشَّيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلىٰ هذا الجبل فإنَّ فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك.

قال: فنظرتُ إلىٰ جبلٍ مستدير من فضةٍ وفيه كوىٰ مخرمة وستور معلقة علىٰ كلِّ خوخة وكوة مصراعان من الذَّهب الأحمر مفصلة باليواقيتِ مكوكبة بالدُّر علىٰ كلِّ مصراع سِتْر مِن الحرير، فلمَّا نظرتُ إلىٰ الجبلِ وَلَّيْتُ إليهِ هاربًا والتنين من ورائي حتىٰ إذا قربتُ منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا السَّتور وافتحوا المصاريع وأشرفوا! فلعلَّ لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوهِ، فإذا السَّتور قد رُفِعَت والمصاريع قد فُتِحَت فأشرف عليَّ مِن تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمارِ وقرب التنين مني فتحيرتُ في أمري.

فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه. فأشرفوا فوجًا بعد فوجٍ وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت عليَّ معهم، فلمَّا رأتني بكت وقالت: أبي واللهِ! ثم وثبتْ في كفةٍ من نورٍ كَرَمْيَةِ السَّهم حتىٰ مَثُلَتْ بين يديَّ فَمَدَّتْ يدها الشِّمال إلىٰ يدي اليُمْنَىٰ فَتَعَلَّقْتُ بها، وَمَدَّتْ يدها اليُمنىٰ إلىٰ التنين فولَّىٰ هاربًا.

ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليُمنىٰ إلىٰ لحيتي وقالت: يا أبتِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[1]؟؟ فَبَكَيْتُ وقلتُ:

(١) سورة الحديد الآية: (١٦).

يا بنية! وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبتِ! نحن أعرف به منكم. قلتُ: فأخبريني عن التنين الذي أَرَادَ أن يُهلكني؟ قالت: ذلك عملك السُّوء قوَّيته فأراد أن يغرقك في نارِ جهنَّم.

**قلتُ**: فأخبريني عن الشَّيخ الذي مررتُ به في طريقي؟ قالت: يا أبتِ! ذلك عملك الصَّالح أضعفته حتىٰ لم يكن له طاقة بعملك السَّوء. قلتُ: يا بنية! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أُسْكِنَّا فيهِ إلىٰ أن تقوم السَّاعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم.

قال **مالك**: فانتبهتُ فزعًا وأصبحتُ فَأَرَقْتُ المُسكر وكسرتُ الآنية واغتسلتُ وخرجتُ لصلاةِ الفجر أريدُ التَّوبة والعودة إلىٰ اللهِ، ودخلتُ المسجد فإذَا بالإمامِ يقرأ نفس الآية: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ**﴾؟ وتبتُ إلىٰ اللهِ ﷻ وهذا كان سبب توبتي[1]. ذلك هو مالك بن دينار من أئمة التابعين[2] رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) **القصة بتصرف كبير عن**: أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ): كتاب التوابين، دار ابن حزم، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م (ص: ١٢٤)، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ): الزّهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذّنوب والقبائح، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م (ص: ٤٥).

(٢) جاء في موقع الإسلام ويب: "فإنَّ قصة مالك بن دينار هذه مشهورة، وقد ذكرها بعض أهل العلم للعظة والاعتبار، منهم ابن قدامة المقدسي في كتاب **التوابين**، وابن الجزري في كتاب: **الزّهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذّنوب والقبائح**، كما ذكرها ابن الجوزي والعجلوني كما في الفتوى المشار إليها. ولا يلزم من ذلك الحكم عليها بالصَّحةِ أو البطلان لأنَّ العلماء لا يهتمون كثيرًا بالتدقيقِ في مثل هذه القصص والأخبار التي ترد عن بعض الصَّالحين؛ لأنَّهم لم يُريدوا أن يستدلوا بها علىٰ حكم شرعي.. وإنَّما لأخذ ما تضمنته من الدّروس والعظات والعبر.. وإذا كانت سيرة نبينا ﷺ تجمع الصَّحيح والضعيف.. كما قال **العراقي** في

**قلتُ**: والشَّاهد في القصةِ أنَّ كلمةً طيبةً وثناءً حسنًا سمعه **مالك بن دينار** عن فضل إنجاب البنات وكفالتهنَّ ورحمتهنَّ وَرِعَايَتهنَّ؛ غَيّرَ حياته كلها، ونقله بفضلِ اللهِ ﷻ من حضيض الذَّنوبِ إلىٰ درجات السَّائرين إلىٰ المولىٰ علاَّم الغيوبِ، ومن دركاتِ الشَّقاءِ والخذلانِ، إلىٰ معالي اليقين والعرفانِ، فسبحان مقلوب القلوب، وستِّير العيوب.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا**﴾(١). أَكَّدَ اللهُ علىٰ أهميةِ القول السَّديد، وأنَّه سببٌ في التوفيق وانصلاح الأمور: ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾(٢). وَقَالَ ﷻ: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٣).أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقُولُوا

---

=

نظم ألفية السَّيرة النَّبوية: **وليعلمِ الطالبُ أنَّ السّيَـــرَا تَجمَـعُ مَـا صـحَّ ومـا قـدْ أُنْكـــرَا**

فما بالك بغيرها من القصص والأخبار.. وأمَّا عدم زواجه- إن صحّ- فإنَّه لا ينفي وجود القصّة، لأنَّ البنت المذكورة إن لم تكن من زوجتهِ، فَيُحْتَملُ أنَّها كانت من جارية اشتراها، وعدم ذكر زواجه في ترجمتهِ في السَّير- كما سقتها- لا ينفي أنَّه تزوَّجَ. وكذلك عدم استقامتهِ في بدايةِ حياتهِ لا غرابةَ فيها- وليست بدليلٍ علىٰ عدمِ صحةِ القصّةِ، فكم من صالحٍ كان فاسدًا في بدايةِ حياته ثم تاب إلىٰ اللهِ تعالىٰ وصلح حاله، وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ معروفٌ ما كان منهم، ولذلك كان الشَّاب الذي ينشأ في طاعةِ اللهِ تعالىٰ من السَّبعة الذين يظلهم اللهُ تعالىٰ في ظلهِ يوم لا ظلّ إلَّا ظلّهِ. **والحاصل**: أنَّنا لا نحكم علىٰ هذه القصّةِ بصحةٍ ولا بطلان، وأنَّ من ذكرها إنَّما ذكرها للاتعاظِ بما فيها مما هو موجود في الشَّرع أصلًا". يُنظَر: إسلام ويب، رقم الفتوىٰ (١٣١٧٤١)، بتاريخ، ١٥صفر ١٤٣١هـ/ ٣٠ يناير ٢٠١٠م. والرّقم الخاص للفتوىٰ: ٣٩٩٠٧، عنوان الفتوىٰ: قصة مالك بن دينار وشربه للخمر، تاريخ الفتوىٰ: ١٤رمضان ١٤٢٤هـ- ٩/ ١١/ ٢٠٠٣م.

(١) سورة الأحزاب الآية : (٧٠).

(٢) سورة الأحزاب الآية : (٧١).

(٣) سورة الاسراء الآية : (٥٣).

وَيَفْعَلُوا الَّتِي هِيَ أحسن أي: الخصلة الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. وَقِيلَ: الْأَحْسَنُ: كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾، أَيْ: يُفْسِدُ وَيُلْقِي الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ، ﴿إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾، ظَاهِرَ الْعَدَاوَةِ.

**قلتُ**: سبحان الله دائمًا تستبشر الآذان بسماع الطَّيب، وتستنكر المؤلم، فعلىٰ المسلم أن يُبَشِّرُ ولا يُنَفِّرُ، فَعَنْ **أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ** ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»[1]. وَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ**»[2].

## ٢ـ ثَنَاءٌ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ:

كان **معن بن زائدة**[3] رَحِمَهُ اللهُ عاملًا علىٰ العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة يُريدُ الدُّخول عليه فلم يتهيأ له. فقال يومًا لبعض خدمه: إذا دخل الأميرُ البستانَ فعرِّفوني. فَلَمَّا دخل أعلمه فكتب الشَّاعر بيتًا مِن الشَّعر علىٰ خشبةٍ فألقاها في الماءِ الذي يدخل بستان معن، وكان معن جالسًا علىٰ رأس الماء فلمَّا بصر بالخشبةِ أخذها وقرأها فإذا فيها مكتوب:

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٨/ ٤١٢): (م) ٦ - (١٧٣٢)، (د) ٤٨٣٥، (خ) ٦٩، (حم) ١٩٥٨٨.

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٨/ ٤١٤): (خد) ٢٤٥، (حم) ٢١٣٦، صحيح الجامع: ٤٠٢٧، الصَّحِيحَة: ١٣٧٥.

(٣) أَمِيرُ العَرَبِ أَبُو الوَلِيْدِ الشَّيْبَانِيُّ أَحَدُ أَبْطَالِ الإِسْلاَمِ، وَعَيْنُ الأَجْوَادِ. وَلِمَعْنٍ أَخْبَارٌ فِي السَّخَاءِ، وَفِي البَأْسِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ. وَلِيَ سِجِسْتَانَ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ خَوَارِجُ، وَهُوَ يَحْتَجِمُ فَقَتَلُوْهُ فَقَتَلَهُم ابْنُ أَخِيْهِ يَزِيْدُ بنُ مَزْيَدٍ الأَمِيْرُ فِي سنة، اثْنَتَيْنِ، وخمسين، ومئة، وقيل: سنة، ثمان وخمسين. الذَّهبي: سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٧).

أَيَا جودَ معنٍ ناجِ معنًا بحاجتي فما لي إلىٰ معنٍ سِوَاكَ سَبيلُ

فقال: من صاحب هذا؟ فَدُعِيَ بالرَّجلِ فقال: كيف قلتَ؟ فأنشده البيت، فأمر له بعشر بدر فأخذها، ووضع الأمير الخشبة تحت بساطِهِ، فلمَّا كان اليوم الثَّاني أخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها. دعا بالرَّجلِ فدفع له مائة ألف درهم أخرىٰ، وكذلك في اليوم الثَّالث. فلمَّا أخذها منه الرَّجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه! فخرج "فتوجه إلىٰ حالِ سبيلِهِ"، فلمَّا كان في اليوم الرَّابع قرأ ما فيها ودعا بالرَّجلِ فَطُلِبَ فلم يُوجد، فقال معن: حق عليَّ أن أعطيه حتىٰ لا يبقىٰ في بيت المال درهم ولا دينار[1].

**قلتُ**: قد يُلهم اللهُ ﷻ بعض النَّاس كلمات مضيئات، كأنَّها مصابيح نيَّرات، تُزيح الهمَّ والغمَّ وتأتي بالرِّضا والثَّبات، فكلمات الثَّناء قد ترتدي أثوابًا مختلفات في الأحجام والألوان والمقاسات، لكنَّها ذات مضامين وأهداف وغايات راقيات، تصفُ الدَّواء والعلاج لبعض المشاكل والعقبات.

### ٣ـ حُلْمٌ يَأْتِي بِجَمِيلِ الثَّنَاءِ:

ومن جميل ما يُروىٰ فى الحُلمِ الذي يُثمر بجميلِ الثَّنَاء: أنَّ **معن بن زائدة الشَّيبانى** لمَّا ولاه الخليفة المنصور أحد الأمصار، وكان حليمًا جدًا، وكان يُضرب بِهِ المثل في الحلم، فَذَاع صيته فى البقاعِ وتناقل النَّاسُ ما اتصف به من الحلمِ وسعة الصَّدر حتىٰ فى أحرج المواقف التى تهيج فيها الصُّدور، تراهن أعرابيٌ مع آخرين علىٰ أن يُغْضِبَهُ مقابل مائة بعير يأخذها منهم، وإذا أخفق دفع

(١) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن عليّ (ت٨٣٧هـ): ثمرات الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي)، مكتبة الجمهورية العربية، مصر (٢/ ١٦٦).

لهم مثلها، فدخل عليهِ وهو والٍ علىٰ العراق من غير تحيةٍ، وَقَالَ:

أَتَذْكُرُ إِذْ لحافُك جلْدُ شاةٍ وَإِذْ نَعْلَاك مِنْ جِلْدِ البعيرِ

فقال معن بكلِّ هدوءٍ: نعم أذكره ولا أنساه. فقال الأعرابيُّ:

فَسبحان الذي أعطاكَ مُلْكًا وَعَلَّمَكَ الجلوس عَلىٰ السَّريرِ

فقال معن: إنَّ الله يُعِزُّ من يَشاءُ وَيُذِلُّ مَن يُشَاءُ. فقال الأعرابيُّ :

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا عِشْتُ دَهْرًا عَلَىٰ مَعْنٍ بِتَسْلِيمِ الأميرِ

فقال معن: السَّلامُ خيرٌ وليس فى تركهِ ضيرٌ .. والسَّلام سنَّةٌ يَا أخا العرب فَائْتِ بهِ كيف شئت. فَقَال الأعرابيُّ:

سَأَرْحَلُ عَن بلادٍ أَنتَ فيها وَلَو جَار الزَّمانُ علىٰ الفقيرِ

فقال معن: فإن جاورتنا فأهلًا بالإقامةِ، وإن جاوزتنا فمصحوبًا بِالسَّلامةِ. قال الأعرابيُّ:

فَجد لِي يابن ناقصةٍ بمالٍ فَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلىٰ المسيرِ

فقال معن لغلامٍ معه: ياغلام اعطه ألفَ دينار، أو قال: درهم. تخفف عنه مشاق الأسفار، فأخذها الأعرابيُّ وَقَالَ:

قَلِيلٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنِّي لأَطْمَعُ فِيكَ بالمالِ الكثيرِ

فَثَن[1] فَقَد آتاك المُلكُ عفوًا بِلا عقلٍ وَلا رأيٍ مُستَنِيرِ

فقال معن لغلامهِ: أعطهِ مثلهنَّ .. فأعطاه الغلام مثلهنَّ، فقال الأعرابيُّ حينئذٍ – وقد بهته حُلْم معنٍ وجوده–:

---

(١) أى: أعطني مرة ثانية.

سَـــأَلْـتُ اللهَ أن يُـبْقِـيـكَ ذُخْـــرًا فَـمَـالَكَ فِي الـبـريَّـةِ مِـن نـظـيـرِ
فَـمِنكَ الـجـودُ والإفضـال حـقـًا وَفـيَـض يـديـك كـالبحرِ الغزيـرِ

فقال معن: أعطيناه ألفين علىٰ هجونا فليعطَ أربعًا علىٰ مَدْحِنا. فقال الأعرابيُّ: بأبى أنت وأمي أيها الأمير، فَإِنَكَ نسيج وحدك فى الحُلْمِ، ونادرة دهرك فى الجودِ، ولقد كنتُ فى صفاتك ما بين مصدقٌ ومكذبٌ فَلمَّا بلوتك صدَّق الخبرُ الخَبرَ، وأذهب ضعف شكٍ قوة اليقين، وما بعثني علىٰ ما فعلت إلَّا مائة بعير جُعِلَت لى علىٰ إغضابك! فقال له الأمير معن: لا تثريب عليك، وَأَمَرَ له بمائتين من الإبلِ، مائة له ومائة للرهان فأخذها، فقال معن للغلامِ: ياغلام. كم أعطيتَه علىٰ نظمِهِ؟ فقال الغلام: ثلاثة آلاف دينار، أو قال درهم ياسيِّدي، فقال معن: اعطه علىٰ سجعهِ مثلهنَّ وانصرف شاكرًا[1].

(١) بتصرف من: الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (٢/ ٢٦١)، الجاحظ: كتاب البغال، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة، ١٤١٨هـ (ص: ٥٠)، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (٦/ ٢٨٠)، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (٢/ ٢٣٨).

### ٤ـ حُسْنُ الثَّنَاءِ مِن الأَدَب:

"خرج **عبد الله بن عامر بن كريز**[١] رَحِمَهُ اللَّهُ من المسجد يُريدُ منزله وهو وحده، فقام إليه غلام من ثقيف فمشىٰ إلىٰ جانبه، فقال له عبد الله: ألك حاجة يا غلام؟ قال صلاحك وفلاحك، رأيتك تمشي وحدك فقلتُ أقيك بنفسي وأعوذ باللهِ إن طار بجناحك مكروه. فأخذ عبد الله بيدهِ ومشىٰ معه إلىٰ منزله. ثم دعا بألف دينار فدفعها إلىٰ الغلام وقال: استنفق هذه فنعم ما أَدَّبَكَ به أهلك"[٢].

### ٥ـ مُكَافَأَةُ الثَّنَاءِ بِحِيلَةٍ وَذَكَاءٍ:

"كان **أبو مرثد** أحد الكُرَماء، فمدحه بعض الشُّعراء، فقال للشَّاعر: واللهِ ما عندي ما أُعطيك، ولكن قدِّمني إلىٰ القاضي وادَّعِ عليَّ بعشرةِ آلاف درهم حتىٰ أُقرَّ لكَ بها، ثمَّ احبسني، فإنَّ أهلي لا يتركوني محبوسًا. ففعل ذلك، فلم يُمْس حتىٰ دفع إليه عشرة آلاف درهم، وأُخْرج أبو مرثد مِن الحبس"[٣].

---

(١) هو عبد الله بْن عَامِر بْن كريز بْن ربيعة، ابْن خال عُثْمَان بْن عَفَّان. وُلِدَ عَلَىٰ عهد رسول الله ﷺ فَأُتِيَ بِهِ رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ صغير، فَقَالَ: هَذَا شبهنا، وجعل يتفل عَلَيْهِ ويعوذه، فجعل عَبْد اللهِ يتسوغ ريق رَسُول اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: **إِنَّه لَمُسْقَىٰ**، فكان لا يعالج أرضًا إلَّا ظهر لَهُ الماء. تنظر ترجمته في مظان كثيرة منها: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (٣/ ٩٣١).

(٢) المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التّنوخي البصري، أبو علي (ت٣٨٤هـ): المستجاد من فعلات الأجواد (ص: ٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٤٨).

### ٦ـ الْإِنْصَافُ فِي الثَّنَاءِ:

قِيلَ "تَذاكر جُلَسَاء **معاوية** بحضرتهِ يَوْمًا أَشْرَاف النَّاس وذوي الوجاهة والبيوت الجليلة، **والحسين بن عليّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حاضر، فقال معاوية من تعرفون أكرم النَّاس أبًا وَأمًّا وجدًا وجدَّةً وعمًّا وعمَّةً وخالًا وخالةً؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم، فأخذ بيد الحسين بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: هذا أبوه عليٌّ بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت محمد، وجدَّه رسول الله ﷺ، وجدَّته خديجة، وعمَّه جعفر بن أبي طالب، وعمَّته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم ابن رسول الله ﷺ، وخالته زينب بنت محمد. فقال كلهم: صدق أمير المؤمنين"[1].

### ٧ـ الْبَذْلُ وَالْعَطَاءُ يَجْلِبُ الشُّكْر وَالثَّنَاء:

رُوِيَ عَنْ **عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فرفعتها إِلَىٰ اللهِ قَبْلَ أَنْ أَرْفَعَهَا إِلَيْكَ، **فَإِنْ أَنْتَ قَضَيْتَهَا حَمِدْتُ اللهَ وَشَكَرْتُكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْضِهَا حَمِدْتُ اللهَ وَعَذَرْتُكَ.**

فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: اكتب حاجتك عَلَىٰ الْأَرْضِ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَىٰ ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِكَ، فَكَتَبَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: عَلَيَّ بِحُلَّةٍ، فَأُتِيَ بِهَا فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَىٰ مَحَاسِنُهَا ... فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا

إِنْ نِلْتَ حَسَنَ ثَنَائِي نِلْتَ مَكْرُمَةً ... وَلَسْتَ أبغي بِمَا قَدْ قُلْتُهُ بَدَلًا

إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ ... كَالْغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا

---

(١) التَّنوخي البصري: المستجاد من فعلات الأجواد (ص: ٢٦، بترقيم الشاملة آليا).

لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي خَيْرٍ تُوَاقِعُهُ فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَىٰ بِالَّذِي عَمِلَا

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: عَلَيَّ بِالدَّنَانِيرِ فَأُتِيَ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، قَالَ الْأَصْبَغُ بن نباته: فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُلَّةً وَمِائَةَ دِينَارٍ؟ قَالَ: نَعَمْ! سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[1] وَهَذِهِ مَنْزِلَةُ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدِي[2].

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيٌّ ﷺ الْتَفَتَ إِلَىٰ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ: أَمَّا الْحُلَّةَ فَلِمَسْأَلَتِكَ، وَأَمَّا الدَّنَانِيرَ فَلِأَدَبِكَ.

فهذا موقفٌ جليلٌ لأميرِ المؤمنين عَلِيٌّ بن أبي طالب ﷺ فِي الوقوفِ عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإنَّ أروع ما في هذا الخبر قوله: "اكتب حَاجَتك عَلَىٰ الْأَرْضِ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَىٰ ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِكَ" فكم يُعاني المحتاجون من الذُّلِ بين يدي من يُعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النُّطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين عليٌّ بهذه المعاملة السَّامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبياتِ المذكورة، وقد كان ﷺ يفرح بقدومِ الضَّيف، وَيُكرم إخوانه فِي اللهِ ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين عليٌّ ﷺ قال: لم يأتنِ ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني[3].

---

(١) ضعيف: الألباني: الضَّعيفة (٤/ ٣٦٨) رقم (١٨٩٤)، وانظر حديث رقم: ١٣٤٤ في ضعيف الجامع.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٣)، ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، سنة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م (٨/ ٩).

(٣) علي محمد محمد الصّلابي: سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١/ ٣٤١).

## ٨ـ حُسْنُ الثَّنَاءِ يَأْتِي بِالسَّخَاءِ:

وفد عبد الله بن جعفر الطَّيار[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ يزيد بن معاوية[٢] فقال له الخليفة: كم كان أمير المؤمنين يُعطيك؟ يعني أباه. قال: كان رَحِمَهُ اللَّهُ يُعطيني ألف ألفَ درهم. قال يزيد: قد أمرنا لك بمثل ذلك، وزودناك لِتَرَحُمَك عليهِ ألفَ ألف. فقال: بأبي أنت وأمي، فجزاك الله عنِّي خيرًا. فقال: ولهذه ألف ألف. فقال: أما إنِّي لا أقولها لأحدٍ بعدك. قال: ولهذه ألفُ ألف. قال: ما يمنعني من الإطناب في وصفك إلَّا الإشفاق عليك من جودك. قال: ولهذه ألفُ ألف. وحمل المال كله معه. فَقِيلَ له: يا أمير المؤمنين فَرَّقْتَ مال المسلمين علىٰ رجلٍ واحدٍ؟! قال: إِنَّمَا فَرَّقْته علىٰ أهل المدينة أجمعين. ثُمَّ وكل به من يعلم خبره من حيث لا ينظر، فصحبه. فلمَّا دخل المدينة فَرَّقَ فيها تلك الأموال حتىٰ احتاج بعد شهرٍ

---

(١) مُعَلِّم الكرم الجواد أبو جعفر عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب الهاشميّ الجواد، وله في الكرم حكايات مذكورة مشهورة، ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب وقال: ولدته أمّه أسماء بنت عميس بأرض الحبشة وقدم مع أبيه المدينة، وحفظ عن رسول الله ﷺ وروىٰ عنه، توفّي بالمدينة سنة، ثمانين، وكان يُسمَّىٰ بحر الجود، ولم يكن في الاسلام أسخىٰ منه، وَعُوتِبَ في جوده فقال: إنّ الله تعالىٰ عوّدني عادة وأنا أخاف إن قطعتها قطعت عنّي. كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشّيباني (ت٧٢٣ هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطّباعة والنّشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٦هـ (٦/ ٣٥٦).

(٢) يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَان بْنِ حَرْب بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، أَبُو خَالِدٍ الأُمَوِيُّ، بويع له بدمشق في شهر رجب سنة، ستين للهجرة، وتوفي بدمشق سنة، أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وكان مدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنين وعشرين يومًا. الذَّهَبي: تاريخ الإسلام (٢/ ٧٣١)، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤هـ): فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، الجزء: ١ -١٩٧٣م، الجزء: ٢، ٣، ٤- ١٩٧٤م (٤/ ٣٢٨).

إلىٰ القرض[1].

### ٩ـ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ لا تَفِي بِجَمِيلِ الثَّنَاءِ:

أخبر **الفضل الضَّبي** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: وفد ابن المولىٰ علىٰ يزيد بن حاتم المهلبي وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

يـا واحِـدَ العَـرَبِ الَّـذي أَضـحـىٰ وَلَيـسَ لَـهُ نَـظـيـر

لَـو كَـانَ مِـثـلُـكَ آخَـرٌ مَـا كَـانَ في الـدُّنـيـا فَـقـيـر

فدعا بخازنه وقال: كم في بيت المال؟ فقال: فيه من الورق والعين بقيمة عشرين ألف دينار، فقال له: ادفعها إليه[2].

### ١٠ـ حُسْنُ صناعة الثَّنَاءِ عند الشُّعَراء:

قيل وقف أعرابي علىٰ باب **داود بن المهلب** سنة ولا يُؤذن له. فلمَّا أَذِنَ للنَّاس إذنًا عامًّا ودخل في جملتهم، فقضىٰ حوائج النَّاس علىٰ طبقاتهم، وبقي هو، فرفع داود رأسه وقال: ألك حاجة يا بدوي؟ فقال: نعم أصلح الله الأمير، إنِّي أَتيتك ممتدحًا بأبياتٍ من الشَّعر، أُؤَمِلُ بكل بيتٍ منها ألف درهم. فقال له داود: علىٰ رِسْلِكَ، ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج. وقال: قل، فإن أحسنت حكَّمناك، وإن لم تحسن حرمناك، فأنشأ يقول:

---

(١) التّنوخي البصري: المستجاد من فعلات الأجواد (ص: ٦٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) التّنوخي البصري: المستجاد من فعلات الأجواد (ص: ٦٣، بترقيم الشاملة آليا)، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت٨٥٢هـ): المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ (ص: ١٧٩).

أَمنتُ بداود وجـــود يمينه من الحدث المُخَشَّي والبؤس والفقرِ
فأصبحتُ لا أَخْشَىٰ بداود نكبة من الحدثانِ إِذْ شَـدَدتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمَ لقمان وصورة يوسف وحكم سليمان وعدل أبي بكرِ
فتىٰ تَفْرُقُ الأموالُ من جودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرُقُ الشَّيطانُ مِن ليلةِ القدرِ

فقال له داود: أحسن يا أعرابي، وقد حكمناك فأيَّمُا أحب إليك أن أُعطيك علىٰ قدرك أو علىٰ قدري، أو علىٰ قدر الشَّعر، قال: بل علىٰ قدر الشَّعر، فأمر له علىٰ كل بيتٍ بألف درهم وانصرف، فقال بعض جلسائه: لو استعدته أيها الأمير فاستخبرته لِمَ اختار علىٰ قدر الشَّعر ولم يختر علىٰ قدرك؟ فأمر بردِّهِ واستخبره علىٰ ذلك، فقال: أيها الأمير نظرتُ إلىٰ الدَّنيا بما فيها فإذا هي لا تفي بمعشار عشر قدرك، فأشفقتُ أن أسألك ما لا تُطِيقُ. فقال: أحسنتَ والله أحسن من شعرك، وضاعف له الجائزة فأخذها وانصرف[1].

## ١١ـ الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ فِي الثَّنَاءِ يَأْتِي بِجَمِيلِ الْجَزَاءِ:

قال **أبو بكر الهذلي**، أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عبد الملك الأصمعي قال: قَدِمَ وفد علىٰ **هشام بن عبد الملك**[2] رَحِمَهُ اللَّهُ وفيهم رجل من قريش يقال له **إسماعيل بن أبي الجهم**، وكان أكبرهم سنًا؛ وأفضلهم رأيًا وحكمًا، فقام مُتَوَكِئًا علىٰ عصا، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ خطباء قريش قد

(١) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد (١/ ٢١٦).

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم أبو الوليد الأموي، بُويعَ له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعهد منه. ومات بالرّصافة سنة، خمس وعشرين ومائة، وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة، وسبعة أشهر وعشر ليال. ابن عساكر: تاريخ دمشق (٧٤/ ٢٢).

قالت فأطنبت وأثنت عليك فأحسنت، ووالله ما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصىٰ مُثنِيهم فضلك، أفتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلم. قال: أفأوجزُ أم أطنب؟ قال: بل أوجز. قال: تولَّاك الله يا أمير المؤمنين بالحُسْنَىٰ وَزَيَّنَكَ بالتَّقْوَىٰ، وجمع لك بين الآخرة والأولىٰ، إنَّ لي حوائج أفأذكرها؟ قال: نعم: قال: كَبُرَت سنِّي فضعفت قوتي، واشتدت حاجتي، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يُجبر كسري، وينفي فقري فليفعل! فقال: يا ابن الجهم، وما يُجبر كسرك وينفي فقرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار، قال: هيهات يا ابن أبي الجهم بيت المال لا يحتمل هذا، قال: كأنَّك آليت يا أمير المؤمنين أن لا تقضي لي حاجة في مقامي هذا، فقال هشام: فألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها دينًا قد حنا ظهري وأرهقني حمله. قال: نعم المسالك سلكتها، دينًا قضيت؛ وأمانة أدَّيت، وألف دينار لماذا؟ قال: أُزَوِّجُ بها من أدرك من ولدي، فأشد بهم عضدي، ويكثر بهم عددي. قال: لا بأس غضضت طرفًا، وَحَصَّنْتَ فرجًا، وأكثرت نسلًا، وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضًا فأعود بفضلها علىٰ ولدي، وبفضل فضلها علىٰ ذوي قربتي، قال: ولا بأس أردت ذخرًا، ورجوت أجرًا، ووصلت رَحِمًا، قد أمرنا لك بها. قال: المحمود الله علىٰ ذلك، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرَّحم خيرًا. فقال هشام: تالله ما رأيتُ رجلًا ألطف في سؤال، ولا أرفق في مقال منه، هكذا فليكن القرشي[1].

---

(١) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت٣٥٦هـ): الأمالي = شذور الأمالي = النّوادر، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م (١/ ١٤٧).

## ١٢ـ التَّلَطُّفُ فِي الثَّنَاءِ بِحَضْرَةِ النُّبَلَاءِ:

قال **الأصمعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: نظر **زياد** إلىٰ رجلٍ من ضبَّة يأكل أكلًا قبيحًا، وهو أقبح النَّاس وجهًا، فقال: يا أخا ضبَّة، كم عيالك؟ قال: سبع بنات أنا أجمل منهنَّ وجهًا، وهنّ آكل منِّي. فضحك زياد وقال: للهِ درك! ما ألطف سؤالك! افرضوا له ولكل واحدة منهنَّ مائة وخادمًا، وعجِّلوا له ولهنَّ بأرزاقهنَّ. فخرج الضَّبي وهو يقول:

إذا كنتَ مُرْتَادَ السَّمَاحَة والنَّدىٰ فنادِ زيادًا أو أخًا لزيادِ

يُجبك امرؤ يُعطي علىٰ الحمد ماله إذا ضنَّ بالمعروفِ كلَّ جوادِ

وما لي لا أُثني عليهِ وَإِنَّمَا طريقي من معروفهِ وتلادي[1].

## ١٣ـ الْخَلِيفَةُ وَحَامِلُ الْجَرَّةِ:

استدعىٰ بعض الخلفاء طائفة من العلماءِ والشُّعراء في يومِ عيدٍ لزيارتهِ، فصادفهم شاعرٌ فقيرٌ، كان بيده جرةٌ فارغةٌ ذاهبًا بها إلىٰ البحر ليملأها ماءً فتبعهم إلىٰ أن دخلوا دار الخلافة، فبالغ الخليفة في إكرامهم والإنعام عليهم، ورأىٰ ذلك الرَّجل والجرَّة علىٰ كتفهِ، وَنَظَرَ إلىٰ ثيابهِ الرَّثة، فقال: من أنتَ؟ وما حاجتك؟ فأنشد:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ شَدُّواْ رِحَالَهُمْ إِلىٰ بحْرِكَ الطَّامِي أَتَيْتُ بجَرَّتِي[2]

قال: املئوا له جرته ذهبًا وفضة. فحسده بعض الحاضرين، وقال: هذا فقير

---

(١) ابن عبدربه: العقد الفريد (١/ ٢٢٩).

(٢) هذا البيت وقفتُ عليه عند: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني: موسوعة الرقائق والأدب (ص: ١٤٨١، بترقيم الشاملة آليا).

مجنون لا يعرف قيمة هذا المال وربما أتلفه وضيَّعه! فقال الخليفة: هو ماله يفعل به ما يشاء، فَمُلِئَتْ له، وخرج إلىٰ الباب، فَفَرَّقَهَا علىٰ الفقراء والمحتاجين، وبلغ الخليفة ذلك فاستدعاه، فعاتبه علىٰ ذلك، فقال:

يـجُـودُ عَـلَـيْـنَا الـخَـيِّـرُونَ بِـمَـالِـهِـمْ وَنـحْـنُ بِـمَـالِ الـخَـيِّـرِيـنَ نـجُـودُ

فأعجبه ذلك، وأمر أن تُملأ له عشر مرات، وقال: الحسنة بعشرة أمثالها[1].

## ١٤ـ ثَمَرَةُ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ وِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ؛ النَّجَاةَ مِنَ الْمَهَالِكِ:

تَقُولُ الْقِصَّةُ: كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَعملُ فِي أَحَدِ مَصَانِعِ تَجْمِيد وَحِفْظِ الأسماك فِي إِحْدَىٰ الدُّولِ، وَذَات يوم وقبلَ نهايةَ الدَّوامِ دَخلَ إلىٰ ثَلَّاجةِ حِفْظِ الأسماك لِيُنْجِز أخر عملٍ لهُ فِي ذلكَ اليومِ، وبينمَا كانَ يُنْجِزُ عَمَلهُ، حَدَثَ أَنْ أُغْلِقَ بَاب الثَّلَّاجةِ وَهُوَ دَاخِلُهَا.

حاولَ الرَّجلُ فتحَ الباب، ولم يستطع، أخذَ يَصرُخَ ويُنَادِي بأعْلىٰ صوتِهِ طالبًا المُسَاعَدَةُ مِن العُمَّالِ الآخرين، وَلَكِن كان الدَّوامُ قد انتهَىٰ ولم يبقىٰ أحدٌ في المَصْنَع. وبعد مرورِ قرابةِ أكثرَ مِنْ ساعةٍ، وكانَ الرَّجلُ قَدْ أَوْشَكَ علىٰ المَوْتِ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ، إذ بِحَارسِ المَصْنَع يَفْتَحُ بَابَ الثَّلاجةِ، وَيُنْقِذَهُ!

وَعندمَا قامَ مُدِيرُ المَصْنع بِسُؤالِ حَارسِ المَصْنع، كَيفَ عَرَفَ أنَّ ذَلكَ العَامل كان موجود داخل المَصْنع وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَ بَاقي العَمَّال؟ قَالَ الحارسَ: أَنَا أَعْملُ بهذَا المَصْنع مُنْذ زمن طويل، يَدْخلُ وَيَخْرجُ مِنَ المَصْنع مِئَات

---

(١) رزق الله بن يوسف: مجاني الأدب في حدائق العرب (٢/ ١٤٦)، وقال في آخر القصة: (حلبة الكميت للنواجي)، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطَّيار: فيض الرّحمٰن الرّحيم في دروس رمضان الكريم (ص: ٣٧).

المُوَظَفِينَ وَالعُمَّال يَوْميًا، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُم يُلْقِي عَلَيَّ التَّحيَّة يَوْميًا وَيَسْأَلُنِي عَنْ حَالِي وَيُثْنِي عَليَّ وَيُحْسِنُ مُعَامَلَتِي إِلَّا ذَلِكَ العَامل!!

وَعِنْدَ نِهَايَةِ هَذَا اليَوْم لَمْ أَسْمَعَهَا مِنْهُ، وَافْتَقَدْتُه عِنْدَ خُرُوج العُمَّال، فَعَلِمْت أَنَّه لَا زَالَ فِي المَصْنَع، فَبَحَثْتُ عَنْهُ حَتّىٰ وَجَدته أخيرًا.

**الخُلاصَة**: قَالَ اللهَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا[2] وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ»[3].

الكَلِمَةُ الطّيبةُ طَائر جَميلٌ حين تُطلقُ سَرَاحه من لسَانك سَيُغَرِّدُ في صدور الآخرين، فَرُبّ كَلِمَةٍ طَيّبةٍ لَا تَلقِ لَهَا بَالًا أَيْقَظْت أَمَلًا فِي نَفْس غَيْرِكَ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَهَذه القصَّة هِي مِثَالٌ واضحٌ عَلىٰ أنَّ الكَلمة الطَّيبة صَدَقة وَمِن المُمكِن أَن تُنَجِّيكَ فِي يومٍ مَا، وَلَا تَنْدَم عَلىٰ التَّعامل بالحسنىٰ مَع الآخرينَ.

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية : (٨٣).

(٢) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٢٩٦): (م) ١٤٤ - (٢٦٢٦)، (حم) ٢٠٦٥٢، (د) ٤٠٨٤، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٩٨، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٢٩٦): (حم) ٢٠٦٥٤، (م) ١٤٤ - (٢٦٢٦)، (د) ٤٠٨٤، (ت) ١٩٧٠، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٢٦٨٧.

# الفصـل السَّادس:

## فضل الثّناء من خلال شعر الشّعراء

للمدحِ والثَّنَاء منزلةٌ في قلوبِ الجميع، فلا شك أنَّ الصُّدور تنشرح به، وتستقبله النُّفوس براحةٍ وطمأنينة، وَقَدْ مرَّ بنا الثَّنَاء في القرآن والسُّنَّة وفي أقوالِ علماءِ الأمةِ، والمتابع الجيِّدُ يَعْرِفُ أنَّ في التراثِ الإسلامي بصفةٍ عامةٍ والأدب العربي الإسلامي بصفةٍ خاصة، الكثير من الشَّعر في هذا المجالِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَنْتَ الـذي نَفَقَ الثَّنَاءُ بِسُـوقِهِ وَجَرىٰ النَّدَىٰ بِعُروقهِ قبل الدَّمِ[1]

- قَالَ الشَّاعِرُ:

فمن يَلقَ خيرًا يَحْمِدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَن يَغْوِ لا يعـدمْ عَلىٰ الغيِّ لائِمًا

أَلَـم تَرَ أَنَّ الـمَـرءَ يَجـذمُ كـفَّـهُ ويجشمُ من لومِ الصَّديق العظائِما[2]

- قَالَ الشَّاعِرُ:

صمٌ إِذا سَمِعـوا خَيرًا ذُكِرْتُ بـهِ وإِن ذُكِـرْتُ بسـوءٍ عندهـم أذنوا

إِن يَسْمَعُو سَيِّئًا طَاروا بهِ فَرَحًـا منِّي وَمَـا سَـمِعُوا مِن صَـالـحٍ دَفَنُوا

جَهْـلًا عَلَيْـنَا وَجُبْنًا عن عدوهم لبئست الخِلَّتَانِ الجهـلُ والجُبنُ[3]

---

(١) صفيّ الدين، أبو الفتح عيسىٰ بن البحتري الحلبي (المتوفى: بعد ٦٢٥هـ): أنس المسجون وراحة المحزون، المحقق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٩٩٧م (ص: ٢٣١).

(٢) أحمد قبش بن محمد نجيب: مجمع الحكم والأمثال في الشَّعر العربي (٣/ ٣٦٩، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) نسبت إلىٰ قعنب ابن أم صاحب. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (٣/ ٣٦١، بترقيم الشاملة آليا).

- قَالَ الشَّاعِرُ:

بَانِي العُلا والمجدِ والإحسانِ والفضلِ والمعروفِ أكرمُ بانِ
ليس البِنَاءُ مُشَيَّدًا لكَ شيدهُ مثلَ البناءِ يُشادُ بالإحسانِ
البرُّ أكرمُ ما حَوْتَه حقيبةٌ وَالشُّكرُ أكرمُ مَا حَوَتْهُ يَدَانِ
وَإِذَا الْكَرِيمُ مَضَىٰ وَوَلَّىٰ عُمْرَهُ كَفَلَ الثَّنَاءُ لهُ بِعمرٍ ثانِ[1]

## مناظرة شعرية في القدح والذَّم:

- قال روح:

أَثْنِي عليَّ بما علمتِ فإنَّني مُثْنٍ عليكِ لبئس حَشوُ المِنْطَق

فقالت:

أثْنِي عليكَ بأنَّ باعَكَ ضَيِّقٌ وبأنَّ أصْلَك في جُذَامٍ مُلْصَقُ

فقال روح:

أَثْنِي عليَّ بما عَلِمْتِ فإنَّني مُثْنٍ عليكِ بمثل رِيح الجَوْرَب

فقالت:

فثناؤنا شرُّ الثَّنَاء عليكمُ أَسْوَا وأنْتَنُ من سِلاَح الثَّعْلَبِ[2]

---

(١) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت٤٢٧هـ): اليميني، تحقيق: د.إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، دار الطَّليعة – بيروت، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م (١/ ٢٦٠)، والبيت الأخير عند: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، سنة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م (٧/ ١٣٤).

(٢) أبو الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ): الأغاني، تحقيق: عليّ مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطّباعة والنَّشر، لبنان (٩/ ٢٦٥).

- قَالَ الشَّاعِرُ:

حـــلاوةُ الحمدِ لـيس يعرفُهـا من لـم يذقْ طعـمَ رفدِهِ أحدُ

فإن تكنْ تشـتهي الثَّنَاءَ فـجـدْ تـجـــدْ ثناءً كـأنَّه الشَّـهـــدُ[1]

- قَالَ الشَّاعِرُ:

فما حَسَنٌ أن يمدحَ المرءُ نفســه ولكنَّ أخـلاقًا تُـذمُّ وتُمـــدحُ[2]

- قَالَ الشَّاعِرُ:

يـبقىٰ الثَّنَاءُ وتـنفـدُ الأمـــــوالُ ولـكلِّ دهــرٍ دولـــةٌ ورجـــالُ

ما نالَ محمدةَ الرِّجـالِ وشكرهم إلَّا الصَّـبورُ عليهـمُ المـفـضـالُ[3]

- قَالَ الشَّاعِرُ:

والنَّاسُ أكيسُ من أن يمدحوا رجلًا حتىٰ يَرَوا عنده آثارَ إحسانِ[4]

- قَالَ الشَّاعِرُ:

والمـرءُ بـالأخـلاقِ يسـمو ذكْـــرهُ وبهـا يُفضـلُ في الـورىٰ وَيُـوقّرُ

وَقـد تـرىٰ كـافـرًا في النَّاسِ تـحـسَبُهُ جهـنمـيًا ولـكـنْ طَيَّـةُ الـطُّهـرُ

وقـد تـرىٰ عـابـدًا تـهـتـزُّ لِـحـيـــتُـه وفـي الضَّـميرِ به من كفرِهِ سَقرُ

---

(١) نسبت إلىٰ الشريف العقيلي. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (١/ ٤٦٧، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) نسبت إلىٰ ابن الفقير. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (١/ ٤٧٤، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) نسبت إلىٰ عبد العزيز بن سليمان. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (١/ ٤٧٦، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) نسبت إلىٰ محمد الدقاق. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (١/ ٤٧٩، بترقيم الشاملة آليا).

أوغلْ بدنياكَ لا تنسَ الضَّميرَ ففي طياتِه السّرُ عندَ اللهِ ينحصرُ[1]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

إنِّي لتطربُني الخِلالُ كريمةً طربَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقِ
ويَهُزُّني ذكْرُ المروءةِ والنَّدىٰ بين الشَّمائلِ هزةَ المشتاقِ
فإذا رُزِقتَ خَليقةً محمودةً فقد اصطفاكَ مُقَسِّمُ الأرزاقِ
والناسُ هذا حظُّه مالٌ وذا علمٌ وذاكَ مكارمُ الأخلاقِ
والمالُ إن لم تَدَّخِرْه مُحَصَّنًا بالعلمِ كان نهايةَ الإملاقِ[2]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

من يُعطِ أثمانَ المحامدِ يُحمَدِ والحمدُ لا يُشترَى إلَّا بأثمانِ[3]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

ثَمَنَ المَعروفِ شُكْرٌ ويَدُ الإحسانِ ذُخْرُ
وثناءُ الحَيِّ لِلأمْواتِ في الأحياءِ عُمْرُ[4]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤمِ عِرْضُه فكلُّ رِداءٍ يَرتديهِ جميلُ
وإن هو لم يَرْفَع عن اللؤمِ نفسَه فليس إلىٰ حُسْنِ الثَّناء سبيلُ[5]

---

(١) نسبت إلىٰ محمود الأيوبي. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (٣/ ٢٦٧، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) نُسِبَتْ إلىٰ حافظ إبراهيم. يُنظَر: أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال (٣/ ٢٥٨، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) أبو حيان التوحيدي: أخلاق الوزيرين (ص: ٨٥).

(٤) السَّابق (ص: ٣٧٣).

(٥) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني (٩/ ٣٠٠).

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

فتىً يشتري حُسنَ الثَّنَاءِ برُوحهِ ويعلَم أَعقابَ الحديث تدوم[1]

قال **أعرابيٌّ**:

بَكىٰ صاحبي لمَّا رأىٰ الموتَ فوقَنا مُظلًا كإِظْلالِ السَّحاب إِذَا اكفهرْ

فقلتُ له صبرًا جميلًا فإِنَّما يكونُ غدًا حسنُ الثَّنَاءِ لمن صبرْ[2]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

فإِذا نَشَرْتُ له الثَّنَاءَ وجدتُه جَمع المَكَارِمِ طِرْفَها وتِلادَها[3]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

قومٌ إِذا جُلِب الثَّنَاء إِليهِمُ بِيعَ الثَّنَاء هناك بالأرباحِ[4]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

حَميدٌ في عشيرتِه فَقيدٌ يَطيب عَليه في الملأِ الثَّنَاءُ[5]

---

(١) أبو حيان التوحيدي: أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين (ص: ٥٠٠).

(٢) أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري (ت٢٩٧هـ): الزّهرة (ص: ١٧٥، بترقيم الشاملة آليا)، الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (المتوفى: نحو ٣٨٠هـ) ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت٣٧١هـ): حماسة الخالديين = بالأشباه والنّظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المحقق: الدكتور/ محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثّقافة، الجمهورية العربية السُّورية، سنة، ١٩٩٥م، موقع الورّاق http://www.alwarraq.com (ص: ٨٤).

(٣) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني (١/ ٢٩١).

(٤) السَّابق (٢/ ٣١٧).

(٥) السَّابق (٣/ ٥٤).

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

لأُسْمِعه غريبَ الشِّعر مَدْحًا وأُثْنِي حيث يتصل الثَّنَاء[1]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

المَرءُ يُعرفُ فِي الأَنَامِ بِفِعْلِهِ وَخَصَائِلُ المَرْءِ الكَرِيم كَأَصْلِهِ
إِصْبِر عَلَىٰ حُلْوِ الزَّمَانِ وَمُرِّهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ
لا تَسْتَغِيب فَتُسْتَغابُ وَرُبَّمَا مَنْ قَال شَيْئًا قِيْلَ فِيْه بِمِثْلِهِ
وَتَجَنَّبِ الفَحْشَاءَ لا تَنْطِقْ بِهَا مَا دُمْتَ فِي جِدِّ الكَلامِ وَهَزْلِهِ
وَإِذَا الصَّدِيْقُ أَسَىٰ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فَاصْفَح لأَجْلِ الوُدِّ لَيْسَ لأَجْلِهِ
كَمْ عَالِمٍ مُتَفَضِّلٍ قَدْ سَبَّهُ مَنْ لا يُسَاوِي غِرْزَةً فِي نَعْلِهِ!
البَحْرُ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُ الفَلا وَالدُّرّ مَطْمُوْرٌ بِأَسْفَلِ رَمْلِهِ
وَاعْجَبْ لِعُصْفُوْرٍ يُزَاحِمُ بَاشِقًا إِلَّا لِطَيْشَتِهِ .. وَخِفَّةِ، عَقْلِهِ!
إِيّاكَ تَجْنِي سُكَّرًا مِنْ حَنْظَلٍ فَالشَّيْءُ يَرْجِعُ بِالمَذَاقِ لأَصْلِهِ
فِي الجَوِّ مَكْتُوْبٌ عَلَىٰ صُحُفِ الهَوَىٰ مَنْ يَعْمَلِ المَعْرُوْفَ يُجْزَ بِمِثْلِهِ[2]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

يَمضي الزَّمان فكل فانٍّ ذاهب إلَّا جميل الذِّكر فهو الباقي
لم يَبقِ من إيوانِ كسرىٰ بعد ذاكَ الحفل إلَّا الذِّكر في الأوراقِ
هل كان للسَّفاحِ والمنصور والمهدي من ذكر الإطلاقِ

---

(١) السَّابق (٧/ ١٢٣).

(٢) منسوبة إلىٰ الشَّافعي رَحِمَهُ اللهُ. يُنظَر: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم (ت١٣٦٢هـ): نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، دار العباد – بيروت (ص: ٢٣٤، بترقيم الشاملة آليا).

أو للرشيدِ وللأمينِ وصونه لولاه شباه يراعة الورَّاقِ
رجع التراب إلىٰ التراب بما اقتضت في كلِّ خلقٍ حكمةُ الخلَّاقِ
إلَّا الثَّنَاء الخالد العطر الشَّذا يهدي حديث مكارم الأخلاقِ[1]

- قَالَ **الشَّاعِرُ**:

من أطيب الطَّيب الثَّنَاء عَلىٰ الفتىٰ طيب يقم علىٰ الزَّمان الأولِ[2]

- قَالَ **المتنبي**[3]:

وَتَفوحُ من طيبِ الثَّنَاءِ رَوائحٌ لهم بكل مكانةٍ تُستنشقُ
مِسْكِيَّةُ النَّفحَاتِ إلَّا أَنَّها وَحْشيَّة بِسواهُمُ لا تعْبقُ

**أخذ هذا من شعر أورده جدِّي وكيع في كتاب الغرة:**

لَوْ كَانَ يُوجَدُ ريحُ مجدٍ فائحًا لوجدتَهُ منهم عَلىٰ أمْيالِ

**وَقَالَ العَطَوي: وقد حمل نعش ابن أبي داود:**

وَلَيسَ نسيمُ المِسْك ما تجدونه وَلَكنَّهُ ذاك الثَّنَاءُ المُخَلَّفُ
وَلَيس صرير النَّعش ما تسمعونه ولكنَّهُ أصلاب قومٍ تَعصفُ

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ): أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السّقا، إبراهيم الإبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنّشر – القاهرة، سنة، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م (١/ ٢٦٠).

(٢) محمد بن أحمد بن عبد المغيث بن محمد بن إبراهيم بن محمد التميمي الدارمي (ت٣٧٨هـ): التحف والظرف (ص: ٢١، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) الحسن بن عليّ الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (ت٣٩٣هـ): المنصف للسَّارق والمسروق منه، حققه وَقَدَّمَ له: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٩٩٤م (ص: ٢٧٩-٢٨٠).

وَقَالَ ابن الرَّومي:

أعبقتهُ من طيبِ ريحكَ عبقةً كَادَتْ تكُونُ ثَنَاءك المَسمُوعا[1]

- أنشد الحنبلوني ابن آدم- وكان موسرًا بخيلًا-[2]:

وَمَا لامرئٍ طولُ الخلود وَإِنَّمَا يُخلِّده حسن الثَّنَاء فيَخلُدُ

فَلَا تَدَّخرْ زادًا فتصبحَ مُلْجَأً إِليهِ وكُلْه اليوم يُخْلِفْه الغَدُ

- قَالَ جحظة البرمكي[3]:

وإن يَكُ عن لقاءكَ غَابَ وجهي فَلم تَغبِ المَودّةُ والإخاءُ

وَلَم يَغبِ الثَّنَاءُ عليكَ منِّي بِظَهرِ الغَيبِ يَتْبَعهُ الدُّعاءُ

وَمَا زَالتْ تَتُوقُ إِليكَ نَفْسِي عَلىٰ الحَالاتِ يَحْدُوها الوَفَاءُ

- قَالَ سلم الخاسر من المتقارب[4]:

إِذا أَذِنَ اللهُ فِي حَاجةٍ أتاكَ النَّجَاحُ عَلَىٰ رِسْلِهِ

يَفُوزُ الجَوادُ بحُسن الثَّنَاء وَيَبْقَىٰ البَخِيلُ عَلىٰ بُخلِهِ

فَلَا تَسْألِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهِم وَلَكِن سَلِ اللهَ مِن فَضْلِهِ

---

(١) فالشَّاعر الأول قال: لو كان يُوجد ريح مجد فائحًا لوجدته منهم علىٰ أميال، ولكنَّه لا يوجد، وابن الرومي قال: كادت تكون ثناءك وقال: كادت، والعطوي خبر أنَّ المسك ليس هو في الحقيقة ما يجده الشام، ولكنَّه ثناؤه المخلف بعده، وأبو الطَّيب خبر عن ريح الثَّناء أنَّه منهم بكل مكانة يُستنشق، وبكل مكان أعم من أميال، ولكن العطوي جاء بإرادته في بيتٍ ولم يبلغ أبو الطيب إرادته إلَّا في بيتين فنقل اللفظ القصير إلىٰ الطَّويل الكثير. ابن وكيع: المنصف للسَّارق والمسروق منه (ص: ٢٨٠).

(٢) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة (ص: ٣٨٠).

(٣) أبو حيان التوحيدي: الصَّداقة والصَّديق، تحقيق: الدكتور/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق - سورية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (ص: ٢٢٤).

(٤) الصَّفدي: الوافي بالوفيات (١٥/ ١٨٩)، السّيوطي: المحاضرات والمحاورات (ص: ٢٢٩).

- قَالَ **محمد بن عيسىٰ بن عبد الملك بن قُزمان القرطبي**[1]:

كَـثيــر المال تَبـذلُـهُ فَيَفْنَىٰ وَقَـدْ يَبْقَىٰ مِن الـذِّكرِ القَلـيـلُ
وَمَـن غَـرَسَـتْ يَـدَاه ثِمَارَ جُـودٍ فَفِي ظلِّ الثَّنَاءِ لـهُ مَقِـيــلُ

- قَالَ **الشَّاعِرُ**[2]:

اِفْـعَـل الْخَيْرَ مَا اِسْتَطَعْتَ تَنَلْ مَـا تَبْتَغِيهِ مِنَ الثَّنَاءِ الْـجَمِـيـلِ
فَـاعِلِ الْخَيْرَ آمِنٌ لَيْسَ يَخْشَىٰ صَـرْفُ دَهْرٍ وَلَا حُلُولُ جَلِيلِ

- قَالَ **حَسَّان بن ثابت** ﷺ يمدح الرَّسول ﷺ:

وَأَحسَنُ مِنكَ لَـم تَرَ قَـطُّ عَـينـي وَأَجـمَـلُ مِنكَ لَـم تَـلِـدِ النِساءُ
خُـلِقتَ مُبَـرَّءً مِن كُـلِّ عَيــبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقتَ كَمَا تَشـاءُ[3]

❁❁❁

(١) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ): تحفة القادم، أعاد بناءه وعلّق عليه: الدكتور/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (ص: ٥٦).

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ): نفح الطّيب من غصن الاندلس الرَّطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان (٥/ ٥٩٣).

(٣) يُنظَر: يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (ت٨٩٣هـ): بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسّير والشّمائل، دار صادر - بيروت (٢/ ١٨٦)، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت علىٰ تحقيقِهِ وتصحيحِهِ: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت (١/ ٢٧٦).

## الفصل السَّابع

## من خصائص وأصول وقواعد أهل السُّنَّة والجماعة في المدح والذَّم والجرح والتعديل:

- تأصيل قاعدة الموازنات وحمل المجمل على المُفَصَّل: (العبرة بطريقة أهل الاستقامة لا بهفواتهم وزلاتهم)
- دعوة إلى المنهج الأفيح الواسع
- قاعدة نصحح ولا نهدم
- بيان ابن تيمية للموقف الشَّرعي ممَّن وقع في أخطاء كبيرة وله جوانب أحسن فيها
- ثناء الإمام أحمد على أحد الرّواة مع وصفه له بالإرجاءِ
- التفرقُ في الدِّين أو الاختلاف فيه ينقسم إلى قسمين

## من خصائص وأصول وقواعد أهل السُّنَّة والجماعة في المدحِ والذَّمِّ والجرح والتَّعديل:

### تأصيل قاعدة الموازنات وحمل المجمل علىٰ المُفَصَّل: (العبرة بطريقة أهل الاستقامة لا بهفواتهم وزلاتهم):

(اعلم-يا طالب العلم- أَنَّ الهفوات والزَّلَّات لا يسلم منها إلَّا الرَّسول ﷺ، وما دام الأمر كذلك؛ فلا مطمع لأحدٍ أبدًا في النَّجاةِ من ذلك، ولكن ينبغي أن يعلم أَنَّ ما يحصل منهم من زلَّات وهفوات لا يصح الاعتماد عليها ولا اعتبارها أصلًا للحكمِ العام علىٰ صاحبها، بل الاعتماد علىٰ سيرتهم التي عُرِفُوا بها، وأحوالهم التي استمروا عليها، مع بقاء الحكم بالخطأِ علىٰ صاحب الزَّلَّات والهفوات، والأَدلة علىٰ هذهِ المسألة كثيرة).

### قال أحمد الصَّويان: الموازنة بين الإيجابيات والسَّلبيات:

(إذا تبين أنَّ الإنسان- مهما كانت منزلته- مُعَرَّضٌ للصَّواب والخطأ، فلا يجوز لنا أن نطرح جميع اجتهاداته، بل ننظر إلىٰ أقوالِهِ الموافقة للحقِ ونلتزمها، وَنُعْرِضُ عن أخطائِهِ، فالموازنة بين الإيجابيات والسَّلبيات هو عين العدل والإنصاف[1]. فتبين أنَّ الذي عليه عامَّة أهل العلم أن يُقْبَلُ الحق ممَّن جاءَ بهِ وإن كان من أهلِ البدع، وأن يُحَذَّرُ من بدعهِ، وقبول ما أتىٰ به من الحقِ، وهذا هو موضوع كتاب الشَّيخ الصَّويان)[2].

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن الصويان: منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم (ص٢٧).

(٢) أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين: القول البديع في نصح الشَّيخ ربيع، دار ابن عقيل، مصر، المحلة =

قال ابنَ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ يَقُولُهَا اثْنَانِ، يُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا أَعْظَمَ الْبَاطِلِ، وَيُرِيدُ بِهَا الْآخَرُ مَحْضَ الْحَقِّ، وَالِاعْتِبَارُ بِطَرِيقَةِ الْقَائِلِ وَسِيرَتِهِ وَمَذْهَبِهِ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَيُنَاظِرُ عَلَيْهِ"[1].

قال أبو الحسن كما في شريط رقم (١) من أشرطته المسماة بـ "القول الأمين": يقول هنا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "والكلمة الواحدة يقولها اثنان، أي يقولها شخصان أو رجلان يريدُ أحدهما بها، أو يريد بها أحدهما، أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، يعني كلمة واحدة تخرج من شخصين أحدهما مبطلٌ بها والثَّاني محقٌ بها".

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "والاعتبار بطريقةِ القائل وسيرته ومذهبه وما يدعو إليه ويُناظرُ عليه"، يعني كيف نحملها علىٰ المعنىٰ الحق أو نحملها علىٰ المعنى الباطل؟ نرجع إلىٰ سيرة هذا القائل وإلىٰ طريقته ومنهجه الذي عُرِفَ به فنحمل علىٰ الحق إن كان سُنِّيًا، ونحمل علىٰ الباطل إن كان مبتدعًا!!

ثم الشَّاهد من هذا إن شاء الله؛ أن نعرف أنَّ الكلام المجمل من الشَّخص السَّلفي، أو من الدَّاعية السَّلفي، أو من طالب العلم، أو من المناصر للدَّعوة السَّلفية بعلمٍ وبصيرةٍ، هذا يحمل علىٰ المحمل الحسن!!

دعوة إلىٰ المنهج الأفيح الواسع: قال الشَّيخ محمد الإمام-وفقه الله- في «الإبانة» تحت عنوان : (الأخوة الإسلامية نعمة ربانية وعطية إلهية) وبعد أن ذكر

---

= الكبرىٰ، دمرو، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م (ص:١٩).

(١) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطَّبْعَةُ: الثَّالثة، سنة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (٣/ ٤٨١).

بعض أدلة التَّآخي والتَّآلف! قال- وفقه الله-: (ومن مقتضىٰ هذه الأخوة أن تحب لجميع المسلمين الخير وأن تكره لهم الشَّر والوقوع فيه، ومن مقتضاها أن تبقى مؤاخيًا لهم حسب ما يستحقون منها، الصَّالح بقدر صلاحه، والزَّائغ بقدر ما سلم من زيغهِ، ولا تُرفع نعمة الأخوة إلَّا بذهاب الإسلام، والأخوة الكاملة تكون لأهل الاتباع الكامل، والنَّاقصة لأهل النَّقص. -إلىٰ أن قال: ولا تجوز الاستهانة بالأخوةِ الإسلامية فتصير عرضة للتَّخاصم والتَّهاجر والتَّفسيق والتَّبديع والتَّكفير؛ نتيجة التَّهور والتَّعجل والاندفاع -إلىٰ أن قال: الأخوة الشَّرعية بين المسلمين باقية ما بقي الإسلام فيهم، وتكمل بتكامل الاتباع وتنقص بنقصانه، وبإقامتها يقوم العدل والإنصاف بين المؤمنين، وتقوىٰ شوكتهم، وتحصن دعوتهم، ولا حول ولا قوة إلَّا باللهِ)[1].

يقول **عدنان عرعور** في شريط له بعنوان «**الاختلاف أنواعه وأحكامه**»[2]، مقررًا نحو ما قرره الشَّيخ محمد الإمام فيما سبق: "المسلم يبقىٰ مسلمًا مهما فجر، ومهما فسق، ومهما ابتدع، وَأَنَّ الأخوة لا يبطلها مبطلٌ إلَّا الكفر. لو أَنَّ شباب الصَّحوة الإسلامية ومن معهم من الكبار والصِّغار أدركوا هذه القضية الجديرة بالاهتمامِ: أَنَّ المسلم مهما كان فاسقًا فاجر، فله عليك حق الأخوة بقدر ما قدَّر الشَّرع، من الضَّوابط التي وضعها العلماء وليس الآن محل ذكرها، أخوك رغم أنفك، مادام في دائرةِ الإسلام الواسعة!!!

---

(١) أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام: الإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة، دار الآثار، اليمن، صنعاء، الطَّبْعَةُ الثَّانية، سنة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م (ص:٣٤).

(٢) رقم (١) الوجه الأوَّل.

ويقول أيضًا في نفس الشَّريط له: إِنَّ لهذه الأخوة حقوقًا ضيَّعها كثير من المسلمين، ومن أهم هذه الحقوق: التَّناصح لا التَّفاضح، فالواجب علىٰ المسلمين أن يتناصحوا، لا أن يتفاضحوا، أن يستر بعضهم علىٰ بعض، لا أن يُشَهِّرُ بعضهم ببعض، الأمر غير ذلك تمامًا.

وهكذا **أبو الحسن المصري** في «**السراج الوهَّاج**» حيث قال هناك: "وأعتقد أَنَّ المسلم يُوالي ويُعادي، ويُحب ويبغض، ويُوصل ويهجر علىٰ حسب ما فيه من خيرٍ وشرٍ، وسنَّةٍ وبدعةٍ، وعلىٰ حسب حرصهِ علىٰ الخيرِ وتحريه له، أو اتباعه لهواه وظلمه لأهل الحق، مع مراعاةِ المفاسد والمصالح"[1].

**قاعدة نصحح ولا نهدم:**

قال **الشَّيخ أبي نصر الإمام** في «الإبانة»: "الرَّجل السُّنِّي المعروف بها إذا حصلت منه أخطاء فالصَّواب ترك أخطائهِ ولا يُترك هو ما دام سُنِّيًا، فما هو حاصل من بعض إخواننا أَنَّ السُّنِّي إذا وجدت منه أخطاء ترك بالكلية يُعد تجاوزًا، وقد يقول قائل: قد نصحنا له فلم ينتصح؟ فنقول له: نِعْمَ ما فعلت، فالنَّصح دواء وشفاء وغذاء، ولكن لا يلزم إذا لم يُقبل منك النَّصح أن تقوم بتحزيبه أو هجره، فإنَّ هذه مسائل شرعية مردَّها إلىٰ أهل العلم، وفيها مخارج عندهم، ولا تصل إلىٰ درجة الهجر والتحزيب"[2].

وقال أيضًا في «الإبانة»: "فليس كلَّ من أَصرَّ علىٰ خطإٍ يضرُ بالآخرين يُترك

---

(١) أبو الحسن المصري: السراج الوهَّاج (ص٣٦ الفقرة ٧٦).

(٢) أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام: الإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة (ص:٢٦٩).

بسبب خطئه، وَإِنَّما يُتَعاملُ معه حسب المصلحة المُعتبرة"[1].

قال **أبو الحسن المصري**: الأخطاء تُصحَّحُ وليس هناك أحدٌ فوق النَّصيحة، لكن ما تصحيح الأخطاء بهدم الأشخاص!![2].

قَالَ **سَعِيدُ بْنِ الْمُسَيِّبِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ وَلَكِنْ مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ كَمَا أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ نُقْصَانُهُ ذَهَبَ فَضْلُهُ". وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يَسْلَمُ الْعَالِمُ مِنَ الْخَطَأِ، فَمَنْ أَخْطَأَ قَلِيلًا وَأَصَابَ كَثِيرًا فَهُوَ عَالِمٌ وَمَنْ أَصَابَ قَلِيلًا وَأَخْطَأَ كَثِيرًا فَهُوَ جَاهِلٌ"[3].

قَالَ الإمام **مُحَمَّد بْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "ظُلْمًا لِأَخِيكَ أَنْ تَذْكُرَ فِيهِ أَسْوَأَ مَا تَعْلَمُ مِنْهُ، وَتَكْتُمَ خَيْرَهُ"[4].

قَالَ **عَبْدِ اللهِ ابْن الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِذَا غَلَبَتْ مَحَاسِنُ الرَّجُلِ عَلَىٰ مَسَاوِئِهِ، لَمْ تُذْكَرِ الْمَسَاوِئُ، وَإِذَا غَلَبَتِ الْمَسَاوِئُ عَنِ الْمَحَاسِنِ، لَمْ تُذْكَرِ الْمَحَاسِنُ"[5].

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَاللهُ قَدْ أَمَرَنَا أَلَّا نَقُولَ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَأَلَّا نَقُولَ

---

(١) السَّابق (ص:٢٥٧).

(٢) أبو الحسن المصري: شريط «حقيقة الدعوة» رقم (٢).

(٣) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ): جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السَّعودية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م (٢/ ٨٢١).

(٤) أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي (ت١٩٧هـ): الزهد لوكيع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م (ص: ٧٧٥).

(٥) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٨).

عَلَيْهِ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَأَمَرَنَا بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ، فَلَا يَجُوزُ لَنَا إِذَا قَالَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ - فَضْلًا عَنِ الرَّافِضِيِّ - قَوْلًا فِيهِ حَقٌّ أَنْ نَتْرُكَهُ أَوْ نَرُدَّهُ كُلَّهُ، بَلْ لَا نَرُدُّ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ دُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ[1].

قال **الذَّهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "غُلاَةُ المُعْتَزِلَةِ، وَغُلاَةَ الشِّيْعَة، وَغُلاَةَ الحَنَابِلَة، وَغُلاَةَ الأَشَاعِرَةِ، وَغلاَةَ المُرْجِئَة، وَغُلاَةَ الجَهْمِيَّة، وَغُلاَةَ الكَرَّامِيَّة قَدْ مَاجت بِهِم الدُّنْيَا، وَكثرُوا، وَفِيهِم أَذكيَاءُ وَعُبَّاد وَعُلَمَاء، نَسْأَلُ اللهَ العفوَ وَالمَغْفِرَة لأَهْل التَّوحيد، وَنبرأُ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الهَوَىٰ وَالبِدَع، وَنُحبُّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا، وَنُحِبُّ العَالِمَ عَلَىٰ مَا فِيْهِ مِنَ الاتِّبَاعِ وَالصِّفَاتِ الحميدَة، وَلاَ نُحبُّ مَا ابْتدعَ فِيْهِ بتَأْوِيْلٍ سَائِغٍ، وَإِنَّمَا العِبرَةُ بِكَثْرَةِ المَحَاسِنِ"[2].

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ:"وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ وَهُوَ: أَنْ تَعْرِفَ الْحَسَنَةَ فِي نَفْسِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا سَوَاءٌ كَانَتْ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً. وَتَعْرِفَ السَّيِّئَةَ فِي نَفْسِهَا عِلْمًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا مَحْظُورَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَحْظُورَةٍ - إنْ سُمِّيَتْ غَيْرُ الْمَحْظُورَةِ سَيِّئَةً - وَإِنَّ الدِّينَ تَحْصِيلُ الْحَسَنَاتِ وَالْمَصَالِحِ وَتَعْطِيلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَفَاسِدِ. وَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَجْتَمِعُ فِي الْفِعْلِ الْوَاحِدِ أَوْ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ الْأَمْرَانِ فَالذَّمُّ وَالنَّهْيُ وَالْعِقَابُ قَدْ يَتَوَجَّهُ إلَىٰ مَا تَضَمَّنَهُ أَحَدُهُمَا فَلَا يَغْفُلُ عَمَّا فِيهِ مِنْ النَّوْعِ الْآخَرِ كَمَا يَتَوَجَّهُ الْمَدْحُ وَالْأَمْرُ وَالثَّوَابُ إلَىٰ مَا تَضَمَّنَهُ أَحَدُهُمَا فَلَا يَغْفُلُ عَمَّا فِيهِ مِنْ النَّوْعِ الْآخَرِ وَقَدْ يُمْدَحُ الرَّجُلُ بِتَرْكِ بَعْضِ السَّيِّئَاتِ الْبِدْعِيَّةِ والفُجُورية لَكِنْ قَدْ يُسْلَبُ

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م (٢/ ٣٤٢).

(٢) الذَّهبي: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٦).

مَعَ ذَلِكَ مَا حُمِدَ بِهِ غَيْرُهُ عَلَىٰ فِعْلِ بَعْضِ الْحَسَنَاتِ السُّنِّيَّةِ الْبَرِّيَّةِ. فَهَذَا طَرِيقُ الْمُوَازَنَةِ وَالْمُعَادَلَةِ وَمَنْ سَلَكَهُ كَانَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ لَهُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ"[1].

قال العَلاَّمة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "وذلك لأنَّ الإنسان يجب عليه القيام بالعدلِ، وأن يُراعي المعامل له بما تقتضيه حاله، والعدل أن يوازن بين السَّيئات والحسنات، وينظر أيهما أكثر وأيهما أعظم وقعًا، فَيُغَلِّبُ ما كان أكثر وما كان أَشَدّ تأثيرًا؛ هذا هو العدل. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾[2]، يعني لا يحملكم بغضهم علىٰ عدم العدل اعدلوا ولو كنتم تبغضونه، ولهذا لمَّا بَعَثَ النَّبي ﷺ عبد الله بن رواحة إلىٰ أهل خيبر ليخرص[3] عليهم ثمر النَّخل، وكان النبَّي ﷺ قد عامل أهل خيبر حين فتحها علىٰ أن يكفوه المئونة، ويقوموا بإصلاحِ النَّخيل والزَّرع ولهم النَّصف.

فكان يبعث عليهم من يخرص عليهم الثَّمرة، فبعث إليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فخرصها عليهم، ثم قال لهم: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَىٰ اللهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ أَنْ

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السَّعودية، سنة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م (١٠/ ٣٦٦).

(٢) سورة المائدة الآية: (٨).

(٣) كيفيَّةُ الخرْصِ أن يطوفَ بالنَّخلةِ ويرىٰ جميعَ عَناقِيدِها، ويقول: عليها مِنَ الرُّطَبِ أو العِنَب كذا، ويجيء منه تمرًا أو زبيبًا كذا، ثم يفعَل ذلك بنخلةٍ بعد نخلةٍ إنِ اختلَفَ النَّوعُ، ولا يقتصِر علىٰ رؤيةِ البَعضِ وقياسِ الباقي؛ لأنَّها تتفاوَتُ، فإن اتَّحَدَ النَّوعُ، جاز أن يخرِصَ الجميعَ رُطَبًا أو عِنَبًا، ثم تَمرًا أو زَبيبًا. شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (ت٩٧٧هـ): مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (٢/ ٨٩).

أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالَوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»[1]. فالشَّاهد أنَّ الرَّسول ﷺ أمر أن يكون الإنسان حاكمًا بالعدل والقسط[2].

وقال: "التباغض نهىٰ عنه الرَّسول ﷺ حتىٰ لو وقع في قلبك بغضٍ لإنسانٍ فحاول أن ترفع هذا عن قلبك، وانظر إلىٰ محاسنه حتىٰ تمحو سيئاته، وقد أرشد النَّبي ﷺ إلىٰ هذا حيث قال: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً» يعني لا يبغض المؤمن المؤمنة، يعني زوجته أو أخته أو أُمَّه، ولكن يُراد الزَّوجة هنا، **لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ**، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ، وهذا من الموازنة بين الحسنات والسَّيئات، بعض النَّاس ينظر إلىٰ السَّيئات والعياذ باللهِ فيحكم بها وينسىٰ الحسنات، وبعض النَّاس ينظر للحسناتِ وينسىٰ السَّيئات، والعدل أن يقارن الإنسان بين هذا وهذا، وأن يميل إلىٰ الصَّفح والعفو والتَّجاوز؛ فإنَّ الله تعالىٰ يُحب العافين عن النَّاس، فإذا وجدت في قلبك بغضاء لشخصٍ فحاول أن تزيل هذه البغضاء وَذَكِّر نَفْسَكَ بِمَحَاسنِهِ، ربما يكون بينك وبينه سوء عشرة، أو سوء معاملة، لكنَّه رجلٌ فاضلٌ طيبٌ محسنٌ إلىٰ النَّاس يُحب الخير، تذكر هذه المحاسن حتىٰ تكون المعاملة السَّيئة التي يعاملك بها مضمحلة منغمرة في جانب الحسنات"[3].

---

(١) قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٣٠/ ١١٣): (د) ٣٤١٠، (جة) ١٨٢٠، (حب) ٥١٩٩، (حم) ١٤٩٩٦.

(٢) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ): شرح رياض الصَّالحين، دار الوطن للنَّشر، الرِّياض، الطَّبْعَةُ: ١٤٢٦هـ (٣/ ١٢٢).

(٣) ابن العثيمين: شرح رياض الصَّالحين (٦/ ٢٤٤).

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمِنْ أَعْظَمِ التَّقْصِيرِ نِسْبَةُ الْغَلَطِ إِلَىٰ مُتَكَلِّمٍ[1]. مَعَ إِمْكَانِ تَصْحِيحِ كَلَامِهِ وَجَرَيَانِهِ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَسَالِيبِ كَلَامِ النَّاسِ ثُمَّ يَعْتَبِرُ أَحَدَ الْمَوْضِعَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ بِالْغَلَطِ دُونَ الْآخَرِ"[2].

قال **الشَّيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: ... فلذلك أنا أنهىٰ الشَّباب أن يكون مدار نزاعهم وخصوماتهم علىٰ شخصٍ مُعين أيًا كان، لأنَّه إذا كانت الخصومات علىٰ هذا النَّحو فربما يبطل الخصم حقًا قاله هذا الشَّخص، وربما ينصر باطلًا قاله هذا الشَّخص، وهذا خطر عظيم، أنَّه إذا تَعَصَّبَ الإنسانُ للشَّخصِ، وَتَعَصَّبَ آخر ضده فالذي يتعصب ضده سوف يقول عنه ما لم يقله، أو يؤول كلامه، أو ما أشبه ذلك، والثَّاني ربما يُنكر عنه ما قاله، أو يُوجه ما قاله من الباطل. لا نتكلم في الأشخاصِ ولا نَتَعَصَّبَ لأشخاصٍ. إلىٰ أن قال: ويجب التَّحذير من أي باطلٍ كُتِبَ أو سُمِعَ، سواء من هذا أو من هذا، هذه نصيحتي لإخواننا، ولا ينبغي أن يكون الحديث والمخاصمة والأخذ والرَّدّ في شخصٍ بعينه.أ.هـ[3].

إنَّ من المقرر في دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يجعل العصمة لأحدٍ من خلقِهِ إلَّا لِرُسلِهِ عليهم أفضل الصَّلاة والتَّسليم، فما من أحدٍ إلَّا رادٌّ ومردودٌ عليهِ، ومن المقرر أيضًا عند أئمة المسلمين أنَّ خطأ العالم لا يمنع من قبول ما عنده

---

(١) عَلَّق الشَّيْخ أبي العينين علىٰ هذه اللَّفظة بقولِهِ: لينتبه المنصف إلىٰ قول ابن تيمية: **"متكلم"** هكذا منكرة لتعم جميع المتكلمين. أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين: القول البديع في نصح الشَّيخ ربيع (ص:٧٢) حاشية (١).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (٣١/ ١١٤).

(٣) ابن عثيمين: لقاء الباب المفتوح: اللقاء ١٣٠.

من العلمِ مهما عظم خطؤه، وإن كان خطأ في الاعتقادِ[1].

قال **الذَّهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السَّير عن: "قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ بنِ قَتَادَةَ بنِ عَزِيْزٍ السَّدُوْسِيُّ: وَكَانَ يَرَىٰ القَدَرَ - نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ -. وَمعَ هَذَا، فَمَا تَوقَّفَ أَحَدٌ فِي صِدقِه، وَعَدَالَتِه، وَحِفظِه، وَلَعَلَّ اللهَ يَعْذُرُ أَمْثَالَه مِمَّنْ تَلبَّسَ بِبدعَةٍ يُرِيْدُ بِهَا تَعْظِيْمَ البَارِي وَتَنزِيهَه، وَبَذْلَ وِسْعَهُ، وَاللهُ حَكَمٌ عَدلٌ لَطِيْفٌ بِعِبَادِه، وَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. ثُمَّ إِنَّ الكَبِيْرَ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ إِذَا كَثُرَ صَوَابُه، وَعُلِمَ تَحَرِّيهِ لِلْحقِّ، وَاتَّسَعَ عِلْمُه، وَظَهَرَ ذَكَاؤُهُ، وَعُرِفَ صَلاَحُه وَوَرَعُه وَاتِّبَاعُه، يُغْفَرُ لَهُ زَلَلُهُ، وَلاَ نُضَلِّلُهُ وَنَطْرَحُهُ وَنَنسَىٰ مَحَاسِنَه. نَعَم، وَلاَ نَقتَدِي بِهِ فِي بِدعَتِه وَخَطَئِه، وَنَرجُو لَهُ التَّوبَةَ مِنْ ذَلِكَ"[2].

وقال عن **ابْنِ خُزَيْمَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكِتَابُه فِي "**التَّوحِيدِ**" مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ، وَقَدْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ حَدِيث الصُّورة، فَلْيَعْذُر مَنْ تَأَوَّلَ بَعْضَ الصِّفَاتِ، وَأَمَّا السَّلَفُ، فَمَا خَاضُوا فِي التَّأْوِيْلِ، بَلْ آمَنُوا وَكَفُّوا، وَفَوَّضُوا عِلمَ ذَلِكَ[3] إِلَىٰ اللهِ وَرَسُوْلِه، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ -مَعَ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، وَتَوَخِّيْهِ لاتِّبَاعِ الحَقِّ- أَهْدَرْنَاهُ، وَبَدَّعْنَاهُ، لَقَلَّ مَنْ يَسلَمُ مِنَ الأَئِمَّةِ مَعَنَا، رَحِمَ اللهُ الجَمِيْعَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ"[4].

وقال: "قَالَ **الحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ مَنْدَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَسْأَلَةِ الإِيْمَان: صَرَّحَ **مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ** فِي كِتَاب (**الإِيْمَان**) بِأَنَّ الإِيْمَانَ مَخْلُوْقٌ، وَأَنَّ الإِقْرَارَ، وَالشَّهَادَةَ،

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين: القول البديع في نصح الشَّيخ ربيع (ص:١٣٤).

(٢) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

(٣) الأولىٰ أن يُقَال: وفوضوا كيفية الصِّفة إلىٰ الله ﷻ وحده، فرسول الله ﷺ وغيره من الخلق لا يعلمون كيفية صفاته تعالىٰ، والله أعلم. ينظر: أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين: القول البديع في نصح الشَّيخ ربيع (ص:١٤١)، حاشية (١).

(٤) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣١).

وَقِرَاءَةَ القُرْآنِ بِلَفْظِهِ مَخْلُوْقٌ. ثُمَّ قَالَ: وَهَجَرَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ عُلَمَاءُ وَقتِهِ، وَخَالفَهُ أَئِمَّةُ خُرَاسَانَ وَالعِرَاقِ.

فقال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: الخَوْضُ فِي ذَلِكَ لاَ يَجُوْزُ، وَكَذَلِكَ لاَ يَجُوْزُ أَنْ يُقَالُ: الإِيْمَانُ، وَالإِقْرَارُ، وَالقِرَاءةُ، وَالتَّلَفُّظُ بِالقُرْآنِ غَيْرَ مَخْلُوْقٍ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ العِبَادَ وَأَعمَالَهُمْ، وَالإِيْمَانُ: فَقَوْلٌ وَعمَلٌ، وَالقِرَاءةُ وَالتَّلَفُّظُ: مِنْ كَسْبِ القَارِئِ، وَالمَقْرُوءُ المَلْفُوظُ: هُوَ كَلاَمُ اللهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، وَكَذَلِكَ كَلِمَةُ الإِيْمَانِ، وَهِيَ قَوْلُ: (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ**) دَاخِلَةٌ فِي القُرْآنِ، وَمَا كَانَ مِنَ القُرْآنِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوْقٍ، وَالتَّكَلُّمُ بِهَا مِنْ فِعْلِنَا، وَأَفعَالُنَا مَخْلُوْقَةٌ. ثمَّ قال: وَلَوْ أَنَّا كلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي آحَادِ المَسَائِلِ خَطَأً مَغْفُورًا لَهُ، قُمْنَا عَلَيْهِ، وَبدَّعْنَاهُ، وَهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا لاَ ابْنَ نَصْرٍ، وَلاَ ابْنَ مَنْدَةَ، وَلاَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا، وَاللهُ هُوَ هَادِي الخَلْقِ إِلَىٰ الحَقِّ، وَهُوَ أَرحمُ الرَّاحِمِينَ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الهوَىٰ وَالفظَاظَةِ"[1].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكَثِيرٌ مِنْ مُجْتَهِدِي السَّلَفِ وَالْخَلَفِ قَدْ قَالُوا وَفَعَلُوا مَا هُوَ بِدْعَةٌ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ بِدْعَةٌ، إمَّا لِأَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ ظَنُّوهَا صَحِيحَةً، وَإِمَّا لِآيَاتٍ فَهِمُوا مِنْهَا مَا لَمْ يُرَدْ مِنْهَا، وَإِمَّا لِرَأْيٍ رَأَوْهُ وَفِي الْمَسْأَلَةِ نُصُوصٌ لَمْ تَبْلُغْهُمْ. وَإِذَا اتَّقَىٰ الرَّجُلُ رَبَّهُ مَا اسْتَطَاعَ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللهَ قَالَ: "**قَدْ فَعَلْت**"[2]"[3].

---

(١) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٩: ٤٠).

(٢) رواه مسلم (١٢٥).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ١٩١).

**بيان ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ للموقف الشَّرعي ممَّن وقع في أخطاء كبيرة وله جوانب أحسن فيها:**

ثم إنَّه ما من هؤلاء إلَّا من له في الإسلامِ مساعٍ مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرَّد علىٰ كثيرٍ من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثيرٍ من أهل السُّنَّة والدِّين ما لا يخفىٰ علىٰ من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصافٍ، لكن لمَّا التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلىٰ طردِهِ والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوالِ ما أنكره المسلمون من أهلِ العلمِ والدِّين، وصار النَّاس بسبب ذلك: منهم من يُعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يَذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل. **ثم بَيَّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّريقة السَّديدة المستقيمة في ذلك بقولهِ:**

وخيار الأمور أوساطها، وهذا ليس مخصوصًا بهؤلاءِ، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدِّين، والله تعالىٰ يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السَّيئات: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

ولا ريب أَنَّ من اجتهد في طلبِ الحق والدِّين من جهة الرَّسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك فاللهُ يغفر له خطأه، تحقيقًا للدعاءِ الذي استجابه اللهُ لنبيهِ وللمؤمنينَ حيث قالوا: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾[2].

ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يُشَنِّعُ علىٰ من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه

---

(١) سورة الحشر الآية: (١٠).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٨٦).

صوابًا بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسُّنَّة، فإنَّه يلزمه نظير ذلك، أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه، فَقَلَّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرةِ الاشتباه والاضطراب، وَبَعُدَ النَّاس عن نورِ النَّبوة وشمس الرِّسالة الذي به يحصل الهُدىٰ والصَّواب، ويزول به عن القلوب الشَّك والارتياب، ولهذا تجدُ كثيرًا من المتأخرين من علماء الطَّوائف يتناقضون في مثل هذه الأصول ولوازمها، فيقولون القول الموافق للسُّنَّةِ، وينفون ما هو من لوازمه، غير ظانِّين أَنَّه من لوازمهِ، ويقولون ما ينافيه، غير ظانِّين أَنَّه يُنافيه، ويقولون بملزومات القول المنافي ما أثبتوه من السُّنَّة، وربما كَفَّروا من خالفهم في القولِ المنافي وملزوماته، فيكون مضمون قولهم: أن يقولوا قولًا وَيُكَفِّروا من يقوله، وهذا يُوجد لكثيرٍ منهم في الحال الواحد، لعدم تفطنه لتناقض القولين، ويوجد في الحالين، لاختلاف نظره واجتهاده.

وسبب ذلك ما أوقعه أهل الإلحاد والضَّلال من الألفاظ المجملة التي يظن الظَّان أَنَّه لا يدخل فيها إلَّا الحق، وقد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم يُنَقِّبْ عنها أو يستفصل المتكلم بها - كما كان السَّلف والأئمة يفعلون - صار متناقضًا أو مبتدعًا ضالًا من حيث لا يشعر"[1].

**ثناء الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أحد الرُّواة مع وصفهِ له بالإرجاءِ:**

قال **الإمام أَحْمَدُ في إِبْرَاهِيْم بنُ طَهْمَان**: "كَانَ مُرْجِئًا، شَدِيْدًا عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ. وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، فَذُكِرَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ طَهْمَانَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا

(١) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠٢).

مِنْ عِلَّةٍ، فَجَلَسَ، وَقَالَ: لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ الصَّالِحُوْنَ فَيُتَكَأْكَأُ"[1]. فتأمل كيف وصفه الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ أحمد بالصَّلاح وَعَدَّهُ من الصَّالحين مع وصفهِ له بالإرجاءِ![2].

روى **البخاري ومسلم** عَنْ **عَمْرِو بْنِ العَاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[3].[4].

قال **الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ في **فتح الباري**: "يُشِير إِلَىٰ أَنَّه لَا يَلْزم من ردّ حكمه أو فتواه إِذا اجْتهد فَأَخْطَأَ أن يَأْثَم بذلك؛ بل إِذا بذل وَسعه أُجِرَ، فإن أَصَاب ضُوعِفَ أَجْرَهُ، لَكِن لَو أَقْدَمَ، فَحكم أَو أفتىٰ بِغَيْر علمٍ لحقه الْإِثْم"[5].

---

(١) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨١)، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن ابن المِبْرَد الحنبلي (ت٩٠٩هـ): بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، تحقيق وتعليق: الدكتورة روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م (ص: ١٥) رقم (٢٨).

(٢) أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين: القول البديع في نصح الشَّيخ ربيع (ص:١٥٠).

(٣) (**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ**) قال العلماء أجمع المسلمون علىٰ أنَّ هذا الحديث في حاكم عالم أهلٌ للحكم، فإن أصاب فله أجران؛ أجر باجتهادهِ وأجر بإصابته، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده، وفي الحديث محذوف تقديره: إذا أراد الحاكم فاجتهد، قالوا: فأمَّا من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فلا أجر له، بل هو إثم، ولا ينفذ حكمه، سواء وافق الحق أم لا، لأنَّ إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصلٍ شرعي، فهو عاص في جميع أحكامه، سواء وافق الصَّواب أم لا، وهي مردودة كلها ولا يُعذر في شيءٍ من ذلك. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٣/ ١٣٤٢).

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٧٣٥٢)، ومسلم (٤٥٨٤).

(٥) ابن حجر: فتح الباري (١٣/ ٣١٨).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "واعلم أنَّ كلَّ خلاف يقع بين الأمة إذا كان الحامل عليه حسن القصد مع بذل الجهد في التَّحري، لا يُلام عليه ولا يُضلل، لأنَّه مُجتهد. وليس من حق الإنسان أن يقدح في أخيهِ إذا خالفه في الرَّأي بمقتضي الدَّليل عنده، أمَّا من عاند وَأَصَرَ بعد قيام الحجة عليه فهذا هو الذي يُلام"(١).

**قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في "رفع الملام عن الأئمة الأعلام": التَّفرقُ في الدِّينِ أو الاختلاف فيه ينقسم إلىٰ قسمين:**

**الأوَّل:** "ما كان اختلافًا في العقائد، وأصول الأحكام الثَّابتة، وما ثبت بإجماعٍ صحيح عن خير القرون، فهذا تفرقٌ مذمومٌ بلا شك، ذلك أَنَّ دلائل تلك المسائل واضحة في الكتاب والسُّنَّة، مُجْمَعٌ عليها عند سلف الأمة، فالمخالف فيها مُتَّبع للهوىٰ مفارق لسبيلِ المؤمنين، مُقَدِمُ عقله علىٰ نصوص الوحي، وهذا قدْ ذمَّه اللهُ ورسولهُ والمؤمنون.

**الثَّاني:** ما كان خلافًا في الفروع الفقهية والمسائل التي لم تُجمع الأمة فيها علىٰ رأيٍ واحدٍ، وذلك كالاختلافِ الواقع في المذاهب الأربعة، وكثير من المسائل الحادثة التي اختلف فيها أهل العلم، فهذا النَّوع من الاختلاف غيرُ مذمومٍ إذا وقع من أهلهِ العارفين بأصولهِ، بل يُمدحُ إن كان الحاملُ عليه اتِّباعَ الحق وتقديمه، ذلك أَنَّ نصوص القرآن والسُّنَّة في بيانِ تلك الأحكام ظنيةٌ في دلالتها، فربما رَجَّح مجتهد مالم يُرَجِّحُه آخر، فالكلُّ مأجور في اجتهاده، كما قال ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ**

---

(١) ابن عثيمين: شرح رياض الصَّالحين (١/ ٤١١).

أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »[1].

وقد كان خلاف الصَّحابة، وأئمة السَّلف من هذا النَّوع، فلم يوجب فسقًا ولا بدعة، بل كان بعضهم يُجلُّ بعضًا، ويكرمه من غير أن يكون خلافهم لتفرقهم، طالما أَنَّ الحقَّ بغيةُ كلِّ واحدٍ منهم ومطلبه، لكن خلفهم خلوفٌ ادَّعَىٰ كلُّ طائفةٍ منهم التمسك برأي إمامٍ، وتعصبَ كلُّ فريق لإمامةِ، وضللَّ الطَّائفة الأخرىٰ، فتركت كلَّ طائفة بعض ما أمرت به من الحقِّ، وارتكبت بعض ما نهيت عنه، فوقعت العداوةُ والبغضاءُ، شأن أهل الكتاب من قبلنا، فللهِ الأمر من قبل ومن بعدُ. والله المستعان"[2].

**الجناية علىٰ العلماء خرق في الدِّين**، فمن ثَمَّ قَالَ **الطَّحَاوي** في (**عقيدته**): "وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ"[3].

قال **سليمان بن سالم**: قال لي **أبو سنان**: "إذا كان طالب العلم لا يتعلم أو قبل أن يتعلم مسألة في الدِّينِ، يتعلم الوقيعة في النَّاس، متىٰ يُفلح؟! وكان لا يتكلم أحدٌ في مجلسهِ بعينهِ في أحدٍ، فإذا تكلم بذلك نهاه وأسكته"[4].

---

(١) **متفق عليه**. وسبق منذ قليل.

(٢) ابن تيمية: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، تقديم وتعليق: علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة (ص: ٩٢).

(٣) ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السَّلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (ص: ٣٢٧).

(٤) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، =

وقال الإمام **أحمد بن الأذرعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "الوقيعة في أهلِ العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذَّنوب"(١).

**قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **في سياقِ كلامِهِ عن الرافضةِ والمقارنة بينهم وبين غيرهم من الفرق الضالة:** "وَمَعَ هَذَا فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَسْتَعْمِلُونَ مَعَهُمُ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ وَلَا يَظْلِمُونَهُمْ، فَإِنَّ الظُّلْمَ حَرَامٌ مُطْلَقًا كَمَا تَقَدَّمَ، بَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، بَلْ هُمْ لِلرَّافِضَةِ خَيْرٌ وَأَعْدَلُ مِنْ بَعْضِ الرَّافِضَةِ لِبَعْضٍ، وَهَذَا مِمَّا يَعْتَرِفُونَ هُمْ بِهِ، وَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ تُنْصِفُونَنَا مَا لَا يُنْصِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا"(٢).

وقال أيضًا في نفس المصدر: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الِاعْتِدَالِ عَظَّمَ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ، وَأَحَبَّهُ وَوَالَاهُ، وَأَعْطَى الْحَقَّ حَقَّهُ، فَيُعَظِّمُ الْحَقَّ، وَيَرْحَمُ الْخَلْقَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ تَكُونُ لَهُ حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ، فَيُحْمَدُ وَيُذَمُّ، وَيُثَابُ وَيُعَاقَبُ، وَيُحَبُّ مِنْ وَجْهٍ وَيُبْغَضُ مِنْ وَجْهٍ. هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ"(٣).

قال **العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ في "**الرسالة التَّبوكية**" ضمن مجموع الرَّسائل بعد أن ذكر قوله تعالىٰ: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا**

---

=
تحقيق: ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥م وآخرون، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ (٤/ ١٠٤).

(١) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم: الإعلامُ بـ حُرمةِ أهلِ العلمِ والإسلام، دارُ طيبة -مَكتبةُ الكوثر، الرياض، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م (ص: ٣١٩).

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٥/ ١٥٧: ١٥٨).

(٣) السَّابق (٤/ ٥٤٣: ٥٤٤).

﴿تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

"فأمر سبحانه بالقيام بالقسطِ، وهو العدل، وهذا أمر بالقيام بهِ في حقِّ كلِّ أحد عَدُوًّا كان أو وليًّا، وأحقُّ ما قام له العبد بالقسطِ: الأقوالُ والآراء والمذاهب؛ إذ هي متعلقة بأمرِ اللهِ وخبرِه؛ فالقيام فيها بالهوىٰ والعصبية مضادٌّ لأمرِ اللهِ، مُنافٍ لِمَا بَعَثَ به رُسُلَه، والقيامُ فيها بالقسطِ وظيفةُ خلفاءِ الرَّسول في أمتِه، وأمنائِه بين أتباعِه، ولا يستحقُّ اسمَ الأمانةِ إلَّا من قَامَ فيها بالعدلِ المحض، نصيحةً للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولعبادِهِ. أولئك هم الوارثون حقًا، لا من يجعل أصحابه ونِحْلَته ومذهبَه عِيَارًا علىٰ الحقِ وميزانًا له؛ يُعادي من خالفه ويُوالِي من وافقَه لمجرد موافقتِهِ ومخالفتِه، فأين هذا من القيامِ بالقسطِ الذي فرضَه اللهُ علىٰ كلِّ أحدٍ؟ وهو في هذا الباب أعظم فرضًا، وأكبرُ وجوبًا"[2].

وقال أيضًا في "بدائع الفوائد" بعد ذكره قول الله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3]. "فإذا كان قد نهىٰ عبادَه أن يحملهم بغضهم لأعدائهم علىٰ أن لا يعدلوا عليهم، مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم للهِ ورسولِهِ، فكيفَ يسوغُ لمن يدَّعي الإيمانَ أن يحمله بغضُه لطائفةٍ منتسبةٍ إلىٰ الرسولِ تصيبُ وتُخطئ علىٰ أن لا يعدلَ فيهم، بل

---

(١) سورة النساء الآية: (١٣٥).

(٢) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد -مكة المكرمة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ (١/ ٣٣).

(٣) سورة المائدة الآية: (٨).

يجرِّد لهم العداوة وأنواع الأذىٰ، ولعله لا يدري أنَّهم أولىٰ باللهِ ورسولهِ وما جاء به منه علمًا وعملًا ودعوةً إلىٰ اللهِ علىٰ بصيرةٍ، وصَبْرًا من قومهم علىٰ الأذىٰ في اللهِ، وإقامةً لحجةِ الله، ومعذرةً لمن خالفهم بالجهلِ، لا كمن نصبَ مقالةً صادرةً عن آراءِ الرِّجال، فَدَعَا إليها، وعاقَبَ عليها، وعادَىٰ من خالفها بالعصبيةِ وحمية الجاهلية"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِسَبَبِ بُغْضِهِمْ لِلْكَفَّارِ، وَهُوَ بُغْضٌ مَأْمُورٌ بِهِ. فَإِذَا كَانَ الْبُغْضُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ قَدْ نُهِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يَظْلِمَ مَنْ أَبْغَضَهُ، فَكَيْفَ فِي بُغْضِ مُسْلِمٍ بِتَأْوِيلٍ وَشُبْهَةٍ أَوْ بِهَوَىٰ نَفْسٍ؟ فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ لَا يَظْلِمَ، بَلْ يَعْدِلَ عَلَيْهِ[3].

وقال تعالىٰ: ﴿وإذا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا﴾ قال الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح القدير": "أيْ إذا قُلْتُمْ بِقَوْلٍ في خَبَرٍ أوْ شَهادَةٍ أوْ جَرْحٍ أوْ تَعْدِيلٍ فاعْدِلُوا فِيهِ وتَحَرَّوُا الصَّوابَ، ولا تَتَعَصَّبُوا في ذَلِكَ لِقَرِيبٍ ولا عَلىٰ بَعِيدٍ، ولا تَمِيلُوا إلىٰ صَدِيقٍ ولا عَلىٰ عَدُوٍّ، بَلْ سَوُّوا بَيْنَ النَّاسِ فَإنَّ ذَلِكَ مِنَ العَدْلِ الَّذِي أمَرَ اللهُ بِهِ"[4].

وقال العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الصَّواعقِ المرسلة: "فمن هداه اللهُ سبحانه

---

(١) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: بَدَائِعُ الفوَائِدِ، تحقيق: علي بن محمّد العمران، إشراف: بَكر بن عَبدِ اللهِ أَبُو زَيْد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٥ هـ (٢/ ٦٥٠).

(٢) سورة المائدة الآية: (٨).

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٥/ ١٢٧).

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت (٢/ ١٧٨).

إلىٰ الأخذِ بالحقِ حيث كان، ومع مَن كان، ولو كان مع مَن يُبغضه وَيُعَاديه، وَرَدَّ الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه؛ فهو ممن هَدَىٰ الله لما اختلف فيهِ من الحقِ بإذنِهِ"(١).

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُنَصِّبَ لِلْأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعُو إلَىٰ طَرِيقَتِهِ وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَيْهَا غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يُنَصِّبَ لَهُمْ كَلَامًا يُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي غَيْرَ كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، بَلْ هَذَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْبِدَعِ الَّذِينَ يُنَصِّبُونَ لَهُمْ شَخْصًا أَوْ كَلَامًا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ يُوَالُونَ بِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ الْكَلَامِ أَوْ تِلْكَ النِّسْبَةِ وَيُعَادُونَ"(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ ...أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ إلَّا قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ. فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ بِمَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ كَانَ آثِمًا... فَلَوْ تَكَلَّمَ بِحَقٍّ لَقَصَدَ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ أَوْ الْفَسَادَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَرِيَاءً. وَإِنْ تَكَلَّمَ لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَىٰ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ كَانَ مِنْ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءِ الرُّسُلِ"(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمَا مِنْ الْأَئِمَّةِ إلَّا مَنْ لَهُ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ لَا يُتَّبَعُ عَلَيْهَا، مَعَ أَنَّهُ لَا يُذَمُّ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ يُعْلَمْ قَطْعًا مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،

---

(١) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: الصَّواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٠٨هـ (٢/ ٥١٦).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

(٣) السَّابق (٢٨/ ٢٣٤: ٢٣٥).

بَلْ هِيَ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَهَذِهِ الْأُمُورُ قَدْ تَكُونُ قَطْعِيَّةً عِنْدَ بَعْضِ مَنْ بَيَّنَ اللهُ لَهُ الْحَقَّ فِيهَا؛ لَكِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِمَا بَانَ لَهُ وَلَمْ يَبِنْ لَهُمْ"[1].

وقال: "و "**الْبِدْعَةُ** " الَّتِي يُعَدُّ بِهَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَا اشْتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ كَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ"[2].

وقال **العَلَّامة الألباني** رَحِمَهُ اللهُ في "**سلسلة الهدي والنُّور**": " المبتدع هو: أولًا الذي من عادته الابتداع في الدِّين، وليس الذي يبتدع بدعة واحدة، ولو كان هو فعلًا ليس عن اجتهاد، وَإِنَّمَا عن هوىٰ، مع ذلك هذا لا يُسَمَّىٰ مبتدعًا، وأوضح مثال لتقريبِ هذا المثال: أَنَّ الحاكم الظَّالم قد يعدل في بعض أحكامهِ، فلا يُقال فيهِ عادل، كما أَنَّ العادل قد يظلم في بعضِ أحكامه، فلا يُقال فيه ظالم، وهذا يُؤكد القاعدة الإسلامية الفقهية: **إِنَّ الإنسان بما يغلب عليهِ من خيرٍ أو شرٍّ**، إذا عرفنا هذه الحقيقة، عرفنا من هو المبتدع، فيشترط إذًا في المبتدع **شرطان**: الأوَّل: أَلَّا يكون مجتهدًا، وَإِنَّمَا يكون مُتَّبِعًا للهوىٰ، الثَّانية أو الثَّاني: يكون ذلك من عادته ومن ديدنه"[3].

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللهُ: "وَلِهَذَا كَانَ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الْبِدَعِ، إحْدَاثُ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَإِلْزَامُ النَّاسِ بِهِ وَإِكْرَاهُهُمْ عَلَيْهِ، وَالْمُوَالَاةُ عَلَيْهِ وَالْمُعَادَاةُ عَلَىٰ تَرْكِهِ، كَمَا

---

(١) السَّابق (١٠/ ٣٨٣: ٣٨٤).

(٢) السَّابق (٣٥/ ٤١٤).

(٣) الألباني في سلسلة الهدي والنُّور الصَّوتية (٧٨٥).

ابْتَدَعَتْ الْخَوَارِجُ رَأْيَهَا، وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ. وَابْتَدَعَتْ الرَّافِضَةُ رَأْيَهَا، وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ، وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ وَابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ رَأْيَهَا وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي دَوْلَةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، الَّذِينَ اُمْتُحِنَ فِي زَمَنِهِمْ الْأَئِمَّةُ لِتَوَافُقِهِمْ عَلَى رَأْيِ جَهْمٍ الَّذِي مَبْدَؤُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَعَاقَبُوا مَنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا مِنْ الْمُنْكَرَاتِ الْمُحَرَّمَةِ بِالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْعِقَابَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إلَّا عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ، أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ، وَلَا يَجُوزُ إكْرَاهُ أَحَدٍ إلَّا عَلَى ذَلِكَ، وَالْإِيجَابُ وَالتَّحْرِيمُ لَيْسَ إلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. فَمَنْ عَاقَبَ عَلَى فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ بِغَيْرِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَعَ ذَلِكَ دِينًا، فَقَدْ جَعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَلِرَسُولِهِ نَظِيرًا بِمَنْزِلَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا، أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَهُوَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ**﴾. وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَا يُلْزِمُونَ النَّاسَ بِمَا يَقُولُونَهُ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ، وَلَا يُكْرِهُونَ أَحَدًا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا لِمَا اسْتَشَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَى مُوَطَّئِهِ، قَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَفَرَّقُوا فِي الْأَمْصَارِ، فَأَخَذَ كُلُّ قَوْمٍ عَمَّنْ كَانَ عِنْدَهُمْ، وَإِنَّمَا جَمَعْتُ عِلْمَ أَهْلِ بَلَدِي، أَوْ كَمَا قَالَ"[1].

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللهُ: "وَمَنْ تَعَصَّبَ لِوَاحِدٍ بِعَيْنِهِ مِنْ الْأَئِمَّةِ دُونَ الْبَاقِينَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ تَعَصَّبَ لِوَاحِدٍ بِعَيْنِهِ مِنْ الصَّحَابَةِ دُونَ الْبَاقِينَ، كَالرَّافِضِي الَّذِي

(١) ابن تيمية: الفتاوى الكبرىٰ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا -مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطَّبْعَةُ الأولىٰ، سنة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م (٦/ ٣٣٩).

يَتَعَصَّبُ لِعَلِيٍّ دُونَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ وَجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ"[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَسَائِلُ الِاجْتِهَادِ مَنْ عَمِلَ فِيهَا بِقَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُهْجَرْ وَمَنْ عَمِلَ بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ وَإِذَا كَانَ فِي الْمَسْأَلَةِ قَوْلَانِ: فَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَظْهَرُ لَهُ رُجْحَانُ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ عَمِلَ بِهِ وَإِلَّا قَلَّدَ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ فِي بَيَانِ أَرْجَحِ الْقَوْلَيْنِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ"[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَوْ قُدِّرَ أَنَّ الْعَالِمَ الْكَبِيرَ الْفَتَاوَى أَخْطَأَ فِي مِائَةِ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَيْبًا"[3].

قال **الحافظ بن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن عُرِفَ منه أَنَّه أَرَادَ بردِّه علىٰ العلماء النَّصيحة للهِ ورسولهِ فَإِنَّه يجب أن يُعامَل بالإكرامِ والاحترامِ والتعظيمِ كسائر أَئمة المسلمين الذين سبق ذكرهم وأمثالهم ومن تبعهم بإحسانٍ، ومن عرف منه أَنَّه أَرَادَ بردهِ عليهم التَّنقص والذَّم وإظهار العيب فَإِنَّه يستحق أن يُقَابل بالعقوبةِ ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرَّذائل المُحرَّمة، ويُعرف هذا القصد تارة بإقرارِ الرَّادِّ واعترافه، وتارة بقرائن تحيط بفعلهِ وقولهِ"[4].

ونقل **الحافظ** رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة "**فتح الباري**" **لابن حجر**: "قال ابن جرير: لو كان كلَّ من ادُّعِيَ عليهِ مَذْهَبٌ مِن المذاهب الرَّديئة ثبت عليه، ما ادُّعِيَ به

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٢٥٢).

(٢) السَّابق (٢٠/ ٢٠٧).

(٣) السَّابق (٢٧/ ٣٠١).

(٤) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ): الفرق بين النصيحة والتعيير، علَّق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، دار عمَّار، عمان، الطَّبْعَةُ: الثَّانية، سنة ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م (ص: ١٤).

وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنَّه ما منهم إلَّا وقد نسبه قومٌ إلىٰ ما يرغب به عنه"[1].

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمَنْ لَهُ فِي الْأُمَّةِ لِسَانُ صِدْقٍ عَامٍّ بِحَيْثُ يُثْنَىٰ عَلَيْهِ وَيُحْمَدُ فِي جَمَاهِيرِ أَجْنَاسِ الْأُمَّةِ فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَئِمَّةُ الْهُدَىٰ وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، وَغَلَطُهُمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ صَوَابِهِمْ، وَعَامَّتُهُ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي يُعْذَرُونَ فِيهَا، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْعِلْمَ وَالْعَدْلَ، فَهُمْ بُعَدَاءُ عَنْ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَعَنْ اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَىٰ الْأَنْفُس"[2].

قال **الذَّهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَنبرأُ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الهَوَىٰ وَالبِدَعِ، وَنُحبُّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا، وَنُحِبُّ العَالِمَ عَلَىٰ مَا فِيْهِ مِنَ الاتِّبَاعِ وَالصِّفَاتِ الحمِيدَة، وَلاَ نُحبُّ مَا ابْتدعَ فِيْهِ بتَأْوِيْلٍ سَائِغٍ، وَإِنَّمَا العِبرَةُ بِكَثْرَةِ المَحَاسِنِ"[3].

قال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَلَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ أَخْطَأَ أَوْ غَلِطَ تُرِكَ جُمْلَةً، وَأُهْدِرَتْ مَحَاسِنُهُ، لَفَسَدَتِ الْعُلُومُ وَالصِّنَاعَاتُ، وَالْحُكْمُ، وَتَعَطَّلَتْ مَعَالِمُهَا"[4].

وقد جعل **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ السَّير علىٰ ما ذكرنا آنفًا من قواعد الشَّرع والحكمة، فقال: "من قواعد الشَّرع والحكمة أيضًا أنَّ من كَثُرَت حسناتُه وعَظُمَت، وكان له في الإسلام تأثيرٌ ظاهر، فَإِنَّه يُحتَمَلُ لهُ مَا لَا يُحْتَمَلُ لغيرِه، ويُعفىٰ عنه مَا لَا يُعفىٰ عن غيرِه؛ فإنَّ المعصية خَبَث، **والماءُ إذا بلغ قلَّتين لم**

---

(١) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي: هدي السَّاري (مقدمة فتح الباري)، دار المعرفة – بيروت، سنة: ١٣٧٩هـ (ص: ٤٢٨).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣).

(٣) الذَّهبي: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٦).

(٤) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠).

**يحمل الخَبَث**[1]، بخلاف الماء القليل فإنَّه يحمِلُ أدنىٰ خَبَث يقعُ فيه"[2].

وبعد أن ذكر الأدلة علىٰ ما قال، قال في نفس المصدر: "وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْد النَّاس مُسْتَقرٌ فِي فطرهم: أنَّ من لَهُ ألوف من الْحَسَنَات فَإِنَّهُ يُسامح بِالسَّيِّئَةِ والسَّيئتين وَنَحْوهَا حَتَّىٰ إِنَّه ليختلج دَاعِي عُقُوبَته علىٰ إساءته وداعي شكره علىٰ إحسانه فيغلب دَاعِي الشُّكْر لداعي الْعقُوبَة كَمَا قيل:

وَإِذا الحبيب أتىٰ بِذَنبٍ وَاحِدٍ جَاءَت محاسنه بِأَلف شَفِيعِ

**وَقَالَ آخر:**

فَإِن يكن الْفِعْل الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فأفعالهُ اللَّاتِي سَرَرن كثير

وَالله سُبْحَانَهُ يوازن يَوْم الْقِيَامَة بَين حَسَنَات العَبْد وسيئاته فأيهما غلب كَانَ التَّأْثِير لَهُ فيفعل بَأهل الْحَسَنَات الْكَثِيرَة وَالَّذين آثروا محابَّه ومراضيه وغلبتهم دواعي طبعهم أحيانًا من الْعَفو والمسامحة مَالا يَفْعَله مَعَ غَيرهم"[3].

وقال **الحافظ من رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنَّ أكثر الأئمة غلطوا في مسائل يسيرة، ممَّا لا تقدح في إمامتهم وعلمهم، فكان ماذا؟! فلقد انغمر ذاك في محاسنهم وكثرة صوابهم، وحُسن مقاصدهم ونصرهم للدِّين، والانتصابُ للتَّنقيب عن زلاَّتهم

---

(١) كما في الحديث المشهور الذي أخرجه أصحاب السنن، وفي سنده خلافٌ كثير، والأشبهُ صحته مرفوعًا، وعليه جمهور المحدثين. انظر: "البدر المنير" (١/ ٤٠٤)، و"الإحسان" للحويني (٢/ ١٣). وللعلائي جزءٌ في تصحيحه والكلام عليه. هذا التخريج منقول نصًا حاشية رقم (٤) من كتاب مفتاح دار السعادة للمحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ)، راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإِصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٣٢هـ (١/ ٥٠٤).

(٢) ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّة: مفتاح دار السَّعادة (١/ ٥٠٤).

(٣) السَّابق (١/ ٥٠٤).

ليس محمودًا ولا مشكورًا، لاسيما في فضول المسائل التي لا يضر فيها الخطأ، ولا ينفع فيها كشفُ خطئهم وبيانُه"[1].

وقال **المعلَّمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وبالجملةِ فأسلافنا علىٰ ثلاث طبقات:

الأولىٰ: من وَضَحَ لَنَا اعتصامه بالكتابِ والسُّنَّة فهؤلاء الذين نتولاهم.

الثَّانية: من وَضَحَ لَنَا تَهَاونه بالكتابِ والسُّنَّة فعلينا أن نتبرأ منهم.

الثَّالثة: قومٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَر سَيِّئًا عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَعْفُو عنهم ويعذرهم، وعلينا أن نحمد الله فيما أصابوا فيه، ونبرأ مما أخطأوا فيه"[2].

وجاء في "**حلية طالب العلم**": "إِذَا ظَفَرْتَ بِوهمٍ لعالمٍ، فَلا تَفْرَح بِهِ للحطِّ منهِ، ولكن افرح بِهِ لتصحيحِ المسألة فقط، فإنَّ المُنصِفُ يَكَادُ يَجْزِمُ بِأَنَّه مَا مِنْ إِمامٍ إِلَّا وَلَهُ أَغْلَاط وَأَوهام لا سيما المكثرين منهم. وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص، إِلَّا متعالم "**يريد أن يطب زُكامًا فيحدث به جذامًا**"[3].

وقال **الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ في "**فتح الباري**" في فقه حديث: "**ما خلت**

---

(١) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ): الرَّد على من اتبع غير المذاهب الأربعة ضمن مجموع رسائل ابن رجب، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطَّبْعَةُ:جـ ١، ٢/ الثَّانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، جـ٣/ الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، جـ٤/ الأولىٰ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٢/ ٦٣٧).

(٢) العلَّامة الشَّيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، قام علىٰ طبعه وتحقيقه والتعليق عليه محمد ناصر الألباني، طُبِعَ علىٰ نفقة الشَّيخ محمد نصيف وشركاه (٣/ ٤٢٧).

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت١٤٢٩هـ): حلية طالب العلم (وهو مطبوع ضمن كتاب المجموعة العلمية)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤١٦هـ (ص: ١٩٩).

القصواء": "جَوَازُ الْحُكْمِ عَلَىٰ الشَّيْءِ بِمَا عُرِفَ مِنْ عَادَتِهِ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَإِذَا وَقَعَ مِنْ شَخْصٍ هَفْوَةٌ لَا يُعْهَدُ مِنْهُ مِثْلُهَا لَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَيُرَدُّ عَلَىٰ مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهَا، وَمَعْذِرَةُ مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهَا مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ صُورَةَ حَالِهِ، لِأَنَّ خَلَاءَ الْقَصْوَاءِ لَوْلَا خَارِقُ الْعَادَةِ لَكَانَ مَا ظَنَّهُ الصَّحَابَةُ صَحِيحًا، وَلم يُعَاتِبهم النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ، لِعُذْرِهِمْ فِي ظَنِّهِمْ"[1].

قال الشَّيخ **أبي نصر الإمام** في «**الإبانة**»: "**قلتُ**: واستدل بهذا الحديث في الدّفاع عَمَّن تكلم فيه بما ليس فيه، فإذا كان النَّبي ﷺ دافع عن ناقةٍ، فمن باب أولىٰ أن يُدافع عن أهلِ العلم والسُّنَّة. **وخلاصة هذه المسألة**: إقَامة العدل مع أصحابِ الهفوات والزَّلات ولا إقامة له إلَّا باعتبار الأغلب منهم، فإذا كان أغلب أقوال الرَّجل وأفعاله ومعتقده موافقه للحقِ والسَّير عليه، فلا يجوز أبدًا أن نجعل هفواته وزلَّاته أَصْلًا وعمدة للحكمِ عليهِ بالانحرافِ، بل يحسن به الظَّن، ولا يُتابع فيما أخطأ فيهِ، إلَّا أن يُصرَّ علىٰ زلَّاته وهفواته، فلأهلِ العلم الرَّاسخين الحكم عليه بما يستحق، ومن حاد عن إقامةِ هذا العدل ذهب يبحث عن زلَّات وهفوات عباد الله ليكثرها، متوصلًا بذلك إلىٰ الحكم علىٰ أصحابها بالانحرافِ عن الحقِ"[2].

قال **الإمام النَّووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أَنَّه ينبغي لكلِّ مكلَّف أن يحفظَ لسانَه عن جميع الكلام، إلَّا كلامًا تظهرُ المصلحة فيه، ومتىٰ استوىٰ الكلامُ وتركُه في

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٥/ ٣٣٥: ٣٣٦).

(٢) أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام: الإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة (ص:١٤٥).

المصلحة، فالسُّنَّة الإمساك عنه، لأنَّه قد ينجرُّ الكلام المباح إلىٰ حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسَّلامة لا يعدلها شيء"[1].

وقال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَإِذَا كَانَ قَوْمٌ عَلَىٰ بِدْعَةٍ أَوْ فُجُورٍ وَلَوْ نُهُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَعَ بِسَبَبِ ذَلِكَ شَرٌّ أَعْظَمُ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُمْكِنْ مَنْعُهُمْ مِنْهُ، وَلَمْ يَحْصُلْ بِالنَّهْيِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، لَمْ يُنْهَوْا عَنْهُ"[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَإِذَا قَوِيَ أَهْلُ الْفُجُورِ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ لَهُمْ إصْغَاءٌ إلَىٰ الْبِرِّ؛ بَلْ يُؤْذُونَ النَّاهِيَ لِغَلَبَةِ الشُّحِّ وَالْهَوَىٰ وَالْعُجْبِ سَقَطَ التَّغْيِيرُ بِاللِّسَانِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَبَقِيَ بِالْقَلْبِ"[3].

قال **ابن حبان** رَحِمَهُ اللَّهُ: "الواجب علىٰ العاقل لزوم السَّلامة بترك التجسس عَن عيوب النَّاس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإنَّ من اشتغل بعيوبه عَن عيوب غيره أراح بدنه ولم يُتعب قلبه، فكلمَّا اطَّلع علىٰ عيبٍ لنفسه هان عَلَيْهِ مَا يرىٰ مثله من أخيه، وَإِنَّ من اشتغل بعيوب النَّاس عَن عيوب نفسه عمىٰ قلبه وتعب بدنه وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ترك عيوب نفسه، وَإِنَّ من أعجز النَّاس من عاب النَّاس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، من عاب النَّاس عابوه"[4].

قال **الدِّينوري** رَحِمَهُ اللَّهُ: "عَنْ **مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ**؛ قَالَ: "التَّقِيُّ عَنِ الْخَطَّائِينَ

---

(١) النَّووي: الأذكار (ص: ٣٣٢).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٤٧٢).

(٣) وتكملة الكلام: " و"الشُّحُّ " هُوَ شِدَّةُ الْحِرْصِ الَّتِي تُوجِبُ الْبُخْلَ. وَالظُّلْمَ وَهُوَ مَنْعُ الْخَيْرِ وَكَرَاهَتُهُ، و"الْهَوَى الْمُتَّبَعُ" فِي إرَادَةِ الشَّرِّ وَمَحَبَّتِهِ، و"الْإِعْجَابُ بِالرَّأْيِ" فِي الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، فَذَكَرَ فَسَادَ الْقُوَىٰ الثَّلَاثِ الَّتِي هِيَ الْعِلْمُ وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ". ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٤٧٩: ٤٨٠).

(٤) ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٥).

مَشْغُولٌ، وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَطَايَا أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِخَطَايَا النَّاس"[1]. وهو أثرٌ ثابت عنه.

قال **بكر بن عبدالله** رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا رأيتُم الرَّجل مُوكلًا بعيوبِ النَّاس نَاسِيًا لِعَيبِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّه قَدْ مُكِرَ بِهِ"[2].

قَالَ **يَحْيَىٰ بن معين** رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَا رَأَيْتُ عَلَىٰ رَجُلٍ خَطَأً، إِلاَّ سَتَرتُهُ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُزَيِّنَ أَمرَهُ، وَمَا اسْتَقبَلتُ رَجُلًا فِي وَجْهِهِ بِأَمرٍ يَكرَهُهُ، وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَإِنْ قَبِلَ ذَلِكَ، وَإِلَّاَ تَرَكتُهُ"[3].

روىٰ **البيهقي** عن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّه قال: "اعلموا -رحمكم الله تعالىٰ- أَنَّ الرَّجل من أهلِ العلم إذا مَنَحه اللهُ شيئًا مِنَ العلمِ، وَحَرَمَهُ قرناؤه وأشكاله، حَسَدوه فَرَموه بِمَا لَيس فيهِ، وَبئست الخصلة في أهلِ العلم"[4].

قال **ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وما زالت الفضائل إذا ظهرت تُحسد"[5].

قال **الإمام الذَّهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة **أبي نعيم** صاحب "**الحلية**": "وكلام

---

(١) أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت٣٣٣هـ): المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، سنة، ١٤١٩هـ (٥/ ١٦٦) رقم (١٩٩٢).

(٢) ابن الجوزي: صفة الصَّفوة، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، الطَّبْعَةُ الثَّانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م (٣/ ٢٤٩).

(٣) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٣).

(٤) الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٨) حاشية رقم (١).

(٥) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ): لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة والنَّشر، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م (ص: ٥٧).

الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أَنَّه لعداوةٍ أو لمذهبٍ أو لحسدٍ، ما ينجو منه إِلَّا من عَصم اللهُ، وما عَلِمْتُ أَنَّ عصرًا من الأعصارِ سَلِمَ أَهله من ذلك سوىٰ الأنبياء والصَّديقين، ولو شئت لَسَرَدّتُ من ذلك كراريس، اللهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]. [2].

❁❁❁

(١) سورة الحشر الآية: (١٠).

(٢) الذَّهَبي: ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت – لبنان، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، سنة، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م (١/ ١١١).

# الخاتمة

## الخَـاتِـمَـةُ

نَنْتَهِي مِن حَيْثُ انْتَهَىٰ **شوقي** رَحِمَهُ اللَّهُ بقولهِ: "**وههُنا نَتَعَلَّمُ أَنَّ حُسْنَ الثَّنَاء، مرهونٌ بإحسانِ البِنَاء**"[1]. إحسان البناء الخاص بشخصيتك من اعتقادات ومعاملات وآداب وأخلاق في معاملةِ الآخرين.

**إِحْسَانُ البِنَاء:** بإحسانِ علاقاتك بأبيك وأمك، وأخيك وأختك، وزوجك وابنتك وابنك، وجارك وأهلك، وصديقك وعدوك، في غناك وفقرك، وقوتك وضعفك، ونشاطك ومكرهك، وسرِّك وعلانيتك، كلَّ ذلك لِيُوْضَع لك القبول في السَّماءِ وَيُثْنَىٰ عليك في حياتك وبعد موتك.

**إِحْسَانُ البِنَاء:** يسبقه تخطيط وتدقيق، وسيرٌ بإخلاصٍ في طريقِ الحياة العميق، وعملٌ دؤوب يتسم بالصَّبرِ والمجاهدة والمتابعة وحسن اختيار الصَّديق، الأمين النَّاصح الرَّفيق، والابتعاد عن رفاق السُّوء قُطَّاع الطَّريق.

**وفي خلاصةِ هذه الدِّارسةِ (تَذْكِيرُ النُّبَلَاءِ بِفَضْلِ الثَّنَاءِ) نخرج بعدَّةِ نتائج**

---

(١) نُسِبَت هذه الجملة لأحمد شوقي في خاطرةٍ له عن الأهرماتِ قال فيها: "ما أنت يا أهرام؟ أشواهق أجرام أم شواهد إجرام؟ وأوضاع معالم أم أشباح مظالم؟ وجلائل أبنية أم دلائل أنانية واستئثار؟ وتمثال منصّب من الجبرية أم مثال صاح من العبقرية؟يا كليل البصر عن مواعظ العبر، قليل من البصر بمواقع الآيات الكُبر: قف ناج الأحجار الدوارس، وتعلم فإنَّ الآثار مدارس، هذه الحجارة حجور لعب عليها الأوَل، وهذه الصفاح صفائح ممالك ودول، وذلك الركام من المال غبار أحداج وأحمال، من كل ركب ألم ثم مال. في هذا الحرم درج عيسىٰ صبيًا، ووقعت بين يديه الكواكب جثيًا، وههنا جلال الخلق وثبوته، ونفاذ العقل وجبروته، ومطالع الفن وبيوته، ومن هنا نتعلم **أنَّ حسن الثَّناء مرهون بإحسان البناء**". يُنظَر: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (ت١٣٥١هـ): أسواق الذَّهب، مطبعة الهلال – مصر، سنة، ١٩٣٢م (ص:٧٠).

**وتوصيات منها:**

١. لا يجوز للإنسانِ في الجملةِ أن يَمدح نفسه وأن يُزَكِّيها من غيرِ حاجةٍ، وأن يكل سرائر القلوب إِلىٰ علاَّم الغيوب.

٢. ذكرَ محاسن النَّفس ضربان: مذمومٌ، ومحبوبٌ، فالمذمومُ أن يذكرَه للافتخارِ وإظهار الارتفاع والتميُّز علىٰ الأقران، والمحبوبُ أن يكونَ فيه مصلحة دينية.

٣. مدح النَّفس أو الغير، غير ممنوع منه مطلقًا، وإنَّما يرجع النَّهي أو التَّحريم في ذلك إلىٰ القصد والنِّية، فإن كان قصده الخير أو النَّفع، أو التَّحدث بنعمِ اللهِ عليهِ، فذلك جائز، وأمَّا إذا كان قصده العكس من ذلك، كأن يكون هذا الثَّنَاء والمدح علىٰ سبيل التَّفاخر والتَّعالي علىٰ خلقِ اللهِ، أو التَّوصل إلىٰ شيءٍ حرَّمهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ فهذا لا يجوز.

٤. الْمَدْح يشْتَمل علىٰ آفتين: **إِحْدَاهمَا** تتَعَلَّق بالمادحِ وَهِي الْكَذِب الَّذِي لَا يكَاد يتَخَلَّص مِنْهُ. **وَالثَّانِية**: تتَعَلَّق بالممدوحِ وَهِي تحريكه إِلَىٰ التَّكبر بفضائله.

٥. حديث: «**إِذا رَأَيْتُمْ المدَّاحِينَ**»، أَي الَّذين صناعتهم الثَّنَاء علىٰ النَّاس «**فاحثوا فِي وُجُوههم التُّرَاب**»، أعطوهم شَيْئًا قَلِيلًا يشبه التُّرَاب لخستِهِ، أَو اقْطَعُوا ألسنتهم بِالْمَالِ، وَإِرَادَة الْحَقِيقَة فِي حَيِّز الْبُعْد.

٦. يَجُوزُ لِلرَّجُلِ مَدَحَ نَفْسَهُ، ذَلِكَ إِذَا جُهِل أَمْرُهُ، لِلْحَاجَةِ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ خَاطِبًا إِلَىٰ قَوْمٍ فَيُرَغِّبَهُمْ فِي نِكَاحِهِ، أَوْ فَيُعَرِّفَ أَهْلِيَّتَهُ الْوِلَايَاتِ الشَّرْعِيَّةَ وَالْمَنَاصِبَ الدِّينِيَّةَ لِيَقُومَ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنًا أَوْ كِفَايَةً.

٧. أحوال الثَّنَاء علىٰ النَّفس **أربع**: أن يريدُ بذلك التَّحدث بنعمةِ اللهِ عليهِ بما

حباهُ من الإيمانِ والثَّباتِ، **وأن** يريدُ بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه علىٰ مثل ما كان عليهِ، وهاتان الحالتان محمودتان؛ لما يشتملان عليهِ من النِّيَّة الطَّيبة، **الثَّالث**: أن يريدُ بذلك الفخر والتَّباهي والإدلال علىٰ اللهِ ﷻ بما عليهِ من الإيمانِ والثَّباتِ، وهذا غير جائز، **الرَّابع**: أن يريدُ بذلك مجرد الخبر عن نفسِهِ بما هو عليهِ من الإيمانِ والثَّبات، وهذا جائز.

٨. الثَّنَاءَ عَلَىٰ الرَّجُلِ فِي وَجْهِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ لَا يُكْرَهُ وَإِنَّمَا يُكْرَهُ الْإِطْنَابُ فِي ذَلِكَ.

٩. في صحيح سنّة نبيِّنا ﷺ حمد المدحَ تارَّة وذم المدح تارة أخرىٰ، وكله حق؛ فالمدح الممدوح هو الذي في محلِهِ، والمدح المذموم هو الذي في غير محلِهِ أو يُؤَدِّي إلىٰ مفسدةٍ.

١٠. أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُكَافَأَةِ مَنْ آتَىٰ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا، وَالْمُكَافَأَةُ مُقَابَلَةٌ بِمِثْلِ مَا أُتِيَ بِهِ إِلَيْكَ؛ لِأَنَّ الْمُكَافَأَةَ هِيَ الْمُسَاوَاةُ.

١١. ضوابط المدح والثَّنَاء المباح، أن يلتزم المادح بالصَّدق، والتَّوسط في المدحِ وعدم المبالغة ومجاوزة الحد، والأمن من فتنة الممدوح وحدوث الكبر والاستعلاء والفتور عن العملِ الصَّالح، وتقييد الثَّنَاء والمدح بقوله: أحسبه كذلك ولا أُزَكِّي علىٰ اللهِ أحدًا، تأدبًا مع اللهِ في ردِّ علم السَّرائر إليهِ، وألَّا يكون هذا المدح في شأن أحد من أهل البدع والأهواء، أو أهل الفسق والفجور؛ لأنَّ ذلك فيه إقرار لهم وما هم واقعون فيه من المخالفات الشَّرعية.

١٢. الله ﷻ المستحق للثَّنَاءِ كلهِ، ولا يُثْنَىٰ علىٰ أحدٍ كما يُثْنَىٰ عليهِ سبحانه؛ فله الحمدُ كلِّهِ، وله الثَّنَاءُ كلِّهِ، ولا نُحْصِي ثناءً عليهِ كما أثنىٰ هو علىٰ نفسهِ.

١٣. كان النَّبي ﷺ كثير الثَّنَاء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَّمَ أمته كيف يُثنون علىٰ ربهم سبحانه.

١٤. أعظم سورة في القرآنِ سورة **الفاتحة** التي افتتحت بالثَّنَاءِ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وأعظم آية في كتابِ اللهِ تَعَالَىٰ هي آية **الكرسي** وكلَّها ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

١٥. كلّ **تسبيح** في القرآن فهو ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَكَرَرَ التسبيح في القرآنِ في **سبعةٍ وثمانين** موضعًا، وافتتحت به **سبعِ سورٍ**.

١٦. كل **تبريك** في القرآنِ فهو ثناء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وهي كلمة تعظيم وثناء لم تُسْتَعْمَلُ إلَّا للهِ وحده، وجاء التبريك في القرآن في **ثمانيةِ** مواضع، وافتتحت به سورتي الفرقان والملك.

١٧. ينبغي علىٰ المؤمنِ أن يُدمن قراءة القرآن؛ ليكثر من الثَّنَاءِ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وينبغي لقارئ القرآن أن يقف مليًا عند آيات الثَّنَاء علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، ويتدبرها ليتأثر بها؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ ما ملأ القرآن بالثَّنَاءِ عليهِ سبحانه إلَّا لِيُصْلِح به قلوب العباد وَيُثَبِّتُهَا علىٰ دينهِ.

١٨. الذّكر الحسن والثَّنَاء الجميل يُقَسَّمُ في السَّماءِ، لا تُنَقِّبُ عنه في الأرضِ.

١٩. يَتَعَدَّىٰ الذِّكْر الحسن مدَّة حياة الإنسان إلىٰ ما بعد مماتهِ.

٢٠. لا غبار أن يرغب الإنسان في الثَّنَاء لأنَّه من مِلَّةِ إبراهيم خليل الرَّحْمن، لأنَّ الله تَعَالَىٰ أخبر أنَّه سألهُ ذلكَ، وما سألهُ إلَّا بعد أن أَذِنَ له، وما أَذِنَ له إلَّا بعد أن عَلِمَ أنَّه الخُلق الأسنىٰ والاختيار الأعلىٰ، والطَّريقة المُثْلَىٰ.

٢١. لا تُصَدِّقُ أنَّ هناك نفسًا لا تُؤلمها الكلمات.

٢٢. مهما حاولت أن تُغَيِّبَ محسانك فسيظهرها الله، لا تهتم بستويق ذاتك.

٢٣. أثنىٰ النَّبيّ ﷺ علىٰ القرون الثَّلاثة الخيِّرة في قولِهِ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». فهؤلاءِ بشهادةِ رسول الله ﷺ خير القرون، ولا شكّ أنَّ هديهم وطريقتهم وسنتهم هي خير الهدي وخير السَّنن وخير الطَّرائق.

٢٤. معنىٰ "يُوضع له القبول في الأرضِ"؛ هو الرَّضا والحب فى القلوب، أي تقبله وتميل إليهِ، ولا تنفر عنه.

٢٥. إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

٢٦. إنَّ المُسلِمين إذا شَهِدوا بالخيرِ للميِّتِ، فقد أثْبَتوا له الحقَّ بالجنَّةِ. وفيه: التَّنبيهُ علىٰ الإحسانِ إلىٰ النَّاسِ، وإظْهارِ الخيرِ للمُسلِمين وعدَمِ إظْهارِ السُّوءِ.

٢٧. من ظهر خيره، ستر الله سُوءه! فأطل عمرك، وليكن لك أكثر من عمرٍ.

٢٨. الشَّهادة من المؤمنين بالخيرِ عاجل البشرىٰ، ومقدمة الفلاح، ومبتدأ السَّعادة، ودليل الرَّيادة، ومنطلق الطَّمأنينة في الدَّنيا، وفي الأخرة الزَّيادة.

٢٩. حَمْدُ الرِّجَالِ عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا وَافَقُوا فِيهِ دِينَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَشَرْعَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ؛ إِذْ الْحَمْدُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ الْحَسَنَاتِ.

٣٠. لَيْسَ الْمَقْصُودُ إطْلَاقُ مَدْحِ شَخْصٍ أَوْ طَائِفَةٍ، وَلَا إطْلَاقُ ذَمِّ ذَلِكَ، فَإِنَّ الصَّوَابَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُ قَدْ يَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ

وَالطَّائِفَةِ الْوَاحِدَةِ مَا يُحْمَدُ بِهِ مِنْ الْحَسَنَاتِ وَمَا يُذَمُّ بِهِ مِنْ السَّيِّئَاتِ.

٣١. لا أحد يسلم من النَّاسِ، فلا تطمع في السَّلامةِ منهم، لأنَّ النَّاسَ لا يَرضون عن خالقهم، فكيف يَرضون عن مخلوقٍ مثلهم؟!

٣٢. عَاشِرُوا النَّاسَ بخلقٍ حَسَنٍ، إِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ، وَإِنْ مِتُّمْ تَرَحَّمُوا عَلَيْكُمْ.

٣٣. يَنْبَغِي عَلَىٰ المُسْلِمِ أَنْ يُوَطِنُ نَفْسَهُ فِي التَّعَامل مَع الآخرين بِفِعْلِ الخَيرِ وَنَشْرِهِ، وَكَفّ الأَذَىٰ وَالدَّفعِ بِالَّتِي هي أَحْسَن.

٣٤. كُلُ مَا كَانَ فِي القُرآنِ مِنْ مَدْحٍ للعبدِ فَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ العِلمِ، وَكُلُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ذَمٍّ فَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ الْجَهْلِ.

٣٥. عَجَبًا لِمَن قِيلَ فيهِ الخير وليس فيهِ كيف يَفْرَحُ! ولِمَن قِيلَ فيهِ الشَّرّ وليس فيهِ كيف يَغْضَبُ؟!

٣٦. من أحبَّ الثَّنَاء فَلْيَصْبِر عَلىٰ بذل العَطَاء وَليوطِّن نفسهُ علىٰ الحقوقِ المُرّةِ عَلىٰ احتمال المؤونةِ.

٣٧. مَا أَقبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلىٰ اللهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللهُ بِقُلوبِ المُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَرْزُقَهُ مَوَدَّتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ.

٣٨. اعتبر منزلتك من اللهِ بمنزلتك من النَّاسِ، واعلم أَنَّ مَالَكَ عند اللهِ مِثْلَ مَا للنَّاسِ عندك.

٣٩. إِنَّما أنتم أخبار فَطَيِّبُوا أخباركم.

٤٠. حسن الثَّنَاء إتيان الجميل، وترك القبيح.

٤١. مِنْ أَهَمّ أَسْبَاب جَلْبِ ثَنَاءِ النَّاسِ؛ حُسْنَ الْخُلُقِ، فَفِيهِ جِمَاعَ الخَيْرِ كُلِّه.

٤٢. من أسباب جلب الثَّنَاء؛ الحلم وترك الغضب.

٤٣. لا تخلِطْ مزاجكَ السَّيئ بكلماتٍ سيِّئةٍ؛ فيتحسَّن المزاج وتبقىٰ الكلمات المؤلمة في قلوبِ أصحابها.

٤٤. الْكَلِمَاتُ نُورٌ وَلَكِن بَعْضَ الْكَلِمَات قُبُورٌ، فَرَاقَب لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ تَدْفِنَ أَحَدًا فِي قَبْرِ كَلِمَاتِكَ.

٤٥. للمدحِ والثَّنَاء منزلة في قلوبِ الجميع، فلا شك أنَّ الصُّدور تنشرح به، وتستقبله النُّفوس براحةٍ وطمأنينة.

٤٦. التُّرَاثُ وَالأدَبُ الإِسْلَامِيُّ فِيهِ الْكَثِيرَ مِنَ الشِّعْرِ فِي الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ لِأَهَمِّيَّتِهِ فِي حَيَاةِ الشُّعَراءِ وَالأُدَبَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأُمَراءِ وَالْعَوَامِ وَالْعُلَمَاءِ.

٤٧. الْعِبْرَةُ بِطَرِيقَةِ أَهَّل الْاِسْتِقَامَةُ لَا بِهَفْوَاتِهِمْ وَزَلَّاتِهِمْ.

٤٨. ضَرُورَةُ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الْإِيجَابِيَّاتِ وَالسَّلْبِيَّاتِ.

٤٩. إِذَا غَلَبَتْ مَحَاسِنُ الرَّجُلِ عَلَىٰ مَسَاوِئِهِ، لَمْ تُذْكَرِ المَسَاوِئُ، وَإِذَا غَلَبَتِ المَسَاوِئُ عَنِ المَحَاسِنِ، لَمْ تُذْكَرِ المَحَاسِنُ.

٥٠. إذا قُلْتُمْ بِقَوْلٍ فِي خَبَرٍ أَوْ شَهادَةٍ أَوْ جَرْحٍ أَوْ تَعْدِيلٍ فاعْدِلُوا فِيهِ وتَحَرَّوُا الصَّوابَ، ولا تَتَعَصَّبُوا فِي ذَلِكَ لِقَرِيبٍ ولا عَلَىٰ بَعِيدٍ، ولا تَمِيلُوا إِلَىٰ صَدِيقٍ ولا عَلَىٰ عَدُوٍّ، بَلْ سَوُّوا بَيْنَ النّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ العَدْلِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ.

وَأَخِيرًا: أُوْصِيكُمْ: أهتَم بِسُمْعَتِكَ كَثِيرًا لأَنَّها سَتَعِيشُ أَكْثَر مِنْكَ.

وأختم بما ختم به بعض أهل العلم[1]:

لَـقَـدْ أتْـمَـمْتُـه حَـمـدًا لِـربِّى عَلَىٰ مَـا قَـدْ أعَـانَ عَلىٰ الكتَابِ
لِـيَـدعُـو اللهَ بـعـدِي مَـن رَآهُ بِـمَـغـفِـرتـي وإجْـزالِ الـثَّـوابِ
فَـقَـدْ أيـقَـنـتُ أَنَّ الكُتْـبَ تَـبقَىٰ وتَـبْلَـىٰ صُـورَتِي تَـحـتَ الـتُّـرابِ
وَصَـلَّىٰ اللهُ ربُّ الـخَـلْـقِ طُـرًّا عَـلىٰ المَـبعُوثِ في خَيْـرِ الصِّحَـابِ

❁❁❁

(١) محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسىٰ (ت٥٨١هـ): المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرىٰ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشَّريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطّباعة والنّشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السُّعودية، الطَّبْعَةُ: الأولىٰ، جـ ١ سنة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، جـ ٢، ٣ سنة، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (٣/ ٥٣٨).

## المحتويات


| م | المَـوضُـــــوع | الصَّفْحَة |
|---|---|---|
| ١ | المُقَدِّمة: | ٥ |
| ٢ | التَّمْهِيدُ، وَفِيهِ: | ١٣ |
| ٣ | أولًا: تَعْرِيفُ الثَّنَاء | ١٤ |
| ٤ | ثانيًا: فَوَائِدُ مُهِمَّةٍ | ١٦ |
| ٥ | الفصل الأوَّل: ضَوَابِطُ الثَّنَاءِ الْمَشْرُوعِ وَالْمَمْنُوعِ، وَفِيهِ: | ٢٣ |
| ٦ | حُكْمُ الْمَدْحِ | ٢٤ |
| ٧ | مَرَاتِبُ النَّاس فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ | ٢٥ |
| ٨ | آفات الْمَدْح | ٢٧ |
| ٩ | النَّهْي عَنِ الْمَدْحِ إِذَا كَانَ فِيهِ افراط وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَةً | ٣٠ |
| ١٠ | النَّهْي عَنْ مُبَالَغَةِ الْحَدِّ فِي الثَّنَاءِ | ٣٣ |
| ١١ | جَوَازُ مَدَحَ الرَّجُلُ نَفْسُهُ إِذَا جُهِلَ أَمْرُهُ لِلْحَاجَةِ | ٣٥ |
| ١٢ | أَحوَالُ الثَّنَاءِ عَلَىٰ النَّفْسِ | ٣٨ |
| ١٣ | مَنْ أَثْنَىٰ عَلَىٰ أَخِيهِ بِمَا يَعْلَمُ | ٣٩ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٤ | أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَدْحِ فِي الْوَجْهِ | ٤٠ |
| ١٥ | الشُّكرُ وَالثَّنَاءُ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ | ٤٢ |
| ١٦ | ضَوَابِطُ الثَّنَاءِ الْمُبَاحِ | ٤٥ |
| ١٧ | عِلَاجُ حبِّ الْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ | ٤٦ |
| ١٨ | الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّياء وَحُبَّ الْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ | ٤٨ |
| ١٩ | بَيَانُ السَّبَبِ فِي حُبِّ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، وَبِغَضِّ الذَّمِّ | ٥٠ |
| ٢٠ | **الفصل الثَّاني: فَضْلُ الثَّنَاءِ من القرآنِ والسّنّة وَفِيهِ:** | ٥٣ |
| ٢١ | **أولًا**: ثَنَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ | ٥٤ |
| ٢٢ | **ثَانِيًا**: أَمْنِيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ تَحْصِيل جَمِيلَ الثَّنَاءِ | ٦٤ |
| ٢٣ | **ثَالِثًا**: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ سَنَةِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ | ٧٦ |
| ٢٤ | **الفصل الثَّالث: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ خِلَالِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ:** | ٩٥ |
| ٢٥ | مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَقْوَالِ فِي مَضْمُونِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ | ١٠٦ |
| ٢٦ | **الفصل الرَّابع: تَذْكِيرُ النُّبلاء بِأَسْبَابِ جَلْبِ الثَّنَاءِ وَفِيهِ:** | ١١٩ |
| ٢٧ | **أولًا**: حُسْنَ الْخُلُقِ | ١٢٠ |
| ٢٨ | **ثَانِيًا**: الْحُلْمُ وَتَرْكُ الْغَضَبِ | ١٢٨ |
| ٢٩ | **الفصل الخامس: فَضْلُ الثَّنَاء مِنْ خِلَالِ القَصَص وَفِيهِ:** | ١٤١ |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٠ | اشتقتُ إلىٰ أن أتزوَّج | ١٤٤ |
| ٣١ | ثَنَاءٌ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْخَيْرَات | ١٥٠ |
| ٣٢ | حلمٌ يأتي بجميلِ الثَّنَاءِ | ١٥١ |
| ٣٣ | حُسْنُ الثَّنَاءِ مِن الأَدَب | ١٥٤ |
| ٣٤ | مُكَافَأَةُ الثَّنَاءِ بِحِيلَةٍ وَذَكَاءٍ | ١٥٤ |
| ٣٥ | الْإِنْصَافُ فِي الثَّنَاءِ | ١٥٥ |
| ٣٦ | الْبَذْلُ وَالْعَطَاءُ يَجْلِبُ الشُّكْرَ وَالثَّنَاء | ١٥٥ |
| ٣٧ | حُسْنُ الثَّنَاءِ يَأْتِي بِالسَّخَاءِ | ١٥٧ |
| ٣٨ | كَثْرَةُ الْعَطَاءِ لا تَفِي بِجَمِيلِ الثَّنَاءِ | ١٥٨ |
| ٣٩ | حُسْنُ صناعة الثَّنَاءِ عند الشُّعراءِ | ١٥٨ |
| ٤٠ | الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ فِي الثَّنَاءِ يَأْتِي بِجَمِيلِ الْجَزَاءِ | ١٥٩ |
| ٤١ | التَّلَطُّفُ فِي الثَّنَاءِ بِحَضْرَةِ النُّبَلَاءِ | ١٦١ |
| ٤٢ | الْخَلِيفَةُ وَحَامِلُ الْجَرَّةِ | ١٦١ |
| ٤٣ | ثَمَرَةُ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ وِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ النَّجَاةَ مِنَ الْمَهَالِكِ | ١٦٢ |
| ٤٤ | **الفصل السَّادس: فَضْلُ الثَّنَاءِ مِنْ خِلَالِ شعر الشُّعَرَاء:** | ١٦٥ |
| ٤٥ | مُنَاظَرَةٌ شَعْرِيَّةٌ فِي الْقَدْحِ وَالذَّمِّ | ١٦٧ |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٦ | الفصل السَّابع: مَنْ خَصَائِص وَأُصُول وَقَوَاعِدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْجَرحِ وَالتَّعْدِيلِ: | ١٧٥ |
| ٤٧ | تَأْصِيلُ قَاعِدَةُ الْمُوَازَنَاتِ وَحَمْلِ الْمُجْمَلِ عَلَىٰ الْمُفَصَّل: (الْعِبْرَةُ بِطَرِيقَةِ أَهل الاِسْتِقَامَةُ لَا بِهَفَوَاتِهِمْ وَزَلَّاتِهِمْ) | ١٧٦ |
| ٤٨ | دَعْوَةٌ إِلَىٰ الْمِنْهَجَ الأَفْيَح الْوَاسِعَ | ١٧٧ |
| ٤٩ | قَاعِدَةُ نَصْحِحْ وَلَا نُهَدِمُ | ١٧٩ |
| ٥٠ | بَيَانُ اِبْنِ تِيمِيَّة لِلْمَوْقِفِ الشَّرعِيِّ مِمَّنْ وَقَعَ فِي أَخْطَاءٍ | ١٨٧ |
| ٥١ | ثَنَاءُ الْإِمَامِ أَحَمِدَ عَلَىٰ أَحَدِ الرُّوَاةِ مَعَ وَصْفِهِ لَهُ بِالْإِرْجَاءِ | ١٨٨ |
| ٥٢ | التَّفَرُّقُ فِي الدِّيْنِ أَوِ الْاِخْتِلَافُ فِيهِ | ١٩٠ |
| ٥٣ | الْخَـاتِمَـةُ: | ٢٠٦ |
| ٥٤ | الْمُحْتَوَيَاتُ: | ٢١٥ |
| ٥٥ | التَّعْرِيفُ بِالْمُؤَلِّفِ: | ٢١٩ |
| ٥٦ | كَتَبٌ لِلْمُؤَلِّفِ: | ٢٢٠ |

## التعريف بالمؤلف:

- الدكتور/ **نجيب عبدالفتاح جيلاني محمد**.
- مواليد / محافظة الشَّرقية – مركز الحسينية – مصر – سنة ١٩٧٥م.
- ليسانس التاريخ والحضارة – تخصص الحضارة الإسلامية– كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بالقاهرة – سنة ٢٠٠٠م.
- ماجستير الحضارة الإسلامية – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بالقاهرة – سنة ٢٠٠٨م – (**تقدير ممتاز**).
- دكتوراه الحضارة الإسلامية – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بالقاهرة – سنة ٢٠١٢م – تقدير: (**مرتبة الشَّرف الأولىٰ**).
- إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية منذ عام ٢٠٠١م حتىٰ الآن.
- باحث ومستشار شرعي بالشَّركة الألمانية Raad Algen.
- عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (**منيسوتا بأمريكا**).
- عضو هيئة التدريس بجامعة الهداية العالمية (**نيجيريا**).
- عضو هيئة التدريس بأكاديمية تعلم (**السَّعودية**).
- عضو هيئة التدريس بجامعة خاتم المرسلين (**بريطانيا**) كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار.
- رئيس قسم البكالوريوس بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الهداية العالمية.

**للتواصل مع المؤلف جوال وواتساب/ ٠١٠٠٢٦٢٨٢٧٠ /٠٠٢**

## كتب للمؤلف

- كتاب **الأنساب** للسَّمْعَاني دراسة حضارية (**رسالة دكتوراة**).
- الحركة العلمية في **مرو** من بداية القرن الرَّابع الهجري حتى أوائل القرن السَّابع الهجري (٣٠١ـ ٦١٨هـ/ ٩١٣م ـ ١٢٢١م) (**رسالة ماجستير**).
- أقوال للمتأملين وتنبه للغافلين (١).
- أقوال للمتأملين وتنبه للغافلين (٢).
- قصص منتقاة للأئمة والدُّعاة.
- قطوف دانيات من ثمار الصَّدقات.
- علاج الهموم من سنن المعصوم.
- أحذروا الحالقة.
- مختارات من الوافي بالوفيات.
- قَصْفُ الجَبْهَات في الرُّدودِ المُسْكِتَات.
- إشرقات الغدِ في مقالاتِ ثروت أبو المجد.
- تذكيرُ النُّبَلاءِ بِفَضْلِ الثَّنَاءِ.

❁❁❁